شرح كتاب
ثلاثة الأصول
وأدلتها

شرح محمد أمان الجامي
رحمه الله

أشرف على طبعه
إدريس الفرنسي

الدار العثمانية

شرح كتاب

ثلاثة الأصول

وأدلتها

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

الدار العثمانية

addar_alothmaniah@yahoo.com

دار العلوم

dar_al3lum@yahoo.com

تلفاكس ٦٥٦٦٤٣٢٨ ٠٠٩٦٢ - خلوي ٥٨٨٦٥٢٤ ٧٩ ٠٠٩٦٢ - ص.ب ٣٦١٤٦
الرمز البريدي: ١١١٢٠ - عمـارة أبو عيشة - رقم ١٨٧ - العبدلي - عمـان - الأردن

شرح كتاب

ثلاثة الأصول

وأدلتها

شرح

محمد أمان الجامي

رحمه الله

أشرف على طبعه

إدريس الفرنسي



- الشرح المعتبر: ٥ أشرطة من الموقع: http://www.eljame.com

- الشرح الثاني: ٧ أشرطة من الموقع: http://www.amanjamy.net

- الشرح الثالث: ٥ أشرطة من تسجيلات يحيى بن معين في الجزائر

ترجمة الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله

۞ التعريف بالشيخ:

- **اســـمه:** هو: محمد أمان بن علي جامي علي، يكنى بأبي أحمد.
- **موطـنه:** الحبشة، منطقة هرر، قرية طغا طاب.
- **سنة ولادته:** ولد كما هو مدون في أوراقه الرسمية سنة ١٣٤٩ هـ.

۞ فصل في طلبه للعلم:

أ- طلبه للعلم في الحبشة:

نشأ الشيخ في قرية طغا طاب وفيها تعلم القرآن الكريم، وبعدما ختمه شرع في دراسة كتب الفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، ودرس العربية في قريته أيضًا على الشيخ محمد أمين الهرري ثم ترك قريته على عادة أهل تلك الناحية إلى قرية أخرى وفيها التقى مع زميل طلبه وهجرته إلى البلاد السعودية الشيخ عبد الكريم فانعقدت بينهما الأخوة الإسلامية ثم ذهبا معًا إلى شيخ يسمى الشيخ موسى ودرسا عليه نظم الزبد لابن رسلان. ثم درسا متن المنهاج على الشيخ أبادر وتعلما في هذه القرية عدة فنون. ثم اشتاقا إلى السفر للبلاد المقدسة مكة المكرمة للتعلم وأداء فريضة الحج. فخرجا من الحبشة إلى الصومال فركبا البحر متوجهين إلى عدن - حيث واجهتهما مصاعب ومخاطر في البحر والبر- ثم سارا إلى الحديدة سيرًا على الأقدام فصاما شهر رمضان فيها ثم غادرا إلى السعودية فمرا بصامطة وأبي عريش حتى حصلا على إذن الدخول إلى مكة وكان هذا سيرًا على الأقدام. وفي اليمن حذرهما بعض الشيوخ فيها من الدعوة السلفية التي يطلقون عليها الوهابية.

ب - طلبه للعلم في السعودية:

بعد أداء الشيخ فريضة الحج عام ١٣٦٩هـ بدأ رحمه الله تعالى طلبه للعلم بالمسجد الحرام في حلقات العلم المبثوثة في رحابه واستفاد من فضيلة الشيخ عبد الرزاق حمزة رحمه الله تعالى وفضيلة الشيخ عبد الحق الهاشمي رحمه الله تعالى وفضيلة الشيخ محمد عبد الله الصومالي وغيرهم.

وفي مكة تعرف على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى وصحبه في سفره إلى الرياض لما افتتح المعهد العلمي وكان ذلك في أوائل السبعينيات.

وممن زامله في دراسته الثانوية بالمعهد العلمي فضيلة الشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد البدر وفضيلة الشيخ علي بن مهنا القاضي بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة سابقًا، كما أنه لازم حلق العلم المنتشرة في العاصمة السعودية.

وأيضًا فقد استفاد وتأثر بسماحة المفتي العلامة الفقيه الأصولي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى.

كما كان ملازمًا لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الإفريقي رحمه الله تعالى، كما لازم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى فنهل من علمه الجم وخلقه الكريم، كما أخذ العلم بالرياض على فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي رحمه الله تعالى، وفضيلة الشيخ العلامة المحدث حماد الأنصاري رحمه الله تعالى وتأثر المترجم له بالشيخ عبد الرزاق عفيفي كثيرًا حتى في أسلوب تدريسه.

كما استفاد وتأثر بفضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى حيث كانت بينهما مراسلات، علمًا بأن المترجم له لم يدرس على الشيخ السعدي.

كما تعلم على فضيلة الشيخ العلامة محمد خليل هراس رحمه الله تعالى وكان متأثرًا به أيضًا. كما استفاد من فضيلة الشيخ الداعية عبد الله القرعاوي رحمه الله تعالى.

۞ مؤهلاته العلمية:

- حصل على الثانوية من المعهد العلمي بالرياض.
- ثم انتسب بكلية الشريعة وحصل على شهادتها سنة ١٣٨٠هـ.
- ثم معادلة الماجستير في الشريعة من جامعة البنجاب عام ١٩٧٤م.
- ثم الدكتوراه من دار العلوم بالقاهرة.

۞ مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

كتب فضيلة **الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان** في كتابه المؤرخ ٣/ ٣/ ١٤١٨هـ قائلًا: "الشيخ محمد أمان كما عرفته: إن المتعلمين وحملة الشهادات العليا المتنوعة كثيرون ولكن قليل منهم من يستفيد من علمه ويستفاد منه، والشيخ محمد أمان الجامي هو من تلك القلة النادرة من العلماء الذين سخروا علمهم وجهدهم في نفع المسلمين وتوجيههم بالدعوة إلى الله على بصيرة من خلال تدريسه في الجامعة الإسلامية وفي المسجد النبوي الشريف وفي جولاته في الأقطار الإسلامية الخارجية وتجواله في المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات في مختلف المناطق يدعو إلى التوحيد وينشر العقيدة الصحيحة ويوجه شباب الأمة إلى منهج السلف الصالح ويحذرهم من المبادئ الهدامة والدعوات المضللة. ومن لم يعرفه شخصيًا فليعرفه من خلال كتبه المفيدة وأشرطته العديدة التي تتضمن فيض ما يحمله من علم غزير ونفع كثير.

وما زال مواصلًا عمله في الخير حتى توفاه الله. وقد ترك من بعده علمًا ينتفع به متمثلًا في تلاميذه وفي كتبه، رحمه الله رحمة واسعة وغفر له وجزاه عما علم وعمل خير الجزاء. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله و صحبه".

وكتب فضيلة شيخنا الأستاذ **الدكتور محمد بن حمود الوائلي** المدرس بالمسجد النبوي والجامعة الإسلامية ووكيلها للدراسات العليا والبحث العلمي في كتابه المؤرخ في ٢٩/ ٥/ ١٤١٧هـ: "بسم الله الرحمن الرحيم ما أعرفه عن فضيلة الشيخ محمد أمان بن علي

الجامي رحمه الله، – لقد طلب مني أحد تلاميذي– وهو من أخص تلاميذ الشيخ محمد أمان الجامي المتأخرين– أن أكتب شيئًا مما أعرفه عن شيخه وشيخنا الشيخ محمد أمان رحمه الله لأنه بصدد إخراج كتيب عن حياة فضيلته فأقول وبالله التوفيق: بدأت معرفتي بالشيخ رحمه الله عام ١٣٨١هـ عندما قامت هذه الدولة السعودية الكريمة حفظها الله بإنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية في العام المذكور وكان رحمه الله من أوائل المدرسين بها وكنت أحد طلابها، كان رحمه الله من بين عدد من المشايخ الذين يولون طلابهم عناية خاصة لا تقف عند علاقة المدرس بتلميذه في الفصل وكان في عامة دروسه يُعنى عناية عظيمة بعقيدة السلف الصالح – رضي الله عنهم– لا يترك مناسبة تمر دون أن يبين فيها مكانة هذه العقيدة، لا فرق في ذلك بين دروس العقيدة وغيرها.

وهو حين يتحدث عن عقيدة السلف الصالح ويسعى في غرسها في نفوس أبنائه الطلاب الذين جاء أكثرهم من كل فج عميق، إنما يتحدث بلسان خبير بتلك العقيدة، لأنه ذاق حلاوتها وسبر غورها[١] حتى إن السامع المشاهد له وهو يتكلم عنها ليحس أن قلبه ينضح حبًا وتعلقًا بها[٢]، وكانت له رحلات في مجالي الدعوة والتعليم خارج المملكة، لا يدع مناسبة تجيء أو فرصة تمر دون أن يبين فيها سمو[٣] هذه العقيدة وصفاءها ورحابتها بيانًا شافيًا، وأن القارئ ليلمس صدق دعوته في كتبه ورسائله التي ألفها. وقد حضرت مناقشة رسالته في مرحلة الدكتوراه في دار العلوم التابعة لجامعة القاهرة بمصر وكان يسعى في عامة مباحثها إلى بيان صفاء عقيدة السلف الصالح وسلامة منهجها وتجلت شخصيته العلمية في قدرته – أثناء المناقشة– على كشف زيف[٤] كل منهج خرج عن عقيدة السلف وبطلان كل

---

(١) (سبر) السَّبْرُ: التَّجْرِبَةُ. وسَبَر الشيءَ سَبْرًا: حَزَره وخَبَرَهُ. والسَّبْر: مَصْدَرُ سَبَرَ الجُرْحَ يَسْبُرُه ويَسْبِرُه سَبْرًا نَظَر مِقْدارَه وقاسَه لِيَعْرِفَ غَوْرَه، ومَسْبُرَتُهُ: نِهايَتُه. [لسان العرب].

(٢) (نضح): ونَضَحَتِ العين تَنْضَحُ نَضْحًا وانْتَضَحَت: فارت بالدمع؛ وعيناه تَنْضَحانِ. والنَّضْحُ يدعوه الهَمَلانُ: وهو أَن تمتلئ العين دمعًا ثم تَنْفَضِحَ هَمَلانًا لا ينقطع. [لسان العرب].

(٣) (سما) السُّمُوُّ الارْتِفاعُ والعُلُوُّ. [لسان العرب].

(٤) (زيف) الزَّيفُ من وصْفِ الدَّراهم يقال زافَتْ عليه دَراهِمُه أَي صارت مَرْدُودةً لغِشٍّ فيها. [لسان العرب].

دعوة صوبت[1] نحو دعاتها المخلصين الذين أفنوا أعمارهم في خدمتها والوقوف عندها والدعوة إليها ودحض كل مقالة أو شبهة يحاول أهل الباطل النيل بها من هذه العقيدة.

وخلاصة القول: إن فضيلته رحمه الله كان شديد الحب لعقيدة السلف الصالح، مخلصًا في الدعوة إليها، متفانيًا في الدفاع عنها، لا يمنعه من أن يقول الحق في ذلك اعتراض معترض أو مقاطعة مخالف، رحمه الله وغفر لنا وله".



(١) (صوب): صَابَ السَّهْمُ نحوَ الرَّمِيَّةِ يَصُوبُ صَوْبًا وصَيْبُوبةً وأَصابَ إِذا قَصَد ولم يَجُزْ؛ وقيل: صَابَ جاءَ من عَلُ، وأَصابَ: من الإِصابةِ، وصَابَ السهمُ القِرْطاسَ صَيْبًا، لغة في أَصابه. وإِنه لسَهْمٌ صائِبٌ أَي قاصِدٌ. [لسان العرب].

متن ثلاثة الأصول

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اعْلمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنا تعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُولَى: العِلْمُ: وهو مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، ومَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ على الأَذَى فيه؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [سورة العصر].

قالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «لَوْ ما أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً على خَلْقِهِ إِلا هذه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ».

وقال البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]، فَبَدَأَ بِالعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلِ الثَّلاثِ، والعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا

عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ [المزمل:١٥-١٦].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ في عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨].

الثَّالِثةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، ووَحَّدَ اللهَ، لا يَجُوزُ لَهُ مُوالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ ورَسُولَهُ، ولَوْ كانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة:٢٢].

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ»: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ به التَّوْحِيدُ، وهو: إِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ.

وأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّركُ، وهو: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ ﴾ [النساء:٣٦].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التي يَجِبُ على الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُها؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، ودِينَهُ، ونَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وهو مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢]. وكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وأَنَا واحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ ومَخْلُوقَاتِهِ. ومِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، والنَّهَارُ، والشَّمْسُ، والقَمَرُ. ومِنْ مَخْلوقاتِهِ: السَّماوَاتُ السَّبْع، والأَرَضُونَ السَّبْع، ومَنْ فِيهِنَّ، ومَا بَيْنَهُما.

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤].

والرَّبُ هُوَ المَعْبُودُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

قالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ».

وأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلام، والإِيمَانِ، والإِحْسَانِ، ومِنْها: الـدُّعَاءُ، والخَوْفُ، والرَّجَاءُ، والتَّوَكُّلُ، والرَّغْبَةُ، والرَّهْبَةُ، والخُشُوعُ، والخَشْيَةُ، والإِنَابَةُ، والاسْـتِعَانَةُ، والاسْتِعَاذَةُ، والاسْتِغَاثَةُ، والذَّبْحُ، والنَّذْرُ، وغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، كُلُّهَا للهِ تعالى؛ والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كافِرٌ؛ والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وفي الحَدِيثِ: «**الدُّعَاءُ مخ العِبَادَةِ**». وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠].

ودَلِيلُ الخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

ودَليلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

ودَليلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]؛ وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

ودَليلُ الرَّغْبَةِ، والرَّهْبَةِ، والخُشُوعِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

ودَليلُ الخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة:١٥٠].

ودَليلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤].

ودَليلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]؛ وفي الحَدِيثِ: «...**وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**».

ودَليلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق:١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١].

وَدَليلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩].

ودَليلُ الذَّبحِ قَوْلُهُ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]؛ ومِنَ السُنَّةِ: «**لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**».

ودَليلُ النَّذرِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴾ [الإنسان:٧].

الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ، وهُوَ: الاسْتِسْلامُ لله بِالتَّوْحِيدِ، والانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، والبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وأَهْلِهِ. وهو ثَلاثُ مَراتِبَ: الإسْلامُ، والإِيمَانُ، والإِحْسَانُ. وكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وإِقَامُ الصَّلاةِ، وإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وصَوْمُ رَمَضَانَ، وحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[آل عمران:١٨].

ومَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ. «لا إله» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ. «إِلا اللهُ» مُثْبِتًا العِبَادَةَ لله وَحْدَه،لا شَرِيكَ لَهُ في عِبادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ في مُلْكِهِ.

وتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا؛ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؛ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة:١٢٨].

ومَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إلا بِمَا شَرَعَ.

ودَلِيلُ الصَّلاةِ، والزَّكَاةِ، وتَفْسيرُ التَّوْحيدِ؛ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ

﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥].

ودَليلُ الصِّيَامِ؛ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ودَليلُ الحَجِّ؛ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٧].

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ؛ وهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إلا اللهُ، وأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. **وَالدَّليلُ على هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ**؛ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

ودليل القدر؛ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ [القمر: ٤٩].

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَان،رُكْنٌ وَاحِدٌ وهو: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]، وقَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠ ﴾ [الشعراء:٢١٧-٢٢٠]، وقَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ ﴾ [يونس:٦١].

وَالدَّليلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَديثُ جِبْرِيلَ المَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عند رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفرِ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحدٌ، حتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ،

وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخبِرْنِي عَنِ الإِسْلام فَقَالَ: «**الإسلامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**». قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ**». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «**مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**». قَالَ: فَأَخبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ**». قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْري مَنِ السَّائِلِ؟**». قُلْتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينكُم**».

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وقُرَيْشٌ مِنَ العَرَبِ، والعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ. **ولَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وسِتُّونَ سَنَةً**، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وثَلاثٌ وَعِشْرُون نبيًا رسولًا. نُبِّئَ بـ﴿ ٱقْرَأْ ﴾، وَأُرْسِلَ بـ﴿ ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾. وَبَلَدُهُ مَكَّة،وهاجر إلى المدينة.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، و يدعو إِلَى التَّوْحِيدِ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ [المدثر:١-٧].

ومَعْنَى: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾: الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، والبَرَاءَةُ مِنْهَا وأَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وبَعْدَهَا أُمِرَ بالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ.

والهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ. وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء:٩٧-٩٩]؛ وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت:٥٦].

قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «سببُ نزولِ هَذِهِ الآيَةِ فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ؛ قَوْلُهُ ﷺ: «**لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، ولا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**».

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي المَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، والصَّوْمِ، والحَجِّ، والأَذَانِ، والجِهَادِ، والأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وبعدها تُوُفِّيَ – صَلواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ – ودِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، ولا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ. والخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ ويَرْضَاهُ. والشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الجِنِّ وَالإِنْسِ؛ والدَّلِيلُ

قَوْلُهُ تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة:٣].

والدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ؛ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزمر:٣٠-٣١].

والنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه:٥٥]، وقَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [نوح:١٧-١٨].

وبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ ومَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النجم:٣١].

ومَنْ كَذَّبَ بِالبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن:٧].

وأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء:١٦٥].

وأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ ﴾ [النساء:١٦٣].

وكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الله وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل:٣٦].

وافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ والإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ.

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرة ورُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، ومَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، ومَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، ومَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إِلا اللهُ، وفِي الحَدِيثِ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

واللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



شرح ثلاثة الأصول

وأدلتها

للشيخ محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله

مقدمة الشيخ محمد أمان بن علي الجامي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فنستأنف في يومنا هذا درسًا في العقيدة، فوقع الاختيار على رسالة صغيرة في الحجم، عظيمة في المعنى والعلم، محفوظة إن شاء الله عند صغار طلبة العلم قبل الكبار، ألا وهي الأصول الثلاثة للإمام المجدد، مجدد القرن الثاني عشر، محمد بن عبد الوهاب.

وقع الاختيار على هذه الرسالة تحقيقًا لرغبة كثير من طلبة العلم، الذين يرغبون حفظ هذه الأصول وفهمها وتحقيقها، والعمل بها، والدعوة إليها.

لذلك نبدأ في هذا الكتيب، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص فيما نقول وفيما نعمل، فنبدأ في الشرح، وقبل ذلك نعرف تعريفًا يسيرًا للمؤلف، فالمؤلف مشهور لا يحتاج إلى تعريف، ولكن بالنسبة لبعض صغار طلبة العلم وبعض الحضور الذين لا يعرفون عن الكؤلف شيئا، وبناءً على العادة الجارية التعريف بالمؤلف إذا أراد الإنسان أن يقرأ كتابًا من الكتب لبعض المؤلفين.

هذا المؤلف، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد في بلدة العيينة في نجد في سنة ١١١٥هـ ونشأ في حجر والده، وكان والده من علماء البلد بل قاضٍ في البلد، وعالم مدرس على الطريقة القديمة في البيوت.

نشأ هذا الشاب نشأةً عجيبةً حيث حفظ القرآن قبل العاشرة من عمره، وبلغ

الاحتلام قبل الثانية عشر من عمره، ووالده في هذه السنة رأى أنه أهل بأن يصلي بالناس فقدمه ليصلي بالناس، وهو ابن الثانية عشر من العمر، وفي هذه السنة زوجه.

وعكف الشاب مع دراسته على والده، عكف على دراسة كتب شيخ الإسلام ابن تيميه وتلميذه ابن القيم، واستفاد، لأن الله أعطاه من الذكاء ما وصفه المترجمون له _ بطريقة غريبة وفذة_: قوي الحافظة، ذكي فطن.

عكف في طفولته على هذه الكتب مع ما يدرس على والده في الفقه على مذهب الإمام أحمد، ثم تاقت نفسُه ليرحل في طلب العلم، لأنه استفاد من هذه الكتب ورأى أن البيئة التي يعيش فيها بيئة جاهلية صِرْفة، إذ كانت الناس تعبد النخل، وتعبد القبور، ويعبدون الجن، جاهلية جهلاء كالتي كانت قبل الإسلام مع الانتساب إلى الإسلام، ومع وجود العلماء بينهم. استنكرت نفسيةُ هذا الشاب هذه الجاهلية، ولكنه كتمها في نفسه ولم يتكلم ؛لأنه في نظر الناس طفلٌ لا يستحق الإنكار والقيام بالإصلاح.

أراد أن يرحل في طلب العلم، كأن الله أراد أن يطلعه على كثير من البلدان المُجاورة ليرى أن الجاهلية عمَّت، وليست في بلده فقط.

خرج حاجًا فحج، ثم جاء إلى المدينة، ومكث في المدينة لطلب العلم، وقيض الله له بعض علماء الحديث، كالشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف آل سيف، وهذا كان في الأصل من نجد من المَجْمَعة، سكن المدينة فصار من أعيان المدرسين في هذا المسجد، وأحبه هذا الشيخ كثيرًا لِما يرى فيه من الذكاء، ومن الاهتمام بشؤون المسلمين والإصلاح، وإعداد نفسه للإصلاح العام، وقدَّمه لبعض المدرسين في هذا المسجد النبوي، كالشيخ محمد حياة السندي، والشيخ العجولي، والشيخ الإحسائي، (عدد من المدرسين).

ركز الشيخ الشاب في دراسته في هذا المسجد على علوم الحديث، درس الكتب الصحاح، ودرس مسند الإمام الشافعي، ودرس كثيرًا، وكان في نفسه بعض التضايق عندما يرى ما يفعله الناس عند السلام على النبي ﷺ عند قبره، "وكثيرًا ما يقول للمشايخ: "ما هذا يا شيخ!؟""، ويقولون: "هذه بعض الجاهليات؛ صبرًا، وتعلم!". تعلم وصبر وملك نفسه،

وذات مرة ذهب إلى القبر ليُسَلِّم، ورأى تَعَلُّقَ الناس بالقبر، وتَمَسُّحَهم بالشبابيك، وكان عند الشيخ محمد حياة السندي فرجع إليه، فقال له: "ما هذا يا شيخ!؟ ما هؤلاء؟"، قال: "إن هؤلاء متبرٌ ما هم فيه وباطلٌ ما كانوا يعملون"، هكذا رد الشيخ فورًا.

وأدرك الشاب بأن العمل مستنكر حتى عند المشايخ، ولكنهم عاجزون، لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا. هكذا قضى برهةً من الزمن في هذه المدينة (النبوية) وتعلم، فأخذ الإجازة في الكتب التي درسها على الشيوخ، ثم توجه إلى العراق، إلى البصرة، ولكنه عَرَّج على بلده في طريقه، ثم واصل سيره لأنه سمع بشيخ عالم محدث نحوي؛ المجموعي، بالبصرة. ورحل إليه ودرس عنده كثيرًا، واستفاد منه في علوم العربية وعلم الحديث.

وهنا رأى الشاب بأنه نَضِجَ، وأنه لا بد أن يبدأ في الدعوة والإصلاح، وإن لم يبلغ مبلغ كبار العلماء، لأنه يرى نفسه أنه طالب، ولكنه طالب مهيأ ولديه ركيزة طيبة من العلم، فبدأ يتصل بزملائه، وبعض الشيوخ، وبعض من تعّرف عليهم، ويكتب إليهم الرسائل، وينكر عبادة القبور، وينكر كثيرًا من المنكرات البارزة، حتى عُرِفَ في البصرة، مع كونه طالب علم، بأنه يحاول الإصلاح.

وتأثر بطريقته هذه شيخُه المجموعي، لأنه كان يحبه كثيرًا، فكثيرًا ما يتأثر الشيخ بالتلميذ إذا كان التلميذ نابغة، ورأى فيه أنه ربما هو خير منه، وهذا معروفٌ من قبل، كما ثبت عن الإمام الشافعي أنه كان يقول للإمام أحمد: "أنتم أعلم منا بعلم الحديث فإذا علمتم شيئًا أو بلغكم شيء من الحديث فأبلغونا"؛ في هذا الوقت كان الإمام أحمد تلميذًا عند الإمام الشافعي، وهكذا تأثر المجموعي بابن عبد الوهاب.

وأخيرًا، قامت قائمة الجاهلية من المتصوفة فأُمر بإخراجه، فأخرج من البصرة إلى الزبير، وفي الطريق لاقى صعوبةً حتى كاد أن يهلك من الظمأ لأنه يمشي على رجليه في الظهيرة، ولكن الله قيض له من يحمله على حماره معه إلى البلد، فَسَلِمَ ولم يهلك.

ثم درس في الإحساء على شيخ شافعي، ثم رجع إلى الشام، وتجول في بلاد الشام، ولكن المصادر لم تذكر شيوخه في الشام، إلا أن زيارته للحجاز، والعراق، والشام، والمنطقة

الشرقية كل ذلك أفادته فائدة، زيادةً على العلم، معرفة أحوال المسلمين والجاهلية التي عمَّت وطمَّت.

وأخيرًا قرر الشابُ العودةَ إلى بلده للعمل، فرجع فبدأ حياته العلمية في بلدة حُرَيْمِلة، ولكنه أُوذِيَ حتى خاف من بعض السفهاء أن يفتكوا به، فخرج خائفًا يترقب، وله أسوة بالأنبياء في ذلك.

خرج إلى العيينة، مَسْقَطِ رأسِهِ، وأمير العيينة رَحَّب به، والشيخ شرح له دعوته بأن هذه دعوة إسلامية عامة، تحتاج منك الصبر. إذا أردتَ أن تؤازر هذه الدعوة لا بد أن تؤذى، هل تصبر؟ قال الأمير: إنه يصبر، وفعلًا صبر معه، وغيَّر كثيرًا من المنكرات، أزال كثيرًا من الأشجار التي كانت تُعبد.

أراد الله أن تقدمت امرأة ارتكبت فاحشة الزنا، فطلبت التطهير واعترفت وأصرت على الاعتراف، فأقام عليها الشيخ الحد؛ من هنا طار صيتُه وانتشر خبره في المنطقة، واستنكر أُمراء المنطقة هذا التصرف، فكانوا يسمونه الْمُطَوَّع؛ قالوا: هذا المطوع جاء بأمر جديد، أمر مستنكر، وكان من أشدهم أمير الإحساء. فشددوا على أمير العيينة إن لم يُخْرِجْ من بلده هذا المطوع فأنه سوف يَحْصُلُ كذا وكذا، هددوه تهديدًا؛ واضطر إلى أن يخرج من بلده، فخرج فتوجه إلى الدِّرْعِيَة، وكأن الله يسوق هذه النعمة لشخص آخر، غير أمير العيينة.

فنزل الشيخ في بيت ابن سويلم في الدِّرْعِيَة، وعلم محمد بن سعود وصولَه، لأن خبره انتشر في المنطقة كلها، كان معروفًا بالسَّمَاع. ولما علم، أخذ بعض أصحابه فذهب إليه في بيت ابن سويلم إذ لم يَدْعُه إلى منزله، فزاره وتعرف عليه. وهدى الله الأسرة، طلبت الأسرة رجالًا ونساءً من الإمام محمد بن سعود أن يؤازر هذا الرجل وأن يتبنى هذه الدعوة، فليعتبرها نعمة سِيقَت إليه.

وفعلًا آزر الدعوة، وأعلن مؤازرته للدعوة، والشيخ نصحه كما نصح أمير العيينة، وبَيَّن له صعوبة هذه الدعوة، وأنها دعوة عامة، لا تترك شيئًا من الجاهليات، لا في العقيدة ولا في الأحكام، تجديد عام للدعوة المحمدية، واستعد الأمير محمد بن سعود لمؤازرة الدعوة وتعاهدا.

من هنا قام العمل الجاد في الدعوة: أولًا تطبيق عملي محليًا، فصارت الدرعية عاصمة للدعوة، يهاجر إليها طلاب العلم لطلب العلم وللتعبد هناك، قرب الشيخ، قرب الداعي المُصْلِح؛ وانطلقت الدعوة من هناك، وسارت مسيرتها؛ وبدأ الشيخ يكتب إلى الأمراء والأعيان في الأقطار يشرح دعوته: موقفه من الأئمة الأربعة، موقفه من الصحابة، موقفه من نصوص الصفات، موقفه في باب التوسل. وهكذا.

الدِّعايات التي كانت تعمل ضد الدعوة، أراد الشيخ أن يخففها بهذه الرسائل التي كان يبعث بها في الأقطار.

هكذا بدأت الدعوة واستمرت إلى أن وصلت إلى هذه المدينة النبوية وعمت الجزيرة، ولكن الدِّعايات لا تزال تنتشر في الآفاق: هناك مذهب خامس، هناك الوهابية هناك وهناك، ولكن دأبوا و تعودوا على عدم الردود، يسمعون كل ما يقال ولكن لا يردون، يعملون، فصار العمل هو الرد.

أُلفت كتب ضد هذه الدعوة، وانتشرت في العالم، فأكثر الناس عرفوا هذه الدعوة على غير حقيقتها، على أنها دعوة مناوئة للأئمة الأربعة وللأولياء، وأنها لا تحترم رسول الله ﷺ والصحابة، إلى غير ذلك من الدعايات التي أخذت تتبخر شيئًا فشيئًا إلى هذا الوقت شِبْه خَجَل، إذا كانوا يعرفون يخجلون، لأن الدعوة دخلت في مناطق ما كانوا يظنون أنها تَصِل، في مناطق كان تسمى مجاهل إفريقيا، توجد هناك الآن مدارس كثيرة، تدرس نفس المنهج المقرر في المدارس السعودية في المرحلة الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية؛ وانتشرت في القارة الهندية، وانتشرت في كثير من الدول العربية إلى أن خرجت من الديار الإسلامية وفتحت صدور الناس في أوروبا وأمريكا، وانتشرت وعمّت.

لذلك تِلكُم الهمسات التي تسمعون الآن هنا وهناك، مِن خلف الأبواب، وفي ظلام الليل، ضِد هذه الدعوة، إنما هي حركة الشاة المذبوحة، فالشاة المذبوحة إنما تتحرك لتموتَ لا لتحيى. فلتعلموا ذلك ولا تتأثروا بما يقال ويشاع ضد هذه الدعوة أحيانًا على ألسنة مشائخ الطرق وعلماء الكلم والمتأثرين بهم والمصفقين معهم، إنما هي كما قلتُ: حركة الشاة

المذبوحة لتموت لا لتحيى.

والدعوة سائرة بحمد الله تعالى، ونحن نحمد الله عندما نرى شبابنا في هذا المصير، مصير نحمد الله عليه، شبابنا، صغار الشباب، بدلًا من أن يفكروا في مثل هذه الإجازات ليبددوها في المناطق الباردة، في المنتزهات، في حديقة الحيوانات، وأمثال ذلك في اللعب واللهو، فإذا هم يرغبون أن يصبروا على الدراسة والتعبد في المسجدين الشريفين، في المسجد الحرام والمسجد النبوي، ويواصلوا دراستهم غير النظامية ليجمعوا بين الدراسة النظامية والدرسة غير النظامية التي تدرس لوجه الله وحده، واختاروا من بين تلكم الدروس درسًا في العقيدة.

ونحن هنا ننصح فنقول: ادرسوا العقيدة، وادرسوا الأحكام، وادرسوا فروع اللغة العربية، وادرسوا علوم الحديث وعلوم القرآن، وكل علم نافع يكون مساعدًا لفهم الكتاب والسنة، لئلا تضيّقوا مجال طلب العلم، بل توسعوا في طلب العلم، وعلى كل مَن تجدون عنده فرصةً من المشائخ في مثل هذه الإجازة، عليكم أن تنتهزوا فرصةَ الشباب، وفرصة الفراغ، وفرصة الصحة، هذه نعم، لا تعرف إلا بعد زوالها؛ نعمة الفراغ، نعمة الشباب، نعمة الصحة ونعمة الأمن والأمان، هذه النعم انتهزوها، واشغلوا أوقاتكم بطلب العلم[1]. فطلب العلم نوع من الجهاد، أنتم في جهاد طالما تطلبون العلم، بهذا العلم تعرفون قيمة الجهاد في سبيل الله، متى يكون المجاهد مجاهدًا في سبيل الله لو قتل هناك، تعرفون ذلك بالعلم، العلم قبل القول والعمل.



(١) نذكر هنا نصيحة الشيخ أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، يقول: لا تستعجل في الطلب، بل ركز وكرر، لأن غايتك في الطلب ليس التصدر وإنما التعبد لله برفع الجهل عن نفسك، ثم رفعه عن الآخرين، والمستعجل لا بد وأن تكون نيته دخيلة لأنه يرغب الظهور والتصدر، وسيفوت الاثنين فلا التأصيل حصل ولا التصدر نال، ولكن الطالب الحق من يمشي على طريق الآكابر في الطلب وذلك عبر منهجية مرسومة في الذهن مخطوطة باليد واضحة المَعالِم.

فنواصل درسنا بتوفيق الله تعالى بالتعليق على بعض التساؤلات بالدرس السابق.

❁ **كلمة التجديد:**

التجديد: نحن سمينا، أو سماه من عرفه قبلنا كما هو واقعه، محمد بن عبد الوهاب أنه من المجددين، يتساءل بعضهم عن معنى التجديد، ما هو التجديد؟

الجواب: التجديد ينقسم إلى قسمين:

تجديد هو المراد به في الأثر الوارد: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»[1]، وهذا التجديد وارد وواقع، وله معنى سليم بعد أن يفهم المعنى: معنى هذا التجديد ليس أن يأتي المجدد بأمر جديد، وبدين جديد، وبأحكام جديدة، وعقائد جديدة، وإنما معناه أن يجدد للناس مفهومَهم الفاسد لأن بناء الإسلام قائم، تام، وآخر لبنة تَمَّ بها ذلك البناء هو رسول الله ﷺ، والبناء قائم لا ينهدم حتى يرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها وما عليها.

وكل الذي يحصل إنما يحصل في مفاهيم الناس، ومواقف الناس، مع طول المدة، وبُعد العهد، وقلة العلم، وكَثْرَة الجهل، يحصل تغيير وتبديل وانحراف في مفاهيم الناس وفي مواقفهم من الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ، كالذي حصل في عهد المأمون العباسي في مفهوم التوحيد، عندما اتصل به بعض المعتزلة فَأَغْوَوْه، فَفُسِّرَ التوحيد عندهم بنفي الصفات، وفُسِّرَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالخروج على ولاة الأمور، وفُسِّرَ العدل بأن يوجبوا على الله أن يفعل ما هو الأصلح فالأصلح للعباد، يَجِبُ وجوبًا[2]، وجعلوا مرتكبَ المعاصي غيرَ مؤمن، وهكذا تَغَيَّرَت المفاهيم، وسَخِروا بكلام الله القرآن، قالوا إنه

---

(١) الصحيحة: ٥٩٩.

(٢) بحيث لو لم يفعل ذلك يكون ظالمًا. [العقيدة الإسلامية وتاريخها/ الشيخ محمد أمان الجامي]

خلقٌ من خلقِ الله وليس بكلام الله.

هنا قيض الله لهذه الأمة من يكون سببًا لحفظ العقيدة، ودعا المأمون إلى امتحان كثير من العلماء، إلا أنه هلك قبل أن يتم له ما يريد، وامتحن الأئمة لتنفيذ هذا المخطط في عهد المعتصم والواثق، الخليفة الثامن والتاسع، أي بدأت المحنة والفتنة في عهد المأمون، الخليفة السابع، واستمرَّت في عهد المعتصم بالله والواثق بالله، هؤلاء الخلفاء الثلاثة أرادوا أن يغيروا مفهوم التوحيد ومفهوم كثير من الدين فقيض الله لهذه الأمة من يحافظ لهم على عقيدتهم وهو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، حيث لم يُوَّفَقْ غيرُه، منهم من مات قبل أن يصل إلى غرفة الامتحان، ومنهم من تظاهر بالموافقة ظاهرًا وقلبه إن شاء الله مطمئن بالإيمان، ولكن الذي صمد وصدع بالحق هو الإمام أحمد.

من هنا يتبين معنى التجديد، إذن التجديد ليس معناه الإتيان بأمر جديد، ولكن رَدُّ الناس إلى الدين، إلى المفهوم الصحيح للدين، كأنهم فَهِموه من جديد، بعد أن جَهِلوا أو تَجاهلوا أو نسوا أو انحرفوا، بعد ذلك صاروا كأنهم فهموا من جديد الدين، هذا هو معنى التجديد.

وذلك ما فعله أيضًا الإمام ابن تيمية في القرن السابع عندما جُهِلَ منهجُ السلف على الرغم من تجديد وجهاد الإمام أحمد، إلا أن الله لم يُقَيِّضْ له مؤازرًا يَتَبَنَّى دعوتَه، ويدافع عنها، وينشرها بين الناس، بل تشتَّت السلفيون في زوايا الدنيا حتى جهل منهج السلف جهلًا، فصار ينتسب إليهم مَن ليس منهم، ويُفَسَّرُ منهج السلف بالتفاسير كما يُفَسَّرُ الإسلام اليوم بتفاسير كثيرة.

في هذا الوقت، بعد أن جهلت الناس أو كادت تجهل ذلك المنهج الذي جاء به رسول الله ﷺ وسار عليه الصحابة وجدده ابن حنبل، جُهِلَ من جديد؛ اشتغلت الناس بدراسة الفلسفة وعلم الكلام تشجيعًا من الخلفاء الثلاثة الذين تقدم ذكرهم، حتى طغى علمُ الكلام على المنهج السلفي، عند ذلك قيض الله فظهر فُجْأَةً، كما يقول المقريزي: ظهر في القرن السابع فُجْأَةً في دمشق، الإمام ابن تيمية، وصدع بالحق، وهاجم جميع الفرق المنتسبة

إلى الإسلام، المنحرفة عن الإسلام. فأظهر الله به الحق، ولكنه مرةً أخرى لم يُقَيِّضْ له مؤازرًا، لم تحظَ دعوتُه وتجديدُه وتصليحُه الواسعُ بمؤازر يتبنى هذه الدعوة ويدافع عنها وينشرها بين الناس؛ بل إن ذلك الإنتاج العظيم، الفريد، الذي لا مثيل له فيما نعلم، كُتُب ابن تيمية، هاجرت من الديار الإسلامية إلى أوروبا وغيرها من دول الكفر، فبقيت مهجورة لعدم المؤازر القوي، الذي ينشر تلك العقيدة، ويطبع تلك الكتب لتتطلع الناس على تلك الكتب فتستفيد.

بقيت تلك الكتب مهجورة إلى عهد التجديد الثالث، على يد ابن عبد الوهاب، هذا التجديد المبارك، وُفِّقَ بمؤازر قوي، دافع عن الدعوة، ونشرها، وتبناها، فاستفاد التجديد الأول، والثاني من التجديد الثالث، إذ طبعت تلك الكتب العظيمة التي كانت مهجورة في عهد التجديد الثالث، وانتشر العلم والمعرفة في هذا العهد.

تبين من هنا معنى التجديد، أنَّ كل واحد منهم إنما جدد للناس المفهوم الذي فَسَدَ، وردَّ الناس إلى المفهوم الصحيح، هذا هو التجديد المعني عندما يقال: "فلان مُجَدد ومُصْلِحٌ".

أما التجديد بمعنى الإتيان بشيء جديد، كأن يَدَّعِيَ مصلح ما، أنه يأتي بقواعد، ولوائح، وأصول، يؤصلها من عند نفسه، بصرف النظر هل هي مُوافِقة للسنة أم لا، ويَتَزَعَّمُ هذا التجديد، ويسمي نفسَه رئيسًا أو زعيمًا لهذا التجديد، ويَتَّبِعُه الناس على أنه تجديد لفلان، وجماعة لفلان، ونظام لفلان، بصرف النظر أن ذلك التجديد موافق للسنة أو مخالف، هذا هو التجديد المذموم، لأن هذا معناه الابتداع، الإتيان بأشياء جديدة في الإسلام، لا عهد للمسلمين الأولين بها، هذا التجديد ما تدعو إليه كثير من التنظيمات المعاصرة وهذا باطل، ما وافق منها الكتاب والسنة أُخذ، وما خالف رُدَّ، هذا هو معنى التجديد(١).



(١) هذا جزء من بداية الدرس الثاني من الشريط الأول.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

۞ **بسم الله الرحمن الرحيم**: [بدأ الإمام محمد بن عبد الوهاب رسالته بالبسملة عملًا بالأحاديث الواردة بالافتتاح بالبسملة والحمدلة مع ما فيها من المقال، وتأسيًا بكتاب الله تعالى، وهو الذي درج عليه أهل العلم قديمًا وحديثًا.] (1)

۞ **اعلم رحمك الله**: هذا الخطاب مُوَجَّه إلى كل قارئ، وكل سامع، وكل من يَصْلُح أن يوجَّه إليه الخطاب.

۞ **أنه يجب علينا**: ليس معنى يجب علينا نحن طلاب العلم فقط، بل يجب علينا نحن معاشِرَ المسلمين، لأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة ليس مما يجب على الشباب وعلى طلاب العلم فقط، بل مما يجب على كل مسلم ومسلمة، فيجب علينا نحن معاشر المسلمين تعلم أربع مسائل:

- المسألة الأولى: العلم.
- المسألة الثانية: العمل بالعلم.
- المسألة الثالثة: الدعوة إلى ذلك العلم الذي تعلمتَ.
- المسألة الرابعة: الصبر على الأذى في الله تعالى، وفي سبيل تحصيل العلم، وفي سبيل العملِ بالعلم، وفي سبيل الدعوة إلى العلم.



---

(1) الشرح الثاني، الشريط الأول، من ٤٢"٠٠ إلى ٠٠"١

۞ **المسألة الأولى: العلم، وهو معرفة الله:** فسر العلم بالمعرفة، قال: "وهو معرفة الله". ما الفرق بين العلم وبين المعرفة؟ لماذا فسر الشيخ العلم بالمعرفة؟

المعرفة أعم من العلم، فالعلم خاص بما لم يُسْبَقْ بجهل، لذلك يُسْتَعْمَلُ في حق الله تعالى العلم، ولا تستعمل المعرفة في حق الله، لأن المعرفة هي المسبوقة بجهل، أي: الإدراك المكتسب بعد أن لم يكن؛ إذن بالنسبة لنا يقال له علم ويقال له معرفة، وبالنسبة لله تعالى له العلم فقط، لذلك فسَّر العلم بالمعرفة.

فقال: **العلم**، المراد بالعلم هنا معرفة الله، معرفة الله بأسمائه وصفاته، معرفة الله بآلائه ونَعْمائه، معرفة الله بالآيات المتلوة والآيات الكونية، معرفةً توجب مَحَبَّتَه سبحانه وتعالى، معرفةً توجب خَشْيَتَه وتعظيمه وتعظيمَ أمرِهِ وتعظيمَ شَرْعِهِ، توجب مراقبته تعالى وخشيته، وفي النهاية المحبة، لأن محبةَ الله تعالى روحُ الإيمان؛ الإيمان، إيمان المرء، إذا خلا من محبة الله تعالى كالجسد الميت، روح الإيمان محبة الله[1].

ومعنى معرفة الله تعالى ليس معرفة بالدعوى، بل معرفة بهذه المعاني كلها وأكثرَ منها، يدخل في ذلك توحيد الربوبية، وتوحيد العبادة، وتوحيد الأسماء والصفات، وتصديق خبره، خبر الرب سبحانه وتعالى، ليدخل الإيمان بالكتب السماوية، وبالغيب، كالجنة والنار، وغير ذلك من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها، كل ذلك داخل في معرفة الله.



(١) كما قال ابن قيم الجوزية: "ولما كانت المحبة التامة ميل القلب بكليته إلى المحبوب: كان ذلك الميل حاملًا على طاعته وتعظيمه، وكلما كان الميل أقوى: كانت الطاعةُ أتمَّ، والتعظيمُ أوفرَ، وهذا الميل يلازم الإيمان؛ بل هو روح الإيمان ولبه، فأي شيء يكون أعلى من أمر يتضمن أن يكون الله سبحانه أحبَّ الأشياء إلى العبد، وأولى الأشياء بالتعظيم، وأحقَّ الأشياء بالطاعة؟". [مدارج السالكين/ منزلة الرضى].

❁ **ومعرفة نبيه**: معرفةً تبعثك على تصديقِ كلِّ ما أخبر، معرفةً توجِب طاعتَه، وتصديقَ خبرِهِ، واتباعَ هَدْيه، وتجريد المتابعة له بحيث لا تُعارِض قوله ﷺ بقول أحد.

الذين يُعارِضون قولَ رسولِ الله ﷺ بآراء الرجال، وربما يقدمون آراء الرجال على سنة رسول الله ﷺ لم يعرفوا نبيَ الله حقَ المعرفة، من عرف بأنه رسول ؛ يطاع ولا يعصى، وعبدٌ لا يعبد، ونبي لا يُكَذَّب، لا يمكن أن يُعارِضَ أقوالَه وسنتَه وهديَه بأقوال الرجال وآراء الرجال.

ويَدَّعي أحيانًا في بعض الأحاديث أنها مخالِفة للقاعدة، من أين القاعدة هذه التي يخالِفُها هديُ رسول الله ﷺ!؟ فكل ما يُسَمَّى بالقواعد والأصول إن كانت مأخوذة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ كهذه الأصول الثلاثة فهي مقبولة، وكل ما يسمى بالقواعد والأصول التي يُؤَصِّلها بعضُ الناس ويُقَعِّدونها مخالفةً للكتاب والسنة فهي مردودة، وذلك دليل على عدم معرفتهم برسول الله ﷺ حق المعرفة.

معرفته، المعرفة الشخصية، ومحبته، المحبة الذاتية، دون المحبة الشرعية الرسالية لا تفيد، وهذا شيء يعلمه كل مسلم. وإلا، فإن بعض الكفار، وبعض المشركين، كانوا يعرفون أمانته وصدقه، وكانوا يعرفون أنه رسول الله، وكانوا يقدرونه غاية التقدير ولكنهم لم يتبعوه، ولم يحبوه محبةً شرعيةً لذلك لم ينفعهم ذلك الموقف كأبي طالب كما نعلم، فمعرفة النبي ليس بالأمر الهين.

ثم محبته شعبة مِن شُعَبِ الإيمان، مِن معرفة النبي ﷺ أن تحبه أكثرَ مما تُحِبّ نفسَك وأهلَك ومالَك، الذي يُحَبُّ لذاته وحده هو الله، ليس إلا، ولكن النبي ﷺ يُحَبُّ لله لأنه رسولُ الله وعبدُ الله، الذي اصطفاه للرسالة العامة، أما المحبة الذاتية إنما هي لله وحده.

هذا فرق دقيق يَجِبُ أن يَعْلَمَه طلاب العلم: كلُّ مَن يُحَبُّ دونَ الله إنما يُحَبُّ لله، ولكن الله يُحَبُّ لذاته، الذي يُحَبُّ لذاته هو الله وحده، ومَن دونَه بَدْءًا من رسول الله ﷺ يُحَبُّ

لله.

لذلك إذا لم تكن محبة رسول الله ﷺ لله، كأن كانت للقرابة أو لكونه عبقريًا فلا تفيد، ولم تفد تلك المحبة أبا طالب، ولم تفد المستشرقين الذين يقدرونه ويبالغون في تقديره لكونه عبقريًا في التاريخ لا لأنه رسول الله ﷺ، هذا معنىً ينبغي أن يَفْطُنَ له طلاب العلم .



وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

❁ **ومعرفةُ دينِ الإسلام:** الإسلام ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، كلُّ ما أَرسل به رسلَه فهو إسلام، فما جاء به نوحٌ إسلام(١)، وما جاء به إبراهيمُ إسلام، كل ما جاءت به الرسل فهو إسلام، ولكن أصبح الإسلام أخيرًا عَلَمًا بالغلبة على ما جاء به خاتمُ النبيين وإمامُ المرسلين محمدٌ ﷺ؛ لذلك إذا أطلق الإسلام ينصرف إلى ما جاء به محمدٌ رسولُ الله ﷺ، ولكن عند التحقيق كل ما أرسل الله به رسله إلى الناس بدءًا من نوح ولكن عليه السلام إلى خاتمهم وإمامهم محمدٍ ﷺ كل ذلك إسلام: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾.

لذلك يجب معرفة هذا الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ، به تعرف الأديان الأخرى، به تعرف الرسل، وما جاءت به الرسل، وتحب الرسل، وتُصَدِّق الرسل، فدين رسول الله عليه الصلاة والسلام هو المفتاح لذلك، فالدين الإسلامي هو ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام.

أما بعض التقاليد وبعض البدع التي ابتدعها بعض الناس، ثم يسمونها إسلامًا كما نسمع هذه الأيام في بعض الدساتير، فيقولون التقاليد الإسلامية، كالمولد، والختمة، والذكر، والتهليل، وغيرِ ذلك، إنما أسماء لغيرِ مسمَّياتِها، كل ذلك من الإسلام؛ إذا قالوا: "الذكرُ من الإسلام" لا يعنون الذكر الشرعي، المراد بالذكر هناك مجالس يَجْتَمِعُ فيها الناس ويذكرون بالألفاظ المفردة "الله"، لا يذكرون الله بالتهليل والتسبيح والاستغفار، بالأذكار الشرعية، يبدؤون بـ"الله" وينتهون بـ"الله الله الله"، هذا يسمونه مجالس الذكر، وهذه المجالس عندهم يجب أن تكون من الدين، ومن يُنكر هذه المجالس ينكر الدين.

وهو المراد بالتهليل أيضًا.

---

(١) الصحيح .

وبالخَتمة، ما يُفْعَل من البدع عند ختم القرآن.

والتوسل المراد به عندهم هو الاستغاثة بالصالحين ودعوة الصالحين والطواف بقبورهم والنذر لهم، يسمونه توسلًا.

إذا كان الذين يقدمون هذه العناوين للناس على أنها من الإسلام، هذا تضليلٌ وجهلٌ مركبٌ منهم، وإذا كانوا على علم، ولكن لينالوا المكانةَ عند الشعوب، فهو تضليلٌ وتلبيسٌ وتجهيلٌ للناس لحقيقة الإسلام.

فإن حقيقة الإسلام الاستسلام لله تعالى والانقياد له بالطاعة والعبادة، وكل ذلك لا ينفع إلا إذا كان مأخوذًا من مشكاة النبوة، أيُّما عملٍ لا يؤخذ مما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام ودرج عليه الصحابة، لا يسمى إسلامًا، وإن أُعْلِنَ رسميًا أنه من الإسلام.

[فمعرفة هذا الدين بالنسبة لِما كان عليه الأولون ليس بلازم أن نعرفه بالتفصيل، أما ما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام يجب بالنسبة للأصول أن نعلمه بالتفصيل، لأن العمل الذي هو الأساس أساسه هو العلم، العلم قبل القول والعمل، العبد خُلق للعبادة، والعبادة تتوقف على العلم، إذن لا بد من العلم، العلم هو الأساس. يعرف دينه ويعرف نبيه ويعرف بأن الله سبحانه رحمةً منه اختار محمدًا ﷺ من بين البشر واصطفاه وارتضاه ليكون الرسول الأخير خاتم النبيين، وأرسله بهذه الرسالة العظيمة، وأن معرفة رسالته، معرفة ما جاء به، أمر ضروري، وأن البشر بحاجة ماسة إلى هذه الرسالة؛ حاجتهم إلى الرسالة أشد من حاجتهم إلى الشراب والطعام، مَن حُبس عن الشراب والطعام يهلك هلاكًا مؤقتًا، أي: تنتهي حياته من هذه الدار. لكن مَنِ انقطع عن الله، ولم يعرف الله، هلاكه هلاك مؤبد. إذن حاجة البشرية إلى الرسالة أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب. هذا النبي الذي جاء بهذه الرسالة يجب معرفته، وتصديقه، والإيمان بأمانته، وفطانته، وفصاحته، وقوته على البيان، وأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح لأمته، يجب الإيمان بهذه الصفات، بهذا تعرف نبيك محمدًا ﷺ.

القول المحدث في هذه الأيام بأننا لسنا بحاجة اليوم إلى أن نقول للناس: "مَن ربك؟

وما دينك؟ ومَن نبيك؟ بِمَ تعرف ربك؟ بِمَ تعرف دينك؟ و بِمَ تعرف نبيك؟ هذا أمر قد مضى! وليس في هذا الوقت!" هذا كفر بواح، دعوة إلى الكفر، دعوة الناس ليجهلوا ربهم، ويجهلوا دينهم، ويجهلوا نبيهم. فلينصح هؤلاء لأنفسهم فليرجعوا عن هذا القول الخطير، خطير على إيمانهم. فإذا قيل لك: "مَن ربك؟" وهذا السؤال سيستمر في هذه الدنيا وسيأتي موجه إلى كل ميت في قبره: "مَن ربك؟" إذن كيف ينتهي؟ كيف يقال إنه أمر قد انتهى؟! أمامك لن ينتهي! وسوف يوجه إليك هذا السؤال، ولا تدري هل توفق للجواب أم لا!] (١)

۞ **بالأدلة**: معرفة كل ذلك بالأدلة، لا بد من الأدلة، وكل علم يقدم بدون دليل فهو دعوى، والدعوى لا بد لها من بينة، البينة الدليل، الدليل: قال الله، قال رسول الله ﷺ، أو إجماع الصحابة.

[معرفة دين الإسلام تكون بالأدلة لا بالعقل، العقل ليس له مجال ليستدل، العقل آلة تستخدم في معرفة الله تعالى أو في معرفة ما جاء به رسول الله ﷺ، بالعقل تعرف عن الله وعن رسول الله. لو كان العقل كافيًا في معرفة الله أو معرفة رسوله ومعرفة دينه ما بعث الله رسولًا ولا أنزل كتابًا، يكون بعث الرسل وإنزال الكتب عبثًا لو كان العقل كافيًا، العقل ليس بكافٍ، بل بالعقل تفهم عن الله وعن رسول الله ﷺ.



(١) الشرح الثاني، الشريط الثاني، من ١١"١٨ إلى ٠٦"٢١.

الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ. الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ. الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ على الأَذَى فيه.

۞ **المسألة الثانية: العمل**: العمل بما عَلمتَ لأن العلم وسيلة للعمل، ليس مقصودًا بالذّات، المقصود بالذات العمل والتطبيق.

۞ **المسألة الثالثة: الدعوة إليه**: الدعوة إلى ما عَلمتَ أو الدعوة إلى الله والدعوة إلى دين الله على حسب استطاعتك ومعرفتك، تدعو إلى ما تَعْلَم وتمسك عما لا تعلم.

۞ **المسألة الرابعة: الصبر على الأَذَى فِيهِ**: لأن مَن تصدى للدعوة إلى الله والدعوة إلى دين الله لا بد أن يؤذى، تلك سنة الله في خلقه، إذا راجعنا سيرة الأنبياء من أولهم إلى أهل الأرض نوح إلى آخرهم وأشرفهم وإمامهم محمد ﷺ ثم راجعنا سيرة المسلمين المجددين، وجدنا أن كل واحد منهم تعرَّض للأذى، وهذه سنة باقية ودائمة، لا بد من الصبر. الصبر حبس النفس وعدم الشكوى، لا تشكو إلى المخلوق ولكن تشكو إلى الله، الشكوى إلى الله، وتفر إلى الله وتشكو إلى الله وتصبر وتحتسب، ولا تُكثر الشكوى والتَّضَجُّر[1] بل تحبس نفسَك على الأذى والرضا بقضاء الله وقدره.



---

(١) (ضجر): ضَجِرَ مِنْ الشَّيْءِ ضَجَرًا فَهُوَ ضَجِرٌ مِنْ بَابِ تَعِبَ اغْتَمَّ مِنْهُ وَقَلِقَ مَعَ كَلَامٍ مِنْهُ وَتَضَجَّرَ مِنْهُ كَذَلِكَ وَأَضْجَرْتُهُ مِنْهُ فَضَجِرَ وَهُوَ ضَجُورٌ. [المصباح المنير في غريب الشرح الكبير]

والدَّليلُ قَوْلُهُ تعالى:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورةالعصر].

❁ **وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى**: هذة طريقة أهل العلم إذا قرر العالم مسألةً أو قال قولًا أو أَصْدَرَ حكمًا لا بد أن يقيم الدليل على ذلك] (١). والدليل على أن هذه المسائل الأربع يجب تَعَلُّمُها على جميع المسلمين، الدليل على ذلك هذه السورة القصيرة، التي يحفظها تقريبًا كل مسلم:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾، هذه المسائل الأربع.

❁ ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾: الواو واو القسم، العصر هو المُقْسَمُ به، فالله سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة فيما خلق، وفيما شرع، في أحكامه، وفي قضاءه وقدره حكيم، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا يُسْأَل عما يفعل.

كثيرًا ما يقسم بمخلوقاته، ومع ذلك أرسل إلينا رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام وبَيَّن لنا أننا نحن العباد لا يجوز لنا أن نقسم إلا بالله، ولكن الله قد يقسم بمخلوقاته، وليس للعباد أن يقيسوا أنفسهم على رب العالمين فيقسموا ببعض المخلوقات قائلين : لأن الله أقسم بالعصر والليل والضحى، ونحن لماذا لا نقسم بهم !؟ أنت عبد، والعبد يقف عند أمر سيده، فسيدك هو الله، أرسل إليك سيد الناس أجمعين محمدًا ﷺ، فأخبرك أن العبد لا يقسم إلا

---

(١) الشرح الثاني، الشريط الأول، من ٢٣"٥ إلى ١٠"٨

بالله: «مَن كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُت»[1].

إذن العبد ممنوع من أن يُقسم بغير الله، ولو كان بأشرف المخلوقين محمدٍ رسول اللهﷺ ، ألا يجوز للناس أن يُقسموا برسول الله ﷺ، ولا ببيت الله، ولا بأحد من خلق الله من الأنبياء والملائكة والمرسلين والصالحين والجمادات، لا يجوز، ولكن الله يقسم بما شاء لحكمة يعلمها.

[لا يجوز القسم إلا بالله وبأسمائه وصفاته، والقرآن من كلام الله يجوز القسم به، ولكن كما يُقْسِم بعض الناس لا ينبغي القسم بالمصحف، لأن المصحف يشتمل على كلام الله وعلى بعض المخلوقات: كالورق والمِداد والغلاف، هذه مخلوقات، ولكن كلام الله هو ذلك الذي كُتِبَ على ذلك القِرْطاس بذالك المِداد: "ما بين دَفَّتَي المصحف كلامُ الله"[2]، فرقٌ بين أن تقسم بكلام الله أو تقسم بالقرآن أو تقسم بالمصحف، يجب أن تفرق بينهم.] [3]

أقسم هنا بالعصر، يَشمل العصر، عصرَ النبوة عصر محمدﷺ لأنه عصر ممتاز، عصرٌ أرسل الله فيه خاتم النبيين بالرسالة العامة، بينما كان الرسل يُرْسَلُ كلُّ رسولٍ إلى قومه وبلسان قومه، رسالةً مؤقتةً، تنتهي، يعلم الله متى تنتهي، وإن كانوا هم لا يعلمون متى تنتهي حتى تنتهي، ذلك هو النسخ؛ تنسخ كل رسالة وتنتهي إلى حدٍ ولقوم محدودين، ولكن الرسالة المحمدية جاءت رسالةً عامةً وباقيةً ما بقيتِ الدنيا؛ إذن هذا العصر، عصر النبوة، عصر ممتاز أقسم الله به ليُبيِّن مكانةَ هذا العصر.

ويَشمل هذا العصر أيضًا صلاةَ العصر، لأن صلاةَ العصر هي الصلاةُ الوسطى على أصح القولين، الصلاة الوسطى تمتاز على الصلوات الأخرى إذ يجتمع فيها الملائكة الذين ظلّوا فينا، والملائكة الذين ينزلون ليبيتوا فينا، وقد يحصل هذا المعنى في صلاة الصبح لذلك اختلف في الصلاة الوسطى، هل هي صلاة الصبح أو صلاة العصر، والذي يرجحه كثير من

---

(١) متفق عليه.

(٢) وهو قول عائشة رضي الله عنها [إرواء الغليل- ٨/ ١٨٦]

(٣) الشرح الثاني، الشريط الأول، من ٥٧"٩ إلى ٥٠"١٠

المحققين إنها صلاة العصر، فبناءً على ذلك العصر المراد به صلاة العصر.

أو ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ بمعنى الدهر، ليشملَ جميعَ العصور، لله حكمة في ذلك كله؛ أقسم الله بالعصر سواءً كان بهذا المعنى أو ذاك أو غيرهما، إنَّ جنسَ الإنسان في خسارة وفي هلاك، قد يخرج من هذا الجنس الأفراد، الذين عصمهم الله وهم الأنبياء، ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾ إلا اتصفوا بصفات الآتية: [الإيمان: يشمل الإيمان بالله، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.

❁ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: في جميع ما يجب الإيمان به، هذا من إعجاز القرآن: فعل واحد "آمنوا" شمل جميع أركان الإيمان] (1)؛ إلا الذين آمنوا بالله، آمنوا بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، آمنوا بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

ما هي الأصول التي تقدمت؟ العلم، وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ شمل المسألة الأولى بجميع ما ذكر الشيخ.

❁ ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: يشير إلى المسألة الثانية، العلم و العمل به.

العمل الصالح هو العمل الخالص لله الموافق لهدي رسول الله عليه الصلاة والسلام، يشمل باب العبادة، وباب الأعمال والأحكام، كله عمل صالح حتى الاقتصاد والسياسة والأخلاق داخل في العمل الصالح. [العمل الصالح هو الإسلام، هنا ذُكِرَ الإيمان وذُكِرَ العمل الصالح المراد به الإسلام، أي: العمل الظاهر] (2).

❁ ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾: الدعوة إلى الله، الدعوة إلى الإسلام، الحق ما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام، الحق لا يتعدد، واحد.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾: يدعو بعضهم بعضًا إلى الحق، إلى العقيدة، إلى تصحيح

---

(١) الشرح الثاني، الشريط الأول، من ٠٦"١١ إلى ٣٣"١١

(٢) الشرح الثاني، الشريط الأول ، من ٤٠"١١ إلى ٥٥"١١

العقيدة، إلى تصحيح العبادات، إلى تصحيح المعاملات، إلى التقيد بالشريعة في عباداتهم وأحكامهم واقتصادهم، وسياستهم، وجميع أعمالهم .

۞ ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: ومن يدعو هذه الدعوة العامة الشاملة ويحاول أن تتقيد الناس بالدين الإسلامي، الذي جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام، في عقيدتهم، في عباداتهم، في معاملتهم، في سياساتهم، واقتصادهم، وغير ذلك، لا بد أن يؤذى.

ولكن الله لطيف، في باب الإيذاء، يلطف بعباده: إذا علم الله من العبد الصلابة والقوة في إيمانه ابتلاه ابتلاءً عظيمًا، وسلط عليه أعداءه لِيُصَفِّيَه وليرفع درجته، لذلك أعظمُ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل(1).

وإذا علم الله من عبده الرقة والضعف في إيمانه، لطف به، وخفف عليه الامتحان والبلاء، كحالنا كما ترون؛ انظروا مَن قبلنا مِن الدعاة المصلحين بدءًا من الأنبياء، وانظروا إلى حالنا، أولئك ابتلوا ذلك الابتلاء لأن الله علم في إيمانهم القوة والصلابة، ولطف بنا ورَحِمَنا وخفف عنا الامتحان والابتلاء لِما يعلم منا، من الضعف والرقة في إيماننا، إنه بعباده لطيف خبير سبحانه.



---

(1) عن سعد قال: قلت لرسول الله ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال النبي ﷺ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب (وفي رواية: قدر) دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه و إن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**». [الصحيحة:١٤٣]

قالَ الشَّافِعيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لو ما أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً على خَلْقِهِ إلا هذه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وقال البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد:١٩]، فَبَدَأَ بِالعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

❁ **قالَ الشَّافِعيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: لو ما أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً على خَلْقِهِ إلا هذه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ**: هذا يدل على دقة فهمه رحمه الله وسعة فقهه: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»(١).

❁ **لكفتهم**: لأن الآية شملت أصول الدين وفروع الدين، لم تترك شيئًا، شملت معرفة الله، ومعرفة دينه، ومعرفة نبيه، شملت كل ذلك، وشملت الأعمال، وشملت الدعوة، وشملت الصبر في ذلك، لذلك الآية لم تترك شيئًا إذا وفق الله العبد إلى فَهْمِها، وفَهِمَها كما فَهِمَ الإمام الشافعي وغيره، وكما فهم هذا الإمام الذي استنتج منها هذه المعاني التي ذكرها قبل السورة، أخذها من السورة ثم ساق السورة.

❁ **وقال البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ**: جاء في بعض نسخ صحيح البخاري: "باب العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى: ﴿ **فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾ فبدأ بالعلم"، اختلاف لفظي، اختلاف النسخ، اختلاف تنوعي ولفظي، والمعنى واحد: البدء بالعلم قبل القول والعمل.

وهذا دليل على مكانة العلم، وأن العابدَ لا يجوز له أن يبدأ في العبادة إلا بعد العلم، وأن الواعظَ والمعلمَ والمرشدَ لا يجوز له أن يتصدى لذلك قبل العلم، أي يجب أن يدعو الناس إلى ما يعلم، وينصح الناس بما يعلم، ويُعَلِّمَ الناس ما يَعْلَم، وما لم يعلم يعتذر، يقول: "الله أعلم".

أما العابد الذي يريد أن يعبد الله على جهل، مُعْرِضًا عن العلم، في زعمه ملازمًا

---

(١) الصحيحة: ١١٩٤.

للصفوف الأُوَل، ومبكرًا إلى المساجد، ومُعْرِضًا عن العلم، هذا قد استولى عليه الشيطان وأبعده عن العلم. يجب أن ينصح بعض الذين يجتهدون في العبادة، وينقطعون إليها معرضين عنِ التَّعَلُّمِ، وجامدين على ما عندهم، ومقدسين لأنفسهم، والمخدوعين المغرورين بعبادتهم على جهل.

أقول هذا القول ليسمع بعض الصالحين، العُبّاد، الذين هم على جانب كبير من الجهل، فربما بعض زوار المدينة النبوية، وبعض الغرباء عندما يرونهم في الصفوف الأُوَل يحسبونهم من طلاب العلم ويسألونهم أسئلة، ويجيبون على جهل، أن يستحي أن يقول: "لا أعلم"، ولكنه يفتي بجهل فَيَضِلُّ فيُضِل، لذلك ننصح إخواننا العُبّاد أن يخصصوا أوقاتًا لطلب العلم، وأوقاتًا للعبادة، إذا يسر الله أمرهم وتفرغوا للعبادة وليس هناك ما يشغلهم، فليقسموا أوقاتهم إلى العبادة وإلى طلب العلم.

فليركزوا على طلب العلم، فليعلموا أن تعلم العلم الديني، عقيدةً وأحكامًا وخصوصًا في العبادة، من العبادة، طلب العلم من العبادة، العلم الشرعي طلبه من العبادة، العبادة أنواع، ليست العبادة مجرد الصلاة، وليست العبادة مجرد اتباع الجنازة، وليست العبادة مجرد لزوم الصف الاول، العبادة أنواع، نَوِّع عبادتك، وابدأ بالأهم، الأهم العلم، اطلب العلم، والعلم هو الذي يسهل لك العبادة ويجعلك تَتَذَوَّق العبادة وتحس للعبادة ذوقًا، وإلا سوف لا تنفعك عبادتك، خذ نصيحة حارة هكذا.



❁ **تساءَلَ بعضُ الطلاب حولَ العلم**: لما عَرَّفَ المؤلفُ العلمَ بالمعرفة، لأنه فرقنا بين العلم وبين المعرفة، المعرفة أعم، صِفتُنا التي هي الإدراك تسمى علم وتسمى معرفة، أي: إن العبد يوصف بالعلم، وعلمه يُطْلَقُ عليه المعرفة. فالله سبحانه وتعالى موصوف بالعلم، وعلم الله لا يطلق عليه معرفة، لأن المعرفة علم مكتسب مسبوق بجهل، أما علم الله تعالى ليس مسبوقًا بجهل، لذلك لا يطلق عليه معرفة.

إذن يَشْتَرِكُ العبد والخالق سبحانه في كثير من الصفات التي منها العلم؛ الله عليم فوصف عباده بالعلم: ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر:٥٣]، و﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات:١٠١]، وإنسان سميع بصير، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج:٧٥]، والإنسان حي، الله حي، ويوصف المخلوق بالعزة والحكمة والعظمة والملك، وكل ذلك من صفات الله تعالى، ولكن صفات الله كما يليق به، وصفات المخلوق كما تناسبه. وإن كان العلمُ حقيقة في حق العبد، كما أنه حقيقة في حق الرب سبحانه، ولكن الحقيقة غير الحقيقة، ليس هذا في هذه الصفات فقط بل لذلك نظائر: فمثلًا لفظة رأس، رأس جمل، ورأس جبل، ورأس ثور، ورأس إبرة، ورأس ذبابة، هذه الرؤوس كلها حقائق، وهل رأس الجبل كرأس الإبرة ورأس البعير؟ لا! ورأس الإنسان ليس كرأس الحيوانات الأخرى، والرؤوس كلها حقائق، هذا من باب التقريب على أن الأشياء حقائق كثيرة مختلفة في حقيقتها.

علم الله صفة ذاتية قديمة قِدَمَ الذات، علم الله صفة مُحيطة بجميع المعلومات، علم الله لم يُسْبَقْ بجهل ومحيط بجميع المعلومات كما قلنا ولا يَطْرَأُ عليه نسيان أو غفلة أو ذهول.

فعلمُ المخلوق حقيقةٌ، لكنه علم مكتسب مسبوق بجهل، غير محيط بجميع المعلومات: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء:٨٥]، يطرأ عليه النسيان، بل يذهب، علم الإنسان سوف يذهب الإنسان نفسه ذاهب.

إذن الاتفاق في اللفظ وفي المعنى العام لا بد منه لِنَفْهَمَ حقيقةَ هذه الصفات ولِنُفَرِّقَ

بين العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر إلى غير ذلك، إنما هذا الاشتراك في اللفظ وفي المعنى العام المطلق قبل أن يُضاف علمُ الله إلى الله، وقبل أن يُضاف علمُ المخلوق إلى المخلوق؛ فإذا أضيف علم الله إلى الله، وعلم المخلوق إلى المخلوق، لا تبقى هناك مشاركةٌ أبدًا، أي فالله منزه بأن يشارك العبد في حَقائق صفات علمه وفي مواصفات صفات علم المخلوق، من كونه مكتسبًا قاصرًا ذاهبًا.

ومستحيل أن يشارك العبد ربه في ذلك العلم المحيط بجميع المعلومات، العلم القديم، لذلك تسمى الإضافةُ هنا إضافةَ التخصيص، "عِلمُ الله" هذه إضافة من باب إضافة الصفة إلى الموصوف فهي إضافة التخصيص، تُخَصِّص العلم بالله كما أن إضافة علم العبد إلى العبد، إضافة الصفة إلى الموصوف وإضافة التخصيص، مستحيلٌ أن يُشارِكَ اللهُ سبحانه وتعالى في خصائص صفات العبد، قِسْ على هذا جميع الصفات التي فيها المشاركة في اللفظ، من السمع، والبصر، والحلم، والقدرة، والإرادة، وغير ذلك.



اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلَ الثَّلاثِ، والعَمَلُ بِهِنَّ: ....

۞ **اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ:** هكذا أسلوب الشيخ وأسلوب الأولين، هذا الخطاب يقال مُوَجَّه إلى كل من تتأتى منه المعرفة والعلم: "اعلم يا طالب علم، يا مَن يتأتى منه العلم والمعرفة، اعلم أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تَعَلُّمُ المسائلِ الثلاث"؛ كيف التركيب عندكم، في جميع النسخ هكذا: "تعلم الثلاث مسائل"؟ هذا التركيب في كثير من النسخ، تركيب غير سليم، وأنتم تعلمون أن الكتاب يطبع عدة مرات، ومرت عليه أيدي ومطابع، لا تظنوا بأن التعبير باقٍ على تعبير الشيخ، وهذا شأن كل كتاب، لا بد من تصحيف، لا بد من أخطاء مطبعية، ونحن نصحح على القاعدة تلك العبارة الصحيحة هي عبارة الشيخ، هكذا: "تعلم المسائل الثلاث"، المسائل موصوفة بالثلاث، يجب أن يكون كل منهما معرفة، المسائل موصوفة، الثلاث صفة، الصفة والموصوف كلاهما معرفان، الثلاث لأن : المفرد مسألة لذلك تُذَكَّر، هكذا التعبير السليم إن شاء الله، الذي هو الأصل قبل أن يقع شيء من التصحيف والأخطاء المطبعية، "تعلم هذه المسائل الثلاث".



الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ،..

۞ **المسألة الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا بل أرسل إلينا رسولًا فمن أطاعه دخل الجنة**: هذه المسألة تعتبر قاعدة، مسائل في الواقع بمثابة القواعد: فيها معرفة توحيد الربوبية، توحيد العلم والمعرفة، معرفة العبد بأن الله هو الذي خلقه وحده، وهو الذي رزقه وحده، ثم لم يتركه كالبهائم البُهُم، تأكل من رزقه فقط، بل شرف هذا الإنسان، هذا الحيوان الممتاز، شرفه الله بأن أرسل إليه رسولًا؛ هذا الرسول من بني جنسه، لم يكن مَلَكًا، أو جنيًا، لئلا يستوحش منه، بل بشرًا ولكن بشرًا اصطفاه الله واختاره ورباه تربيةً خاصة، وأدَّبه فأحسن تَأْديبه، وهيَّأَه لهذه الرسالة العظيمة العامة، فأرسل إلينا رسولًا.

جاء هذا الرسول ليدعو الناس إلى الله، هذه وظيفته: بشيرًا ونذيرًا، فمن أطاعه دخل الجنة إما من أول وَهْلَة، دون عذاب أو عقاب كالسبعين الذين تعرفونهم، أو دخل الجنة بعد أن استوجب النار، دخل الجنة بشفاعة رسول الله ﷺ، أو تساوت حسناته وسيئاته وأُمِرَ به إلى النار، يشفع فيه رسول الله ﷺ فيدخل الجنة؛ هؤلاء دخلوا الجنة قبل دخول النار، أو قد يدخل النار ولكن نار تطهير ومَآله إلى الجنة بشفاعة النبي ﷺ أو شفاعة الشافعين الآخرين أو بمحض رحمة أرحم الراحمين، ولكن مَآله إلى الجنة، هذا من أطاع النبي ﷺ. إنما تفاوتوا هذا التفاوت على حسب طاعتهم لرسول الله ﷺ وعلى حسب محبتهم الصادقة لرسول الله عليه الصلاة والسلام، لأن الناس تتفاوت في محبة الله، وفي محبة رسول الله ﷺ، وفي طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ، وكلٌ من أولياء الله، كل هؤلاء من أولياء الله ولكنهم درجات، لأن المؤمن وليٌ، والأولياء درجات، يظهر لكم من هذا، من أطاع الرسول ﷺ يختلفون في صفة طاعتهم وفي مبلغ طاعتهم لذلك يختلفون في دخول الجنة.



ومَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ [المزمل:١٥-١٦].

❁ **ومن عصاه دخل النار**: إما خالدًا مخلدًا، كَأَنْ كان عصيانه بالكفر، والشرك الأكبر، والنفاق الاعتقادي، أو دخل النار، نار تطهير، كَأَنْ كان عصيانه بما دون الكفر كما تقدم.

❁ **والدليل** على هذه المسأله العظيمة والقاعدة التي سبقت، **قوله تعالى**: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ (وهو محمد ﷺ) ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾: هذا الرسول المعرف هو الرسول السابق، ولكن النكرة إذا تكررت الثانية غير الأولى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾، هذا الرسول غير الرسول الأول، الرسول الأول هو محمد ﷺ والثاني موسى.

❁ ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾: الرسول الثالث هو عين الرسول الثاني، لأنه جاء معرفًا، أي: الرسول المعهود المعروف الذي أُرسل إلى فرعون السابق الذكر.

﴿ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾: أخذنا فرعون لما عصى الرسول أخذًا وبيلًا، كذلك أنتم إن عصيتم الرسول عليه الصلاة والسلام تؤخذون وتعذبون على اختلافٍ في التعذيب في الدنيا وفي الآخرة.



الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨].

۞ **المسألة الثانية: أن الله لايرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، لا مَلَك مقرب ولا نبي مرسل:** إذا كان الله لا يرضى أن يكون شريكَه في العبادة مَلَك، جبرائيل مثلًا، أو أشرف الخلق محمد ﷺ، لا يرضى أن يُدْعَى جبرائيل، ويستغاث بجبرائيل، ويذبح تقربًا إلى جبرائيل، وكذلك محمد ﷺ فما بال غيرهما؟! بمعنى: في باب الإشراك لا فرقَ بين أن يُشْرِك به الإنسان صالحًا أو طالحًا، مَلَكًا، أو نبيًا، أو جنيًا، أو إنسيًا، أو شيطانًا، أو حَجَرًا، أو شَجَرًا، المعنى واحد، لا فرقَ بين هذه الشِّركيات لأن العبادة حقٌّ محضٌ لله تعالى، لا يَسْتَحقُّها أحد، هذه من المعاني التي تغيرت كثيرًا وجددها بعض المجددين.

جَهِل كثير من الناس، ولا يزالون يجهلون في بعض الأقطار التفريق بين حق الله تعالى وحق رسوله ﷺ وحقوق الصالحين، يخلطون لا يعرفون ما هو حق الله على العباد وما هو الواجب بالنسبة للرسول ﷺ على المؤمنين، وما هو الواجب على المؤمنين نحوَ صالحي عبادِ الله، صالحي المؤمنين، هذه من المعاني التي تغيرت.

والتي يجب على طلاب العلم اليوم أن يقوموا بِدَوْر التجديد والإصلاح حيثما كانوا، ودعوتنا اليوم في الغالب الكثير دعوة تصحيح، تصحيح هذه الأخطاء، تصحيح العقيدة، وتصحيح العبادة، وليس معنى قولنا إذا قلنا ندعو إلى الله أن غيرَنا من الناس غير مسلمين وأننا ندخلهم إلى الإسلام من جديد، لا! هذا تصور خاطئ! مسلمون ولكن مسلمون دخلت عليهم بعض الأخطاء في عقيدتهم، وفي عباداتهم، وفي أحكامهم، ومعاملاتهم، واقتصادهم وسياساتهم، هذا هو الواقع.

وإن كان لا يمنع هذا أن يقوم الدعاة بدعوة التأسيس في غير المسلمين، الذين وفدوا على هذه البلاد باسم العُمّال، وهم كُثُرٌ في كثير من المناطق، يعيشون بين المسلمين ومما يظهر أنهم ربما فَهِمَ بعضُهم بحياتهم بين المسلمين بعضَ محاسنِ الإسلام، لذلك نراهم يعتنقون

الإسلام كثيرًا. هذه الدعوة دعوة تأسيسية، والدعوة الأولى دعوة تصحيحية، نحن علينا أن نعمل في المجالين.

۞ ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾: لفظة ﴿ أَحَدًا ﴾ يقال نكرة، واقعة في سياق النفي أو في سياق النهي، المعنى واحد. النكرة إن وقعت في سياق النفي أو في سياق النهي أو في سياق الاستفهام الإنكاري فهي تفيد العموم: ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ كائنًا مَن كان، لا تستغث بأحد غير الله: بنبي، بمَلَك، بعبد صالح، هؤلاء عباد الله، كلهم يرجون رحمة الله، فلا يُستغاث بهم، ولا يُدعَون، ولا يُذبح لهم، ولا نَذر لهم، ولكنهم نحبهم في الله. الصالحون نحبهم في الله، من الأنبياء ومن بعدهم، ونتقرّب إلى الله بمحبتهم، ومحبتهم عمل صالح، يتقرب به العبد إلى الله، فالمحبة شيء، ودعوتهم والاستغاثة بهم والنذر لهم والذبح لهم شيء آخر مغاير تمامًا.

فحبهم في الله طاعة وحبهم مع الله شرك، فيفرَّق بين الحب في الله وبين الحب مع الله.

إذا أحببتَ الصالحين في الله، لأجل الله، لكونهم صالحين، ما أحببتَه إلا لكونه صالحًا تقيًا ملتزمًا متمسكًا، فهو عمل صالح، تتقرب به إلى الله. لكن إن غَلَوْتَ فيه غلوًا، وأحببتَه مع الله، تُعامِله معاملة الخالق، تدعوه وتستغيث به وتجأر باسمه، كما تقول: "يا الله!" تقول: "يا فلان!"، هذا هو الحب مع الله من أكبر الشرك.



الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ صلى الله عليه وسلم، ووَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ ورَسُولَهُ، ولَوْ كانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

۞ مَنِ ادَّعى أنه موحد وأنه مطيع لرسول الله عليه الصلاة والسلام، إن صحت هذه الدعوى سوف تمنعه من أن يُحِبَّ مَن كان عدوًا لله، مَن يشاقِقُ الله، مَن يخالف الله ويخالف رسول الله ﷺ، ولو كان أقربَ قريب، لو كان والدَه أو ولدَه[1]؛ إن كان صادقًا في دعوى الإيمان بالله وبرسوله عليه الصلاة والسلام، ورأى أقربَ قريب محادًّا ومشاقًّا لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام، ويحارب رسول الله، ودين الله ؛ معاندًا، كافرًا، يجب أن يُقاتِلَه، ويَقْتُلَه، كما حصل ذلك لجماعة من الصحابة.

۞ في هذه النقطة يَجِبُ أَنْ نَتَرَيَّثَ ونفهم الحقائق، لئلا يَتَعَجَّل بعضُ الشباب.

الكفار قسمان: قسم يقال له الكافر الحربي، فالعلاقة التي بيننا وبينهم الحرب، ليس بيننا أي علاقة، عداوة وحرب. هؤلاء يجب قِتالهم، ولا تجوز موالاتهم[2]، بل لا تجوز

---

(١) وهذه المسألة هي مسألة الولاء والبراء وهو أصل مهم جدًا، وهو أن تحب في الله وتبغض في الله، وأن تحب لله وتحب مَن يحبه الله، وتحب ما يحب الله، كما قال ابن القيم (مدارج السالكين–ج١/ فصل الدرجة الثالثة من درجات الفناء فناء خواص الأولياء والأئمة): حقيقة تحقيق التوحيد: اتحاد مراد المحب مع مراد المحبوب، أي: اتحاد مراد العبد مع مراد خالقه ومولاه، أي: العمل بمرضاة الله، والمراد بالإرادة هنا هي الإرادة الشرعية الدينية وليست الإرادة الكونية القدرية، فلا يعمل العبد إلا بطاعة الله، وهذا هو تحقيق التوحيد. [من المطبوع لمحمود بن إبراهيم الطرابلسي]

(٢) **موالاة الكفار** تعني التقرب إليهم وإظهار الود لهم، بالأقوال والأفعال والنوايا [كتاب الإيمان لنعيم

مجاملتهم[1] ومداراتهم[2]، لأنه كافر حربي، إلى ذلك تُشير الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة:٥١] هؤلاء الكفار الحربيون.

وهناك كافر غير حربي، ذِمّي؛ فالكافر الذمي لا يجوز قَتْلُه، ويُجامل، ويُدارى ولا يُداهن[3]، ويُعامل في المعاملة الدنيوية، نبيع معه ونشتري، نُقْرِضُه ونستقرض منه، فيعامل هذه المعاملة، ونشتري منهم الأسلحة، ونبيع لهم ما لدينا من السلعة ، طالما ما هو غير محارب لنا إذا كان ذميًا، وفي حكم الذمي المُسْتَأْمَن؛ ومَن بيننا وبينهم الهُدْنة، ففي أيام الهُدْنة، يُعاملون هذه المعاملة[4].

ياسين]. **والموالاة لها خمسة معاني،** أو تكون بخمسة أشياء: أولًا: النصرة والتأييد؛ وثانيًا: المحبة والمودة؛ وثالثًا: المبالغة في التعظيم والاحترام؛ ورابعًا: كثرة المخالطة والمعاشرة؛ وخامسًا: التشبه بهم في أقوالهم وأفعالهم وهديهم؛ فهذه خمسة معاني من معاني الموالاة. [شرح نواقض الإسلام- عبد الله بن عبد الرحمن السعد]

(١) **المجاملة:** المعاملة بالجميل [لسان العرب]

(٢) **المداراة:** هي درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له. كالرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفه. [كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة]

(٣) **المداهنة:** هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومصانعة الكفار والعصاة من أجل الدنيا والتنازل عما يجب على المسلم من الغيرة على الدين. ومثاله الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرتهم وهم على معاصيهم أو كفرهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه. [كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة]

(٤) والفرق بين الثلاثة – الذمي، والمعاهد، والمستأمن –: أن الذمي هو الذي بيننا وبينه ذمة؛ أي: عهد على أن يقيم في بلادنا معصومًا مع بذل الجزية. وأما المعاهد؛ فيقيم في بلاده، لكن بيننا وبينه عهد أن لا يحاربنا ولا نحاربه. وأما المستأمن؛ فهو الذي ليس بيننا وبينه ذمة ولا عهد، لكننا أمناه في وقت محدد؛ كرجل حربي دخل إلينا بأمان للتجارة ونحوها، أو ليفهم الإسلام. [القول المفيد على كتاب التوحيد–

ولكن الذي يجب أن يفهمه الطلاب فَرْق بين هذه المعاملة وبين الموالاة: الموالاة وهي المحبة القلبية، فلا يجوز لك أن تحب الكافر كائنًا مَن كان وتَوَدَّه، إذ تَحْرُم مودتُهم ومحبتُهم ونصرتُهم؛ ولكن إذا كان غير حربي لا تحرم معاملتهم ومداراتهم ومجاملتهم.

وإذا كُنّا نحس أن بعض الكفار في حكم الحربين، ليسوا بحربيين فعلًا، ولكنه في حكم الحربي لأنه ظهير للكافر الحربي الذي بيننا وبينه الحرب، أي هو ظهيرٌ له، ومعينٌ له، إنْ كُنّا قادرين على محاربته حاربناه، وإلا نأخذ بالاستعداد: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ [الأنفال:٦٠].

أما كوننا ندخل معهم في الحرب ونحن غير معَدّين، وغير مستعدين للقتال معهم، هذه ليست بشجاعة هذا تَهَوُّر[1]، لا بد من الاستعداد من قبل الحرب معهم، وهذا موقف المسلمين اليوم مع الدول الكبرى كما يسمون، وهم إما حربيون أو في حكم الحربيين، ولكن المسلمين عاجزون عن مقاومتهم وعن محاربتهم لأنهم لم يُعِدّوا أنفسهم بعد.

فعلى المسلمين أن يُعِدّوا أنفسَهم بمصانع حربية كمصانعهم، حتى يكونوا قوةً قادرةً على حربهم. وأما أن نقف عند مصانع الكبريت والمعكرونة، وليس عندنا مصانع حربية، عاجزون، عجز القادرين على التمام، لسنا بعاجزين ماديًا، ولا من حيث الرجال، ولكن يسمى عَجْزُنا عَجْزَ القادرين على التمام:

وَلَمْ أرَ فِي عُيُوبِ النّاسِ شَيْئًا ... كَنَقصِ القَادِرِينَ عَلى التّمَامِ [2]

هذا هو عجزنا، قبل أن نعد أنفسنا فلنقف عند حَدِّنا وإلا سيستبيحون بيضتنا، ولكن نُعِدّ أنفسنا إعدادًا من جديد.

فيجب أن نُفرق في موقفنا بين الكافر الحربي وبين الذمي، والذمي غير موجود اليوم،

الشيخ العثيمين]

(١) (تهور) البناء ونحوه تهدم، وفلان وقع في الأمر بقلة مبالاة، وعلى غيره اعتدى عليه في طيش ونزق. [المعجم الوسيط]

(٢) الدواوين الشعر العربي على مر العصور ٤٧/ ٤١٢

وبين المستأمن والمعاهد وصاحب الهدنة، هؤلاء كلهم يعاملون معاملة خاصة، ولكن من حيث المودة والمحبة كلهم على حدٍّ سواء: لا تجوز موادة ومحبة وموالاة الكفار، ولو كان أحدَ الوالدين أو كِلَيْهما. لذلك عَلَّمنا ربنا سبحانه كيف نعامل الوالدين الكافرين، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾[لقمان:١٥]. إذا كان الوالدان لا يُطاعان إذا دَعَوَا الولد إلى الشرك وإلى الكفر وإلى معصية الله ورسوله، ولكن لا يمنع ذلك مصاحبتهما بالمعروف، ومصانعتهما، والإحسان إليهما، ومن برهما، لعل ذلك يكون سببًا لدخول الإسلام.

مشكلة المستقدمين عويصة خاصة إذا كانت أنثى؛ كافرة أو غير كافرة بلا محرم أو زوج، والكافرة أشد ، فتجلب إلى البيوت لتنفرد بالأولاد ، استقدموا ترفاً والمنافسة بين الأثرياء ، فهو الذي سبب المشكلة .

فيعاملوا معاملة المسأتمنين وأصحاب الهدنة فيؤمن على ماله ونفسه ، لأنه في حكم الذمي ، دون مودة ، وندعوه إلى الإسلام ، مع إظهار تعاملنا معه اضطراراً.

بل حضرنا في مجلس شيخنا ابن باز من يدخل في الإسلام . وواجب المسلمين معاملتهم معاملة حسنة لاستجلابهم إلى الدين .

❁ **والدليل قوله تعالى:** ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾: [الإيمان الصادق الكامل، ﴿ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ نفي الإيمان هنا قد يكون نفيًا للأساس وقد يكون نفيًا للكمال، لأن الموادات تختلف والمحادات كذلك تختلف، مخالفة أمر الله ومخالفة أمر رسول الله ﷺ هذه المخالفة قد تقف أحيانًا عند المعصية وقد تصل إلى الكفر، لذلك من حاد الله ورسوله إما يكون كافرًا أو يكون منافقًا وموادات الكفار والمنافقين تتنافى مع الإيمان.

وإذا كان الذي حاد الله ورسوله محادته لم تصل إلى درجة الكفر والنفاق، للمعاصي فقط، كراهته وبغضه تكون دون كراهة الكافر وبغض الكافر.

۞ ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾ أولئك الذين اتصفوا بهذه الصفات: من محبة الله تعالى، ومحبة رسوله، ومحبة أولياءه، وكراهة أعداء الله، وأعداء دين الله، مَنِ اتصفوا بهذه الصفات ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾ هذا جزاءهم ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

يقال أن الآية نزلت في أبي عبيدة بن الجراح عندما قتل أباه يوم أحد[1] لأن كان ممن حاد الله ورسوله؛ محبة الله الصادقة، ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة دين الإسلام، ومحبة أولياءه، وكراهة أعداء الله، هذه المعاني حملتْه على قتل والده.

هؤلاء، الشخص الذي نزلت فيه الآية، ومَنِ اتصف بصفاته، من المؤمنين من الصحابة ومن بعدهم إلى يومِنا هذا إلى أن يرث الله الأرض ومن فيها، هولاء الذين يسمون حزب الله.

القرآن قسم الناس إلى حزبين: حزب الله وحزب الشيطان، إذا رجعنا في نفس السورة، سورة المجادلة إلى الآية ١٩ تجد هناك حزب الشيطان: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾ قسم الله في كتابه وفي هذه السورة بالتحديد الناس إلى قسمين: إلى حزب الله وإلى حزب الشيطان. لا يقولَنَّ قائل بعد هذا: "أنتم الذين تفرقون بين الناس"، لا! القرآن هو الذي فرق بين الناس! الله بإرسال محمد ﷺ وإنزال الكتاب عليه فرق بين الناس: بين الأشقياء والسعداء، بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بين حزب الله

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في سننه عن عبد الله بن شوذب قال: جعل والد أبي عبيدة بن الجرّاح يتقصد لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة ، فقتله، فنزلت: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآية. وفي تفسير البغوي وزاد المسير: عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال: "ولو كانوا آباءهم" يعني: أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد.

وحزب الشيطان.

المؤمنون جميعًا صغيرهم وكبيرهم، كلهم إذا اتصفوا بهذه الصفات من حزب الله، وبالجملة المؤمنون من حزب الله ومِن أولياء الله، ولكن أفراد حزب الله يتفاوتون، وأولياء الله يتفاوتون، ليسوا بدرجة واحدة، أفضلهم الأنبياء وأفضلهم أولوا العزم ثم رسول الله ﷺ، فرسول الله في الطليعة، في طليعة حزب الله، في طليعة أولياء الله، ثم أولوا العزم، ثم أصحاب الرسالة، ثم جميع الأنبياء وأتباعهم، تجدون كيف يتفاوتون. وهؤلاء المؤمنون الذين يعيشون في هذا الوقت إذا تمسكوا بما كان عليه أسلافهم هم من أولياء الله ومن حزب الله.

ومن خالف طريقتهم، وصدَّ عن سبيل الله، ونسي ذكرَ الله، لا يَذْكُرُ اللهَّ إلاَّ قَلِيلًا، وشغلته شهواته وملذاته وهواه، وانصرف عن الله وعن دين الله، لا يحب الله ورسوله ولا يحب أولياءه بل يوالي أعداءه، هؤلاء حزب الشيطان، وهم يتفاوتون أيضًا، بل الكفار من حزب الشيطان والمنافقون الذين هم في درك الأسفل من حزب الشيطان، والمعرضون المنتسبون إلى الإسلام في الظاهر وهؤلاء كذلك من حزب الشيطان، ولكن يتفاوتون تفاوتًا كما تفاوتَ حزب الله في درجاتهم، كذلك حزب الشيطان يتفاوتون في دركاتهم.

ولا ينبغي للمسلمين أن يُدْخِلوا على هذا التقسيم تقسيماتٍ أخرى ليُزداد جماعات، الجماعة الفلانية والجماعة الفلانية، ويكون الولاء باسم الجماعة تحت نظام الجماعة، وتكون المحبة تحت نظام الجماعة لا تحت نظام الإسلام، هذا تغيير في دين الله، يجب أن يكون الحب والبغض في الله؛ أما تحب الشخص لكونه من تنظيمك أو من فصيلتك، تحبه لأنه من فصيلتك أو من جماعتك، وتكرهه لأنه ليس من الجماعة ولا هو من المتعاطفين معه، فضلًا من أن يكون داخلًا في فصيلة من الفصائل بل خارج، تعتبر المسلم ذلك الذي دخل في التنظيم وأعطاك البيعة في ظلام الليل ووراء أبواب المغلقة ليكون التعاون تحت هذه البيعة، هذا إفساد للقلوب وتفريق بين قلوب المؤمنين الذين اجتمعت على حب الله وحب رسول الله وحب دين الله، فرقوهم وجعلوهم جماعات، وهم كلهم مسلمون، هذا من أخطر الدعوات التي تؤثر في شبابنا، ونخاف عاقبتها على شبابنا لأننا جربناه في غيركم، وقد

فرقتهم وخرجوا في الشوارع، في المظاهرات بعضهم ضد بعض، ثم في المعتقلات والسجون، وأعيانهم يأخذ الشنطة الدبلوماسية، ضحينا بشبابنا، وشبابنا في السجون وشبابنا في المعتقلات عن أي شيء؟ لأي سبب؟ هل في سبيل الله؟ لا، في سبيل الهوى! إنما دعوتَ الشباب وضيعتَهم، بايعوا لمن؟ يبايعون لمجهول.] [1]



(١) الشرح الثاني، الشريط الأول، من ٣١"٣٠ إلى آخره.

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

۞ **اعلم أرشدك الله**: اعلم يا طالب العلم، يا من يتأتى منه العلم، اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم.

۞ **ملة إبراهيم**: إما بدل أو عطف بيان من الحنيفية. كأنك تقول: إن الحنيفية، يعني الملة، التي هي ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين. هذه ملة إبراهيم، وملة مَن جاء مِن بعده من الرسل من أولاده لأنه أبو الأنبياء.

۞ **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**: [مخلصًا له الدين حتى لا يدخلَ عليك شركٌ في عبادتك، الشرك الأكبر ولا الشرك الأصغر، الذي يُنافي الإخلاص وإن كان حكمهما يختلف، حكم الشرك الأصغر وحكم الشرك الأكبر يختلف، لكنهما يُؤَثِّران في الإخلاص ويُؤَثِّران في عملك. الشرك الأكبر كالاستغاثة والدعاء والذبح والنذر، هذا كفرٌ بواح، يُبْطِلُ عملَك. أما الشرك الأصغر الذي منه الرياء، الذي منه اليمين، الحلف بغير الله، وقول الرجل: "ما شاء الله وشِئْتَ"، إلى غير ذلك، هذا نوع من الشرك وذريعة إلى الشرك الأكبر؛ مَن وقع في هذا لا يُحكمُ عليه بأنه كافر، ولكن لو قارن هذا الشرك عملك من أوله، أي: إنما صليتَ رياءً ليس لك هدف في الصلاة إنما رياءً، لما علِمتَ بأن مسؤولًا، أنتَ بحاجة إليه، دخل وتجول في المسجد، بدأتَ أن تُصلي ليراك ولعله يسعى في ترقيتك وفي تعيينك. إذن الباعث على الصلاة هدف آخر، غير إرادة وجه الله، هذا عمل باطل لا ثواب له. ولكن لو بدأتَ أن تصلي وطرأ هذا الرياء على عملك، إن دافعته وقاومتَ يُرجى أن يبقى عملك سليمًا صحيحًا إن شاء الله خالصًا لوجه الله، وإنِ استسلمتَ يكون حكمه كحكم من بدأ

عمله رياءً] (١).

❁ **وبذلك أمر الله جميع الناس**: لكن الآية التي يستدل بها المؤلف على هذا الحكم قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾، لا بد من التوفيق بين المدلول والمدلول عليه، المدلول عليه هو هذا الحكم: "أمر الله جميع الناس" بينما الآية تدل على أن الله خلق الجن والإنس جميعًا لعبادته. إذن كان الأولى أن تكون العبارة هكذا: "وبذلك أمر الله الجن والإنس وخلقهم لها"، ليتفق الدليل والمدلول عليه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾، فخلق الله الثقلين لعبادته فيوحدوه، ويعرفوه، ويوحدوه، ويعبدوه وحده.

﴿ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [اللام هنا عند أهل اللغة يسمونها لام التعليل وهي لام الحكمة وهذه اللام هي التي انكرتْها الأشاعرة، لا يثبتون لفعل الله تعالى حكمةً أو عِلةً وإنما تقع أفعال الرب عندهم بمجرد تعلق الإرادة بها(٢)، وفي زعمهم يعتبرون هذا تنزيهًا وهذا خطأ،

(١) فمما لا شك فيه أن أشد شيء على النفس هو الإخلاص، إذ النفس البشرية مجبولة على حب المدح والثناء إلا ما ندر، ولذا نجد المؤمن يجاهد نفسه للتخلص من تلك الآفة، قال الإمام السوسي: "الإخلاص فقد رؤية الإخلاص، فإن من رأى في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص".
وقال الفضيل بن عياض: "العمل لأجل الناس شرك، وترك العمل لأجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما". قال النووي معلقًا على كلامه: "إن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراه الناس فهو مراء؛ لأنه ترك العمل لأجل الناس".
يقول ابن حزم رحمه الله: " وأما الرياء، فلا يمنعكم خوف الرياء أن يصرفكم عن فعل الخير، لان لإبليس في ذم الرياء حبالة ومصيدة، فكم رأيت من ممتنع من فعل الخير خوفًا أن يظن به الرياء، ولعلكم قد امتحنتم بهذا، ولكن اصفوا نياتكم لله تعالى".

(٢) مذهب الأشاعرة: أن أفعال الباري تعالى ليس معللة بالأغراض والمصالح والغرض، ما لأجله يصدر الفعل عن الفاعل، ويقولون: إن الله تعالى يفعل هذه الحوادث عند الأسباب المقارنة لها، وإن ذلك عادة محضة، ويجعلون اللام في أفعاله لام العاقبة، لا لام التعليل كما هو مقرر محرر. [لوامع الأنوار البهية للسفاريني].

بل للرب سبحانه وتعالى لا يفعل فعلًا ولا يخلق خلقًا ولا يشرع تشريعًا إلا لحكمة، الحكمة تقابل العبث، خلقُ الله للجن والإنس ليس عبثًا بل ليكونوا عبيدًا له، مخلصين له الدين، وشرع التشريع، وفعل الأفعال كلها لحكمة يعلمها. الحكمة قد تُعلم وقد لا تُعلم وأما هنا فقد عُلِمتِ الحكمة بهذه الآية الصريحة في بيان الحكمة. إذن خَلَقَ الجن والإنس لعبادته ولتوحيده وليكونوا عبيدًا له، عبيدًا يُكرِمهم أولًا بطاعته والتوفيق، ثم يكرمهم في دار الكرامة، سبحانه، يكرمهم بالإيمان، هو الذي وفقهم إلى الإيمان، وهو الذي وفقهم إلى العمل الصالح، وهو الذي تقبل منهم ذلك وجعل ذلك جزاءً لدخول الجنة فأدخلهم الجنة، فكل ذلك فضل منه، وليس بواجب على الله أن يوفق العباد إلى الإيمان، إلى العمل الصالح، ثم إدخالهم الجنة بعد أن قابل منهم تلك الأعمال. وليس بظلم إذا خذل مَن خذل ولم يوفقهم لا إلى الإيمان ولا إلى العمل الصالح ودخلوا النار، ذلك عدل، أفعال الرب سبحانه وتعالى تدور بين الفضل وبين العدل، لا ظلم هناك][1] .



(١) الشرح الثاني، الشريط الثاني، من ٤٠"٧ إلى ٤١"٩.

وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ»: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ به: التَّوْحِيدُ، وهو إِفْرَادُ الله بِالعِبَادَةِ.

۞ **وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ»: يُوَحِّدُونِ**: فسر معنى يعبدون بـ"يوحدون"، هذا معنى من المعاني، لأهل العلم عدة تفاسير: ليعبدونِ، ليعرفونِ، ليخلصوا لي العبادة، ولكن كلمة "يوحدونِ" أشمل، ولعل لذلك المؤلفَ اختار هذا التفسير.

۞ **وأعظم ما أمر الله به: التوحيد**: الله سبحانه وتعالى أمر بأوامرَ كثيرةٍ، وأعظمها إفراد الله تعالى بالعبادة، وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وفسر التوحيد بإفراد الله وتعالى بالعبادة، وزِد على ذلك: إثبات ما أثبتَ الله لنفسه من الصفات، وما أثبتَ له رسوله ﷺ، وتنزيه الله عن النقائص والعيوب ومشابَهَة المخلوقات، كل ذلك مما جاء به رسول الله ﷺ واشتمل عليه الكتاب والسنة. وأما توحيد الربوبية كما سيأتي، إنما يُذْكَر لِيُستدل به على توحيد العبادة، أي: إنَّ توحيد الربوبية يستلزم توحيد العبادة، لذلك يذكر من باب الاستدلال به على توحيد العبادة، وتوحيد العبادة يتضمن توحيد الربوبية.



وأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه: الشِّركُ، وهو: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء:٣٦].

۞ **وأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه: الشِّركُ، وهو: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ. والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾: هل الشرك دعاء غيره معه أو أعم من الدعاء؟ الشرك أعم من الدعاء، والدعاء نوع معين من أنواع العبادة، ولو قال: "وهو عبادة غيره معه"، لكان أولى وأشمل، ليشمل الدعاء وغير الدعاء كالذبح والنذر وغير ذلك، بدليل الآية التي يستدل بها قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ في عبادته، في الدعاء، والاستغاثة، والذبح، والنذر، والتوكل، والرهبة، والرغبة، وغير ذلك من أنواع العبادة، هذا تفصيل جزئي.

[المراد بالشرك هنا الشرك الأكبر، وإن كان الشرك الأصغر مما نهى الله عنه لكن دون الشرك الأكبر من حيث الحكم، لأن الشرك الأصغر لا ينقل صاحبه من الملة، والشرك الأكبر كفر ينقل فاعله من الملة. ينبغي أن نفرق بين الشركين: الشرك الأصغر يعتبر من كبائر الذنوب، مَن مات على الشرك الأصغر قبل أن يتوب حكمه حكم عصاة الموحدين، بخلاف مَن مات على الشرك الأكبر فهو كافر خالد مخلد، يجب أن نفرق بين الأمرين.

۞ **والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾: لو قيل: وأعظم ما نهى عنه الشرك أنه يشمل الأصغر والأكبر ما أبعد النجعة[1] مَن فصل هذا التفصيل، بدليل الآية: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ : ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ﴾ لا الشرك الأكبر ولا الشرك الأصغر، ﴿شَيۡـٔٗاۖ﴾: نكرة في سياق النفي أو في سياق النهي كما تقدم تَعُم، ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ

---

(١) (نجع): نَجَعَ فيه الخِطاب والوعظ والدَّواء أي: دخل وأثر، وبابه خضع، والنُّجْعَةُ بوزن الرُّقعة طلب الكلإ في موضعه. [مختار الصحاح]

شَيْئًا ﴾: لا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا ولا عبدًا صالحًا، لا أحدًا يستحق العبادة غيرَ الله.] [1]
هنا لخص المؤلف كل ما سبق .

❁ ❁ ❁

(١) الشرح الثاني، الشريط الثاني، من ٤٣"١١ إلى ٠٥"١٣.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التي يَجِبُ على الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، ودِينَهُ، ونَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ الله،الَّذي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وهو مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

۞ الأصول جمع أصل، والأصل ما يَنْبَني عليه غيره. فجميع واجبات الدين تَنْبَني على هذه الأصول الثلاثة، من صلاة، وزكاة، وحج، وغير ذلك، كلها تنبني وترجع إلى هذه الأصول الثلاثة.

إذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها التي سبق تفصيلها، **فقل**: معرفة العبد ربه، ومعرفة العبد دينه، ومعرفة الإنسان نبيه محمدًا ﷺ، وقد تقدم التفصيل في ذلك ما المراد بمعرفة الله، ومعرفة دين الله، ومعرفة نبيه عليه الصلاة والسلام.

۞ **فإذا قيل لك من ربك؟ فقل ربي الله**: الذي أعبده هو ربي لأنه لا يستحق العبادة إلا الرب، أي: إلا الخالق المربي.

۞ **ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته**: وبذلك استحق العبادة، أما الذي لا يخلق ولا يرزق ولا يربي لا يستحق العبادة، فعبادته ظلم. النعمة إذا أضيفت تشمل، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤]، أي: نعم الله.

۞ **ربى جميع العالمين بنعمه**: أي: بنعمه التي لا تعد ولا تحصى: نعمة الإيجاد، نعمة الهداية، نعمة الإسلام، نعمة الإيمان، نعمة الحفظ، ونعمة الأمن والأمان، وغير ذلك.

۞ **وهو معبودي**: الأنسب هنا أن تكون فاء الفصيحة: "فهو إذن معبودي"، إذا كان هو الذي خلقني ورباني وربى جميع العالمين بنعمه، فهو معبودي، ليس لي معبود سواه؛ فهو وحده معبودي: تعريف جُزْئَي الإسناد يدل على الحصر، "فهو" المبتدأ معرفة، "معبودي" الخبر معرفة لأنه مضاف إلى ياء المتكلم، "فهو معبودي": فهو وحده معبودي لا

أعبد إلا إياه، ولذلك الجملة الثانية، تعتبر جملة تفسيرية: ليس لي معبودٌ سواه.

ومَن عبد غير الرب الخالق المربي للعالمين بنعمه فقد ظَلَمَ، لأنه وضع العبادة في غير موضعها، والظلمُ وَضْعُ الشيء في غير موضعه.



والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]. وكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وأَنَا واحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العالَمِ. فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

۞ ما **الدليل** على كل ذلك؟ **قوله تعالى:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خالقِ العالمين، مربي العالمين.

ما هو العالم؟ العالم كل ما سِوى الله.

۞ **وأنا واحد من ذلك العالم:** فالله سبحانه وتعالى إذن هو الذي يستحق العبادة وحده لأنه هو المنعم المتفضل على العالم.

۞ **فإذا قيل لك بم عرفت ربك؟** ما الدليل، وما هي العلامات، وما هي الآيات التي عرفتَ بها ربك؟ لأن الله سبحانه وتعالى احتجب في هذه الدنيا، لا يُرى: «**فإنكم لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا**»[1].

إذن الإيمان بالله تعالى من الإيمان بالغيب لأنه غائب عن نظرك ورؤيتك، وإن كان شاهدًا معك، لا يغيب عنك بعلمه وسمعه وبصره فهو معك، هذه معية خاصة أو معية معنوية غير حسية، لكن حِسًّا فهو غائب عنك، لذلك الإيمان بالله من الإيمان بالغيب، يحتاج علامة وأدلة تدل على وجود الله تعالى، ما هي؟



---

(١) صحيح الجامع: ٢٤٥٩

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ ومَخْلُوقَاتِهِ، فمِن آياته: الليل والنهار والشمس والقمر، ومِنْ مَخْلوقاتِهِ: السَّماوَاتُ السَّبْعُ والأَرَضُونَ السَّبْعُ ومَنْ فِيهِنَّ، ومَا بَيْنَهُمَا؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت:٣٧].

۞ **فَقُلْ: بآياته ومخلوقاته:** عطف خاص على العام، والآيات تشمل الآيات المخلوقة والآيات المتلوة، والمخلوقات أخص.

۞ **فمِن آياته: اللَّيْلُ، والنَّهَارُ، والشَّمْسُ، والقَمَرُ:** هذه آيات مخلوقة، أي: علامات على وجود الرب سبحانه وتعالى، وعلى قدرته وإرادته وعلمه وعزته وسمعه وبصره.

۞ **ومن مخلوقاته: السماوات السبع والأرضون السبع:** هذه كذلك مخلوقات وفي الوقت نفسه آيات، لا فرق بين هذه الآيات والتي قبلَها.

۞ **والدليل قوله تعالى:** ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ﴾ الدالة عليه ﴿ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ لأنها من المخلوقات ﴿ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ ﴾، هو الذي يستحق السجود، ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾.

[إذن أقام الله أدلةً وعلامات يعرف بها العبد ربه، إذا فكر الإنسان يجب أن يفكر في مخلوقات الله تعالى بدءًا من نفسه، إذا فكر في نفسه وفي المخلوقات التي حوله وما يتجدد ليلًا ونهارًا وفي كل ساعة وفي كل ثانية في هذا الكون وفي السماوات وفي الأرض والشمس والقمر، إذا فكر في هذه المخلوقات يخرج من نتيجة: إنها هذه المخلوقات لها خالق، لماذا؟ لأن القِسمة ثُلاثية: لأن هذا المخلوق إما أن يخلقه خالق، وإما أن يخلق نفسه، وإما أن يُخلَقَ بلا خالق؛ قسمتان مستحيلتان ومستبعدتان، كون مخلوق يُخلَق بلا خالق، والموجود يوجَد بلا موجِد، والمحدَث يحدث بلا محدِث مستحيل عقلًا قبل الشرع؛ وكون هذا المخلوق المحدَث خلق نفسه مستحيل أيضًا. إذن لا يتصور عقلًا أن يخلق المخلوق نفسه وأن يحدث المحدَث

نفسه.

بقيتِ القسمة الثالثة هي الصحيحة: إن لهذا المخلوق خالق ولهذا المحدَث محدِث ولهذا الكون مكون ولهذا الصنع صانع وهو الله سبحانه.

بقي بحث آخر: يلزم من كونه خلق هذا الكون بهذه الصورة أنه مخالف لمن خلق، ليس مثل الذي خلقه، لو كان مثل مخلوقه يكون عاجزًا غير قادر، يكون علمه غير محيط بجميع المعلومات، يتصف بصفات المخلوقين ولا يصلح أن يكون خالقًا. إذن ذلك الخالق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى]. هكذا نقرر بالدليل العقلي المأخوذ من الدليل الشرعي وجود الله وأنه هو الخالق وحده] [١].



(١)الشرح الثاني، الشريط الثاني، من ٤٥"١٥ إلى ٤٧"١٧.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

۞ هذه الآية أول آية من الآيات السبع التي تدل على استواء الله تعالى على عرشه، آية سورة الأعراف هي الآية الأولى، ما هي السورة الثانية؟ سورة يونس، الثالثة: الرعد، الرابعة: سورة طه، الخامسة: سورة الفرقان، السادسة: سورة السجدة، السابعة: سورة الحديد. الآيات السبع في هذه السور السبع، هي التي تدل على استواء الله تعالى استواءً يليق به على عرشه. وأما الأدلة الأخرى الكثيرة التي تدل على علو الله تعالى فهي أيضًا دليل آخر على هذا الاستواء لأن الاستواءَ علوٌّ خاصٌّ بالعرش.

فطلاب العلم يفرقون بين العلو وبين الاستواء: الاستواء صفة فعلية لذلك تَجَدَّدَت، وأما العلو فصفة ذاتية دائمة ثابتة، ثبوت الرب سبحانه وتعالى لا تُفارق، أي: لا يزالُ اللهُ في علوه دائمًا وأبدًا، حتى في حال نزوله إلى سماء الدنيا في آخر كل ليلة، وحتى في وقت مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء، فهو لا يزال في علوه، العلو صفة ذاتية ثابتة قديمة قدم الذات. وأما الاستواء فصفة فعل، الاستواء علو خاص بالعرش، وأما العلو فهو علو الله تعالى على جميع مخلوقاته، وأنه بائنٌ من خلقه بذاته، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، بهذا يُعْرف الرب سبحانه وتعالى ويَتميز من جميع المخلوقات.

وأما القائلون بأن الله في كل شيء، وفي كل مكان، فهم لم يعرفوا ربهم بعد، فليتعلموا من جديد، فليطلبوه في علوه، وليدعوه في علوه، وليجأروا باسمه في علوه، ويخافوه من فوقهم، بذلك يعرفون ربهم، وقبل ذلك فهم مضطربون غير عارفين بربهم.

۞ ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾: فالخلق له هو الخالق وحده، والأمر له فهو الآمر وحده، ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.



والرَّبُ هُوَ المَعْبُودُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

۞ **والرب هو المعبود:** انتبهوا لهذا التفسير، ليس معنى هذا تفسير الربوبية بالعبودية، لا! بل يريد أن يقول الشيخ: والرب هو المستحق للعبادة لكونه ربًا خالقًا، أي: يريد أن يستدل بالربوبية على الألوهية كما تقدم في الآيات. وإلا، الرب بمعنى الخالق المربي، والمعبود بمعنى الإله، نفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة، ولكن نستدل دائمًا بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة، وهذا ما أراده الشيخ رحمه الله.

۞ **والدليل قوله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾: هذا هو وجه الاستدلال، ﴿ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ لأنه هو الذي خلقكم، أما الذي لا يخلق ولا يرزق فلا يستحق العبادة.

۞ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ﴾: [المراد بالسماء هنا الأجرام، لأن السماء تطلق ويراد بها العلو، لفظة "سماء" تطلق ويراد بها العلو، وتطلق ويراد بها السحاب، وتطلق ويراد بها المطر، وتطلق ويراد بها الأجرام المبنية: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ﴾ [الذريات:٤٧]، إذن المراد هنا ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ﴾ بناءً محكمًا وله أبواب، لتلك المباني أبواب، لكل بناء باب، لا يدخل كل إنسان كما يشاء، وعلى الأبواب حراس، إنما يستأذن، الذي أراد الله له الدخول يستأذن، فيطرق الباب فيفتح الباب، لنعلم أن هذا الذي يسمون الفراغ المَوْهوم الذي تحت الأجرام يسمى سماء. ولكن إذا أُطلق لفظ "سماء" مع البناء فتلك الأجرام المحكمة التي أخبر عنها النبي عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء والمعراج كما تعلمون.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: السماء هو السحاب،] [1] ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: انظروا إلى غاية الفصيحة، إذا كان هو الذي فعل ذلك وانفرد بهذه الأفعال، بأفعاله هكذا الذي تقدم ذكرها، إذن لا تجعلوا له أندادًا: تحبونهم كحب الله، وتعبدونهم كما تعبدون الرب الخالق، تعبدون مخلوقًا مثلكم وهو لم يخلق ولم يرزق، بل هو نفسه خُلق وبحاجةٍ إلى مَن يرزقه، إلى ربه سبحانه.



(١) الشرح الثاني، الشريط الثاني، من ٠٢"٢٧ إلى ٤٧"٢٧.

قالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ».

وأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، والإِيمَانِ، والإِحْسَانِ، ...

❁ **قال ابن كثير رحمه الله تعالى بعد هذه الآية: «الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة»**: يقرر ما قلنا، هذا أسلوب القرآن وهو الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة.

❁ **وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان:** أين الخبر؟ "أنواع" مبتدأ، الخبر محذوف: "وأنواع العبادة التي أمر الله بها كثيرة". في إمكانك أن تجعل "مثل الإسلام والإيمان... إلى آخره" الخبر، ولكن فيه ركة[1] في المعنى، المعنى الواضح أن تقدر الخبر، والإيجاز بحذف الأخبار أسلوب عربي معروف، "وأنواع العبادة التي أمر الله بها كثيرة": مثل الإسلام وهو الاستسلام، أي: الأعمال الظاهرة، ومثل الإيمان. إذا ذكر الإسلام والإيمان معًا مثل هنا، ومثل ما في حديث جبرائيل، يُفسَّر الإسلام بأعمال الجوارح والإيمان بأعمال القلوب. أعمال الجوارح من العبادة، من صلاة، وزكاة، وغير ذلك؛ وأعمال القلوب من خشية، ومحبة، ورضا، ومراقبة، كل ذلك من الأعمال القلبية التي هي من شعب الإيمان. والإحسان أدق من الإيمان وأخص؛ الإسلام أشمل، ثم الإيمان، ثم الإحسان.



---

(١) (ركك): رَكَّ الشيء يرك بالكسر رِكَّةً و رَكَاكَةً رق وضعف. [مختار الصحاح]

❁ **ومنه**: الضمير يعود على أي شيء؟ العبادة مؤنث، وأنواع جمع، وكل جمع مؤنث، أين المذكر الذي تقدم ذكره حتى يعود إليه الضمير؟

الصحيح الصواب: "ومنها"، أي: من أنواع العبادة؛ لاحظوا تصحيح الألفاظ**!** يقولون: المعاني تحت المباني، لا بد من تصحيح المباني. وعندما نصحح الألفاظ ليس معنى ذلك أننا نعقب على الشيخ، كما قلتُ سابقًا الكتاب طبع عدة مرات والأخطاء المطبعية واردة، وواردة كثيرًا خصوصًا في هذا الوقت، ونحن إنما نصحح الأخطاء المطبعية، انتبه**!**

"ومنها"، أي: من أنواع العبادة الكثيرة: الدعاء، ومنها الخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، إلى آخر ما عدد هنا الشيخ.

❁ **الدعاء**: سيأتي الدليل على ذلك: «**الدعاء هو العبادة**»(١) و«**الدعاء مخ العبادة**»، والشيخ سوف يستدل بـ: «**الدعاء مخ العبادة**»، وأصح منه: «**الدعاء هو العبادة**»، ولكن المعنى واحد.

«**الدعاء مخ العبادة**»(٢) وإن قال بعض أهل العلم أنه ضعيف من حيث الإسناد ولكنه صحيح من حيث المعنى، لأن الحديث الثاني يشهد له والمعنى سليم. «**الدعاء هو العبادة**» ولفظة "هو العبادة" قد تكون أقوى لأن فيه تعريف جُزْئَي الإسناد، وتعريف جُزْئَي الإسناد عند علماء البلاغة يفيد الحصر والقصر، أي: الدعاء وحده هو العبادة؛ لأن الدعاء يدخل فيه دعاء طلب ودعاء مسألة، كل العبادات: الصلاة دعاء، والزكاة دعاء، والحج دعاء، والصيام دعاء، هذه دعاء عبادة، وهناك دعاء طلب: "اللهم اغفر لي وارحمني"، كل ذلك داخل في قوله الدعاء.



(١) صحيح أبي داود:١٣٢٩، صحيح الترمذي:٢٥٩٠، صحيح ابن ماجه:٣٨١٨.

(٢) ضعيف بهذا اللفظ، الروض النضير (٢/ ٢٨٩)، المشكاة (٢٢٣١)، ضعيف الجامع الصغير (٣٠٠٣)، جامع الترمذي (٣٣٧١).

۞ **والخوف:** الخوف ينقسم إلى قسمين: خوف العبادة وخوف طبيعي. خوفك من الأسد، وخوفك من العدو وتهرب منه، وقد تخرج من بلدك خوفًا من عدو ومن جبار، هذا الخوف خوف طبعي، ليس خوف عبادة، لا يؤثّر.

إنما خوف العبادة الخوف السري كخوف المريد والدرويش من الشيخ، شيخ طريقته، يخاف من سره، يخشى أن يطلع الشيخ على ما في ضميره فيضره في إيمانه، في نفسه، في أهله وماله، وربما يخاف حتى على إيمانه، يسلب إيمانه. يعني الدراويش والمريدين يؤمنون بمشائخهم أشدَّ من إيمانهم بالله رب العالمين، ويخافون من شيوخهم أشد من خوفهم من الله، يفعلون ما يشاءون مما يُسْخِطُ الله ولا يبالون، اعتمادًا على سعة رحمة الله: "الله أرحم الراحمين، يرحم يغفر، ولكن الشيخ أبدًا لا يرحم، إذا اطلع على ما في ضميرك لا يرحمك!" أين الإيمان، أين الإسلام مع هذا الاعتقاد؟!

وهذا الذي نقوله ليس من أساطير الأولين، أشياء واقعة الآن في كثير من الأقطار وعند كثير من الناس، يجلس المريد أمام الشيخ جِلْسَةَ الكلب أمام سيده، مُطَأْطِئًا رأسه على الأرض، خائفًا يكاد أن يضع يده على قلبه ليحافظ على ما في صدره، لئلا يخطر بقلبه خاطر لا يرضي الشيخ فيهلك. هذا هو خوف العبادة الذي هو الشرك الأكبر، مَن بلغ به الخوف من الشيخ إلى هذه الدرجة فهو مشرك شركًا أكبر، صلى أو صام.



۞ **والرجاء**: [إذا رجوتَ مِن إنسان ما أن يعطيك كما يستطيع، كأن ترجو منه أن يعيرك كتابًا، ترجو منه أن يقرضك، مثل هذا الرجاء ليس من أنواع الشرك، إنما يكون الرجاء شركًا إذا رجوتَ من مخلوق ما يملكه إلا الخالق، ترجو منه العافية، ترجو منه النجاح في الاختبار، وهذا ربما يوضحه مثال قرأته في فترة طويلة في كتاب للشيخ عبد الرحمن الوكيل إما في كتابه "هذه الصوفية" أو في كتابه "دعوة الحق"، يذكر ويعبر عن نفسه أنه كان أسيرًا عند المتصوفة فأثروا فيه بعقيدتهم، ويذكر أنه كان طالبًا فدخلوا قاعة الاختبار فوُزعت الأوراق، بعد توزيع الأوراق وضعوا الطلاب الأوراق والأقلام، فقاموا فتوجهوا إلى الإمام الشافعي يرجون له لينجحوا، يطلبون منه النجاح، الشيخ الإمام، ولا يستغرب هذا من الشباب الصغار الذين تربوا في أحضان المتصوفة، ولكن الغريب ماذا كان موقف المشرف؟ الشيخ الذي يشرف عليهم، الأستاذ؟ قال لهم: "بس يا أولادي الإمام سمع، اقعدوا!!" فقعدوا[1]. هكذا المربي والأستاذ المشرف، يُوهِمُهُم بأن الإمام الشافعي سمع رجاءهم ونداءهم فأقعدهم، فهو ما يدري ولم يلق باله لهذه الكلمة الشركية التي فيها دعوة إلى الشرك

(١) يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل في مقدمة كتابه "هذه هي الصوفية": "أذكر بذلك الدَّوي ترجف منه الأرضُ، وترتعد جُدُرُ المعهد حين كانتْ تُوَزَّعُ أسئلة اختبار آخر العام الدراسي، أتدري ماذا كان يحدث؟ تهب هذه الآلاف المضطربة من الطلبة رافعة أكفها في ضراعة ناعقة بها لا يسمع، ولا يبصر، حتى ليبح صوتها، وتتمزق حناجرها إذ تنقع ضارعة: يا سيد!! وياويل السمع من طول "ياء النداء"!! لقد كانت تطول، وتطول، حتى لَيُخَيَّلَ إليك أنها دخان مارد يحترق، فيلمس دخانه قبة النجم، ولعلهم كانوا يفعلون ذلك؛ لتصل أصداء ضراعتهم إلى حيث جثمتْ على الأرض في غيابة القبر جيفة مَن دَعَوْه!! ولعلك تسألني: وماذا كان يفعل بكم شيوخكم؟ كانوا يرفعون في سكرة الحُب وذلك الخشية أيديهم المعروقة، يمسحون بها وجوههم، أو يمشطون لحاهم، ومن بين الشفاه الذوابل تنساب هذه الهَمْهَمة :"رضي الله عنك يا سيد!!" ثم يلتفتون إلينا، وعلى وجوههم أَلَقُ الرضى ناصحين في تأييد وإعجاب: "كِفاية ما خلاص سمعكم السيد!!"".

وإقرار للشرك، بدلًا من أن ينصحهم ويوجههم. نسأل الله لنا ولكم السلامة! احمدوا الله على ما أنتم عليه] [1]!

❁ ❁ ❁

(١) الشرح الثاني، الشريط الثالث، من ٢٥"٥ إلى ٣٤"٧.

❁ **والتوكل**: وهو الاعتماد على الله؛ الرجاء أن يرجو الإنسان من الله ما لا يقدر عليه غيره، يرجوه ويسأله ويطلب منه طلبات، ويتوكل عليه، يعتمد عليه اعتمادًا كليًا. لا نقسم التوكل كما قسمنا الخوف، لا يجوز التوكل على غير الله مطلاقًا، التوكل هو خاص بالله سبحانه وتعالى.

ولكن التوكل لا يمنع استعمال الأسباب، مزاولة الأسباب، الأسباب المشروعة المباحة، بل العبد مأمور بمزاولة الأسباب المشروعة، كالتغرب لطلب العلم، والزواج لطلب الولد، وأن يعمل في التجارة والزراعة لطلب الرزق، ولكن لا يعتمد على هذه الأسباب، يعتمد على الله سبحانه وتعالى في نجاح هذه الأسباب.

أما ترك الأسباب والتمني على الله، أن الله يرزقه ولدًا صالحًا وهو لا يتزوج، ويتعلم يجلس في بيته ليل نهار فيخرج على الناس أعلم أهل بلده! هذه أمنية كاذبة مخالفة لسنة الله في خلقه، لا بد أن يعمل الأسباب ويتوكل على الله سبحانه وتعالى في نجاح تلك الأسباب، ولا يجوز الاعتماد على الأسباب.



۞ **والرغبة والرهبة**: الرغبة في الخير، والرهبة في الشر. لا ترغب إلا في الله ولا ترهب إلا من الله، راجع إلى الخوف والرجاء، متقارب.

۞ **والخشوع والخشية**: متقاربان أيضًا.

۞ **والإنابة**: التوبة والإنابة والرجوع إلى الله، كل ذلك خاص بالله سبحانه وتعالى، الذي يُخشى ويُخشع له، ويُخضع له، ويُتذلل له، هو الله وحده.

۞ **والاستعانة**: الاستعانة قد تقسم إلى جائزة وغير جائزة. كونك تستعين بغيرك فيما يقدر عليه، تطلب من غيرك ليرفع لك المتاع على سيارتك، جائز، لأنك طلبتَ منه ما يقدر عليه؛ ولكن تستعين به على ما لا يقدر عليه إلا الله هنا الشرك.

۞ **والاستعاذة والاستغاثة** كذلك: كونك تلجأ إلى إنسان ليحميك لتدخل البلد، وتستغيث برجال الإطفاء، ويسمى في لغتنا الإسعاف، فيما يقدرون عليه جائز.

لكن تستغيث بالله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وتستعيذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، تلتجئ إلى غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله هنا الشرك.



❁ **والذبح**: الذبح نوعان أيضًا: ذبح عادة وذبح عبادة؛ ذبح العادة كأن تذبح لك شاةً لتأكل اللحم، أو لتُكْرِم ضيفك، ليس هذا هو المراد، إنما الذبح الذي تذبحه تقربًا كالأضحية، والهدايا، والعقيقة، ولو صرفت شيئًا من ذلك كما يفعله جهال الحجاج، فيما بلغنا من أخبار الحجاج، بعد أن يرجع من الحج بالسلامة، بدلًا من أن يشكر الله ويطعم عباد الله، يأخذ الكبش فيهرول إلى قبر الشيخ ويذبحه هناك، لماذا؟ لأنه كان يعتقد أن الشيخ معه في هذه الرحلة، هو الذي حفظه، فهو الذي رده بالسلامة إلى بلده، ما قيمة هذا الحج؟! لا قيمة له لأنه لم يؤمن بعد.

❁ **النذر**: جعل النذر في الأموال، عوام المسلمين، أصحاب البساتين يجعل في النخل نخلة يخصصها للشيخ، هذه النخلة هي التي تحفظ النخل كله. ويجعل في الحوش ثورًا يحفظ الحوش كله ببركة الشيخ، إذا كان الحوش وكذلك الأموال الأخرى ليس فيها نذر للشيخ يخاف على هذا المال من الضياع. هؤلاء يحتاجون مراجعة الإيمان، ويحتاجون تصحيح عقيدتهم، وهذا ما يجب على طلاب العلم اليوم أن يصححوا هذه العقائد، العقائد المدخولة فيها كثيرٌ من الأخطاء، أخطاء منتشرة في عقيدة عوام المسلمين في أكثر الأقطار الإسلامية يعيشون على هذه العقيدة، إذن هم بحاجة إلى تصحيح عقائدهم.

وقبل أن تُصَحَّح عقائدُهم، وقبل أن تقوم عليهم الحجة ببيان الحق، نرجو أن يعذروا، لأنهم يجهلون أن هذه الأنواع من العبادة، ويحسبون أن هذا العمل من محبة الصالحين ومن أنواع التوسل بالصالحين؛ إذن لم يتبين لهم الحق وإنما يُحكم على الإنسان بالكفر دون تردد بالنسبة لمن تبين له الحق: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ** ﴾ [النساء: ١١٥]، هؤلاء هم الذين يُحكم عليهم بالكفر. أما الذين لم يخالفوا الله ورسوله بعد أن تبين لهم الهدى، وبعدما تبين لهم الحق، ولكن ظنًا منهم أنهم على الحق، وأنهم على الهدى ولم يجدوا طلاب علمٍ وعلماء يبينوا لهم ذلك، نرجو أن يعذروا.

ولكن في مثل هذه الانفتاحات العامة، إذا علموا وسمعوا بواسطة المذياع ووسائل أخرى مثل هذه الأشياء، عليهم أن يبحثوا ويجتهدوا ليخرجوا من هذه الجاهلية إلى الإسلام الصحيح.



❁ **فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كافِرٌ**: عند هذه الجملة لا بد من الوقوف والتفصيل. فالأصل فيمَن صرف هذه الأنواع، أو أي نوع من هذه الأنواع لغير الله تعالى أنه مشرك شركًا أكبر، وكافر خارج من الملة، هذا الأصل. ولكن هل كل مَن صرف نوعًا مِن هذه الأنواع لغير الله تعالى، وكل مَن فعل كفرًا فهو يكفر؟ وكل مَن ارتكب شركًا فهو مشرك؟ أو لا بد من التفصيل؟

قد يقول المرء كفرًا فلا يكفر وغيره يكفر، وقد يفعلا فعلًا كفريًا، فيكفر أحدهم والآخر لا يكفر، فأحوال الناس تختلف، وظروف الناس تختلف، ومفاهيمهم، كل ذلك لا بد من ملاحظتها، وهذا الإطلاق على الأصل هكذا، ولكن إذا راجعنا أحوال الناس، واختلافهم في الفهم وعدم الفهم، والظروف التي يعيشون فيها، والبيئة التي نشأوا فيها، تجد الناس بينهم اختلاف شديد.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، تفصيل طويل في مثل هذا المقام، أي: فيمن يأتي بالمكفرات حيث يكفر بعضهم وبعضهم لا يكفر. فنحن نعيش بين ناس نعرف عقائدهم، وموقفهم من الإسلام، لذلك لا بد من التفصيل: مَن لم يتبين له الهدى وظن أن ما هو عليه هو الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ، وحالت بينه وبين الفهم الصحيح شبه وجهل، واتكال على كلام المشائخ والمنتسبين إلى العلم، الذين لا يفرقون بين الشرك وبين التوحيد، نشئوا في مثل تلك البيئة، وظنوا أنّ ما هم عليه هو الإسلام، ويسمعون من بعض المشائخ مَن يقول: "إن الذبح لغير الله، والنذر للصالحين، والطواف بأضرحتهم، ودعائهم، والاستغاثة بهم، كل ذلك من محبة الصالحين ولا يضر التوحيد وليس بشرك". نشئوا في مثل هذه البيئة وظنوا أن هذا هو الحق، أمثال هؤلاء لا بد أن يعذروا حتى ينتقلوا من تلك البيئة ويفهموا حقيقة دين الإسلام الفهم الصحيح.

عندما يفصل شيخ الإسلام هذا التفصيل، يستدل بآيتين من سورة البقرة: ﴿ لَا

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾، وبآية سورة النساء: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾؛ أما من لم يتبين له الهدى، ولم يتعمد مشاقة الله ومشاقة رسوله عليه الصلاة والسلام، بل ظن أنّ ما يفعله هو الهدى وهو الحق الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، لا بد مِن بيان الحق لهم أولًا، ودعوتهم، ومحاولة إصلاحهم، فإذا تبين لهم وتعصبوا بعد ذلك لمألوفاتهم وتقاليدهم، يحكم عليهم بعد ذلك أنه كفار كفرًا بواحًا، ومشركين شركًا أكبر، لا بد من هذا التفصيل كما نفهم ذلك من واقع الناس. لأنك لو وعظتَ هؤلاء الذين يشركون بالله هذا الشرك الأكبر، وذكرتَهم بالله، وذكرتَ لهم الجنة والنار، وأسمعتَهم نصوص الوعد والوعيد، لوجدتَهم يتأثرون تَأَثُّرًا بالغًا، بمعنى لم يصب قلوبهم شيء من الخراب، خراب القلب هو الكفر، طالما يوجد في قلب المرء خشية وخوف من الله، والرجاء فيما عند الله، ولكنه أخطأ الطريق الموصلة إلى الله، وجعل يتخبط هنا وهناك، وهو يعتقد أنه يسير إلى الله سيرًا صحيحًا، مثل هؤلاء يعذرون حتى يتبين لهم الهدى، لا بد من هذا التفصيل.



والدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

۞ ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾: لفظة "إله" تطلق على المعبود بالحق والمعبود بالباطل، ولكن لفظة "الله"، لفظ الجلالة، لا تطلق إلا على المعبود بالحق، خالق السماوات والأرض؛ أما لفظة "إله" كل ما عُبد ومَن عُبد من دون الله من شجر، وحجر، وجني، وإنسي، وشمس، وقمر، وضريح، وقبر، يطلق عليهم لغةً أنه إله أي: المألوه المعبود، الذي عبده الناس سواء كان بالحق أو بالباطل.

لذلك اشتملت كلمة التوحيد على الكفر والإيمان: "لا إله إلا الله"، "لا إله" كفر بما يعبد من دون الله، و"إلا الله" إثبات العبادة للخالق الحق، أي: تشتمل كلمة التوحيد على النفي والإثبات وعلى الكفر والإيمان، ولا بد من ذلك، لا بد من الجمع بين الكفر والإيمان وبين النفي والإثبات، وإلا لو قلتَ: "الله ربي" وعبدته، ومع ذلك تعبد غيره معه، لم تنفِ عبادة غيره، لا باللفظ ولا بالفعل، ما نفعك توحيدك. لو عبد إنسان طول حياته الله رب العالمين، ولكن يعبد معه غيره ولم يكفر بعبادة غيره، ما نفعته تلك العبادة، إنما تنفعك عبادة الله إذا كفرتَ بعبادة غيره.

۞ ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾: لاحظ أنه قال: "مع الله"، ولم يَقُل: "ومَن يدع مِن دون الله" وذلك أبلغ، وإذا دعوتَ مع الله غير الله ما نفعتْك العبادة، وإذا دعوتَ غير الله من دون الله فمِن باب أولى.

۞ ﴿ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾: هذه الجملة حالية، والحال في المعنى وصف، وهي صفة كاشفة؛ معنى الصفة الكاشفة لا مفهوم لها، أي: لا يوجد إله يعبد من دون الله وللعابد حجة بذلك، المراد بالبرهان الحجة والدليل، لفظة برهان وحجة وسلطان بمعنى الدليل، مَن يعبد

مع الله غير الله لا دليل له قطعًا، ولذلك تسمى صفة كاشفة لا مفهوم لها[١].

۞ ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾: لم يعين نوع هذا الحساب، وفي هذا الإبهام وعيد شديدٌ: ففي أسلوب القرآن، إذا أراد تعظيم العذاب وتهويل العذاب يُبْهِمُ، والإبهام نوع من تعظيم العذاب وتهويل العذاب وتهويل الموقف. ﴿حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ هو الذي يعلم كيف يحاسبه، لأنه يعلم قلبه كما يعلم ظاهره، يترك أمره لله كأنك قلتَ: "أمره إلى الله"، وهو الذي يحاسبه بما يستحق.

۞ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: دليل على أنّ من عبد غير الله مع الله فإنه كافر، سواء كان الكفر كفرًا أكبر أو كفرًا أصغر. إن كان معذورًا كما أشرنا إلى التفصيل، يكون كفره كفرًا دون كفر، وإن كان غير معذور، قامت عليه الحجة، وتبين له الحق والهدى فخالف، فكفره كفر بواح، ناقل من الملة.



(١) الصفة الكاشفة هي التي يؤتى بها لتأكيد المعنى فقط، أو لتوضيح المعنى لا للاحتراز، فإذا لم يكن إلا زيدٌ العالم، إذا قلت: جاء زيدٌ العالم. ليس احترازًا ليس عندنا زيد آخر ليس بعالم، فحينئذٍ صارتْ للكشف والإيضاح ليس للاحتراز. لكن لو عندنا زيد عالم وزيود جهلاء، وقلت: جاء زيدٌ العالم. صارت للاحتراز. إذن: زيدٌ العالم لا غيرَه، زيدٌ الجاهل لم يأتِ. [شرح المطلع على متن إيساغوجي- أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي].

وفي الحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ العِبَادَةِ». وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

۞ **وفي الحديث «الدعاء مخ العبادة»**: وفي حديث آخر: «**الدعاء هو العبادة**» معناهما واحد. مخ الشيء خالصه، الدعاء خالص العبادة لأن العبد إذا دعا الله لجأ إليه واعترف بفقره وغنى ربه، من هنا يكون الدعاء خالص العبادة، ومخ العبادة، وهو العبادة وحده.

۞ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾: سمى الدعاء عبادة، الذين يستكبرون عن الدعاء إما تكبرًا، أو إعراضًا، أو إشراكًا، سيدخلون جهنم داخرين[١] صاغرين كما تكبروا، ولم يخضعوا لله سبحانه وتعالى وحده، وأشركوا معه غيره.

[الاستكبار والترفُّع عن دعاء الله مع دعاء غير الله، هذا الاستكبار قد لا تتصوَّرونه والمستكبر نفسه لا يتصوره، كأن تصيبَه مصيبة كبيرة ومخيفة ويرى إذا دعا الله ربما تتأخر الإجابة، وحالًا يلجأ إلى الشيخ ويَجْأَر باسمه: "يا شيخ! ما اتخذناك إلا لمثل هذا اليوم!" تجده مُنفعلًا يدعو الشيخ رغبةً ورهبةً وظنًا منه بأن الشيخ يفرج عنه حالًا. قد يفرج الله عنه، لا الشيخ، استدراجًا، يحصل الفرج حالًا، لكن من الله، ولكن استدراجًا، يستدرجه الله لأن الله علم منه فساد طويته وأنه لا يصلح للهداية[٢].

---

(١) (دخر) دَخَرَ الرجلُ بالفتح يَدْخَرُ دُخُورًا فهو دَاخِرٌ ودَخِرَ دَخَرًا ذَلَّ وصَغُرَ يَصْغُرُ صَغَارًا، وهو الذي يفعل ما يؤمر به شاء أو أَبى صاغِرًا قَمِيئًا. [لسان العرب]

(٢) قال أبو جعفر الطحاوي: "يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلًا". قال الشيخ صالح الفوزان تعليقًا على كلامه: "الله سبحانه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وهذا بقضاء الله وقدره، ولكنه يهدي من يعلم أنه يصلح للهداية، ويهدي من يحرص على طلب الهداية ويُقبل عليها، فإن الله ييسره لليسرى، ويضل من يشاء بسبب إعراضه عن طلب الهداية والخير، فيضله الله عقوبة له على إعراضه وعدم رغبته في الخير، يوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ

الذي جعل الناس في كثير من الأحوال تصدق وتجري وراء المشائخ قد يدعون المشائخ ويتحقق لهم المطلب حالًا وذلك استدراج، كالكرامات، الأمور الخارقة للعادة، قد تظهر أحيانًا على أيدي الطالحين من الفساق والظلمة، وهذا استدراج. إن وقع أمر خارق للعادة على يد مَن يدعي النبوة فهي معجزة وآية، وإن وقع شيء من ذلك على أيدي الصالحين ليستعينوا بذلك على طاعة الله ويثبتوا على الإيمان تلك كرامة، وإن حصل شيء من ذلك على أيدي الفساق والظلمة ذلك الاستدراج.

الذي يوضح لكم هذا: أنتم تعرفون المسيح الدجال، ما هو الذي يحصل له؟ أمور خارقة للعادة لم تحصل لغيره: يملك الجنة والنار، وهل هناك أعظم من هذا؟ وهو المسيح الدجال! الذي تستعيذون منه في كل صلاة! وهل جعله ذلك من أولياء الله؟ بل هو من أعداء الله ومن أولياء الشيطان! إذن لا تستغربوا إذا حصل شيء من الأمور الخارقة للعادة على أيدي بعض المشعوذين وضُلال المتصوفة، لا تظنوا أن ذلك من الكرامة، يوضح هذا الإمام الشافعي رحمه الله فيقول: "لو رأيت رجلًا يطير في الهواء أو يمشي على الماء لا تصدقه في ولاياته حتى تعرض أعماله على الكتاب والسنة"(١). المشي على الماء والطيران قد يكون كرامة، قد يؤيد الله عبده الصالح، وينجيه، ويجعله يطير من بين الأعداء حتى لا يهلك، جائز! ويمشي على الماء إذا كان صالحًا متمسكًا تقيًا تلك كرامة، وإن حصل شيء من ذلك من الفجار والفساق فذلك استدراج](٢).



بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الليل:٥-٧] فصار السبب من العبد، والقدر من جهة الله سبحانه: ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل:٨-١٠] فصار السبب من العبد والقدر من الله عز وجل، ولكن قدره الله عقوبةً له. [التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية]

(١) عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الأَعْلَى أَنَّهُ قَالَ لِلشَّافِعِيِّ: أَتَدْرِي مَا قَالَ صَاحِبُنَا يَعْنِي اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ؟ قَالَ: لَوْ رَأَيْت صَاحِبَ هَوًى يَمْشِي عَلَى المَاءِ فَلَا تَغْتَرَّ بِهِ. فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَقَدْ قَصَرَ اللَّيْثُ لَوْ رَأَيْت صَاحِبَ هَوًى يَطِيرُ فِي الهَوَاءِ فَلَا تَغْتَرَّ بِهِ. [مجموع الفتاوى- ١١/ ٤٦٧]

(٢) الشرح الثاني، الشريط الثالث، من ٠٩"٢٥ إلى ٢٧"٢٨.

وَدَلِيلُ الخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

۞ ودَلِيلُ الخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: شرطٌ وجواب؛ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ هذا شرط، فأين الجواب؟ الجواب إما متقدم أو محذوف، يدل عليه المتقدم: ﴿وَخَافُونِ﴾، فعل "وخافون" لك أن تعتبره هو جواب الشرط عند من يجيز تقديم الجواب على الشرط وهم البصريون وبعض الكوفيين. وعند غيرهم الجواب محذوف، يدل عليه ما قبله: "إن كنتم مؤمنين خافون". والمعنى واحد، سواء قدمتَ الجواب أو قلتَ إنه المتقدم المعنى واحد، لا بد من أخذ الآية بمنطوقها ومفهومها: المنطوق: "إن كنتم مؤمنين خافونِ"، والمفهوم: مَن لم يخف الله، ويفرده بالخوف منه ليس بمؤمن[1].

وقد سبق أن فصلنا الكلام في الخوف، وهذا الخوف خوف عبادة كخوف السر، أما الخوف الطبيعي كأن يخاف الإنسان من عدوه الذي هو أقوى منه، ويخاف من النار، ويخاف من الأسد، هذا يسمى خوفًا طبيعيًّا ليس خوف العبادة، الخوف الذي هو يعتبر شركًا إذا صرف لغير الله تعالى، كأن تخاف من مخلوق خوف السر، أي: لا تخاف من ضربه وبطشه، ولكن تخاف من أن يؤثر فيك بسره، بكراماته كما يسمون، وهذا هو الشرك الأكبر.

وهذا المعنى يقع فيه كثير من عوام المسلمين الذين يَتَرَبَّوْنَ في أحضان المتصوفة، الذين يربون الناس على الإعراض عن الله والخوف من عباد الله، ويجعلون أنفسهم وسطاء بين العباد وبين رب العباد، ويحثونهم أن يخافوا من المشايخ، ويرجوهم، ويتملقوا لهم[2]، وليس عليهم شيء بعد ذلك: هم أهل الجنة، طالما يخلصوا الخوف والرجاء والرغبة للشيخ فهو من أهل الجنة، يعني يدعونهم إلى الكفر ثم يعدونهم بالجنة، تناقضات عجيبة!!

۞ ۞ ۞

---

(١) يقول الشيخ السعدي في تفسير الآية: في هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله.

(٢) (ملق) المَلَقُ الوُدّ واللطف الشديد وأَصله التليين وقيل المَلَقُ شدة لطف الودّ وقيل الترفق والمداراة والمعنيان متقاربان.[لسان العرب]

ودَليلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ **[الكهف:١١٠]**.

❁ **ودَليلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تعالى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾: كأن يرجو غير الله مع الله، كما تقدم في الكلام السابق.

❁ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: بعد الموت، بعد البعث، مَن يرجو لقاء ربه، ويؤمن بلقاء ربه: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾: العمل الصالح: العمل الموافق للسنة، فإذا كان صالحًا وكان خالصًا نفعك. الصالح: العمل المقيد بالسنة. الخالص: ما أردتَ به وجه الله. لذلك قال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ بما في ذلك الرجاء، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ لأن الله هو الذي بيده كل شيء، فليخلص الرجاء لله سبحانه وتعالى.



ودَليلُ التَّوَكُلِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ **[المائدة:٢٣]؛ وقوله:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ **[الطلاق:٣].**

۞ **ودَليلُ التَّوَكُلِ: قَوْلُهُ تعالى:** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: هنا في جواب الشرط يقال ما تقدم، إذا فهمتَ في آية واحدة طبِّق على غيرها بعد ذلك، أي: جواب الشرط إما متقدم أو محذوف. ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: إما أن تقول: "إن كنتم مؤمنين فتوكلوا"، على أن جواب الشرط محذوف دل عليه ما تقدم، أو: "فتوكلوا" المتقدم هذا هو جواب الشرط والمعنى واحد.

التوكل على الله هو الاعتماد القلبي، التوكل عمل قلبي، لا يكون التوكل إلا على الله، لا يجوز الاعتماد في رزقك، في هدايتك، في صلاحك، وصلاح ذريتك، وصلاح شؤونك، لا يجوز الاعتماد إلا على الله مطلقًا. والاعتماد على بعض الأسباب بالقلب نوع من الشرك، مزاولة الأعمال ومباشرتها مشروع، ولكن الاعتماد على تلك الأسباب من الشرك، الاعتماد على الله وحده.



ودَليلُ الرَّغْبَةِ، والرَّهْبَةِ، والخُشُوعِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

۞ **ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى**، وهو يصف بعض الأنبياء: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾، مِن صفات الأنبياء الصالحين أنهم يدعون الله رغبةً ورهبةً. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾: **وجه الشاهد** ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ بأسلوب الحصر، ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾، أين الحصر؟ تقديم المعمول على العامل يفيد الحصر، أين العامل وأين المعمول الذي تقدم، الذي أفاد الحصر؟ ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾: في هذا الأسلوب حصر وقصر لتقدم المعمول على العامل، عين العامل وعين المعمول، أين العامل وأين المعمول؟

العامل: الأفعال، والمشتقات من الأفعال هي التي تعمل. والمعمول: الفاعل معمول، والمفعول به معمول، الظرف معمول، والجار والمجرور معمول .

وهنا الجار والمجرور في "لنا" معمول لخاشعين، و"خاشعين" هو العامل، لأن التقدير هكذا: "وكانوا خاشعين لنا". لو عبّر بهذا التعبير في غير القرآن مثلًا، لو قلنا: "وكانوا خاشعين لنا"، لا يفيد المعنى الذي يفيد عند التقديم، "كانوا خاشعين لنا" لا يمنع أن يكونوا خاشعين لغيرنا.

ولكن إذا قال: "وكانوا لنا، لنا وحدنا، خاشعين"، لا يخشون لغيرنا، هكذا يفيد تقديم المعمول على العامل، أي: تقديم الجار والمجرور الذي هو "لنا" على "الخاشعين"، "الخاشعين" من حيث الإعراب خبر "كانوا"، "كانوا": الواو اسم كان، "خاشعين": خبر كان، ولكن "خاشعين" تعمل لأن الجار والمجرور متعلق بـ"خاشعين".



ودَليلُ الخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾[البقرة:١٥٠].

ودَليلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾[الزمر:٥٤].

ودَليلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥]؛ وفي الحَدِيثِ: «...وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

❁ **ودَليلُ الخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تعالى:** ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾: في هذا دليل صريح في نهي عن خشية غير الله وأن تكون الخشية لله. الخشية بمعنى الخوف وتقدم التفصيل في الخوف، التفصيل الذي تقدم هناك يطبق هنا.

❁ **ودَليلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تعالى:** ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾: الإنابة: الرجوع والتوبة إلى الله وتسليم الأمر لله، كل ذلك لا يكون إلا لله.

❁ **ودَليلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تعالى:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾: إذا كنتم توقفتم في تقديم المعمول على العامل فيما تقدم، هنا لا تتوقفوا أبدًا. ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾، فرق بين: "نعبد إياك" وبين: "إياك نعبد"، "نستعين إياك" و"إياك نستعين"، تقديم المعمول الذي هو "إياك" في الفعلين يفيد الحصر، إياك وحدك نعبد، لا نعبد غيرك ولا نعبد معك سواك، وإياك وحدك نستعين لا نستعين إلا بك.

تقدم التفصيل في الاستعانة: يجوز للإنسان أن يستعين بغير الله فيما يقدر عليه ذلك الغير، كأن يطلب منه أن يرفع له متاعه على دابته وعلى سيارته، وأن يرفع له سوطه الذي سقط من يده، مثل هذا جائز، أو يُعير[1] له القلم وهو في الاختبار، وغير ذلك من الأمور المعروفة.

❁ **وفي الحَدِيثِ: «...وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»:** فيما لا يقدر عليه إلا الله، وإذا

---

(١) الإعارة هي تمليك المنافع بغير عوض مالي.

استغثتَ كذلك فاستغث بالله: «**إذا سألتَ فاسألِ الله وإذا استعنتَ فاستعن بالله**»[1] [فيما لا يقدر عليه إلا الله: لا تستعن بالموتى، ولا بالجن ولا بأي مخلوق، ولكن استعن بالله هو الذي يعينك] [2].



(١) صحيح الجامع: ٧٩٥٧.

(٢) الشرح الثاني، الشريط الثاني، ٤٢"٣١ إلى ٥٣"٣١.

ودَليلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [الفلق:١]، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:١].

وَدَليلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال:٩].

ودَليلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]؛

❁ ودَليلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾: الاستعاذة بمعنى اللجوء والالتجاء، قد يلتجئ الإنسان إلى غير الله فيما يقدر عليه في ذلك، كأن يلتجئ إلى عظيم من العظماء ليحميه من عدوه، ويدخل بلده، أو يمر في بلده، مثل هذا جائز.

❁ وَدَليلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾: [أن تستغيث بالمخلوق فيما يقدير عليه المخلوق جائز، كالاستغاثة برجال الإسعاف، والاستغاثة أبلغ من الدعاء، والفرق بينهما هو أن الاستغاثة هي دعاء المضطر الذي لم يجد أي حيلة مادية للنجاة، كالغريق في البحر الذي لم يجد أي سبب مادي لإنقاذه، فهذا يلتجئ إلى الله ويعتمد عليه في النجاة، ولو اعتمد على غير الله في هذه الحالة فهذا هو الشرك الأكبر وهو أكبر من الدعاء العادي] (١).

❁ ودَليلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾: الشاهد ﴿وَنُسُكِي﴾، النسك هو الذبح. النسك، العبادات أو أنواع من الذبح، يتقرب العبد إلى الله سبحانه وتعالى بإراقة الدم في يوم

---

(١) من المطبوع لمحمود بن إبراهيم الطرابلسي.

العيد بذبح الهدايا والأضحية، وكذلك السنة المشروعة في العقيقة، هذه من أنواع الذبائح التي تعتبر عبادة. ولو ذبح شاة لأولاده أو لضيوفه لا يعتبر ذلك عبادة، أي: ليس كل ذبح عبادة، إنما الذبح الذي يقصد به التقرب لا يكون إلا لله. إذن كيف يصرف؟ ما معنى صرف الذبح لغير الله تعالى؟

وهذا شيء معروف لدى جمهور عوام المسلمين إلى يومنا هذا: كثير منهم إذا سافر ورجع من السفر بالسلامة، ولا سيما في سفر الحج، بادر بكبشه إلى الشيخ، إما يذبحه في بيته باسم الشيخ، ومحبة الشيح، وتقربًا إلى الشيخ، أو يأخذه إلى ضريحه فيذبحه عند الضريح، زاد الطين بلة!

هذه الذبائح لا يحل أكلها، ولو قال عند قطع الرقبة: "باسم الله"، طالما تقرب بهذه الذبيحة إلى غير الله تعالى، التلفظ بالبسملة كلمة جوفاء يقولها عند قطع الرقبة: "باسم الله" لا تفيده، لأنها إنما ذبحت لغير الله، يقولها عند قطع الرقبة: "باسم الله" لا تفيده، لأنها إنما ذبحت لغير الله، فليُفهم هذا جيدًا. مَن تقرب بذبيحة من الذبائح، سواء ذبحها في بيته أم عند قبر الشيخ، طالما قصد ونوى التقرب بهذه الذبيحة إلى غير الله تعالى فهي جيفة ميتة.

الذبح لغير الله لا يستشكل إلا كثيرًا من شبابنا الذين نشأوا في الإسلام ولا يعرفون شيئًا من ذلك، لكن مَن يُصغي إلى الخارج والذي يجري في كثير من الأقطار، إن أكثر التقرب إلى المشائخ بالذبائح.



فصل

۞ [قبل أمس سألني سائل أسئلة غريبة، عنده نحوه عشرة ذبائح، فيما تقدم نحن قلنا الذبائح إما أن تكون عبادةً أو عادةً.

ما كان من عبادة إذا صُرِف لغير الله تعالى يعتبر شركًا كالذين يتقربون بالذبائح إلى الجن، وكالذين يتقربون بالذبائح إلى الأضرحة والمشاهد. وأما ما يذبحه الإنسان لأكل لحمه، لإكرام ضيفه، مثل هذا لا يسمى عبادة بل عادة.

فهذا الكاتب تتبع كلام بعض أهل العلم، الذين توسعوا في تسمية الذبائح وكلها متداخلة، التفريق: بينما يذبح للضيف الطارئ وللزائر، تفريق لا مُبَرِرَ له، واحد، ما يُذبَح عند ولادة المرأة يُعتَبر طعام يقدم لها وليس من باب العقيقة، وما يذبح عندما تدعو زملائك وتذبح لهم، أو في وليمة العُرس كل ذلك من الطعام، داخل في الطعام، عادة أو السنة أحيانًا، ولكن ما يذبح في المَأْتَم بدعة، وما يذبح عند الفراغ من بعض الأعمال، كأن بنى دارًا وانتهى من بنائها فذبح، إن ذبح إكرامًا للعمال والمهندسين والذين بنوا هذه الدار، إكرامًا لهم وشكرًا لهم هذا من باب الإكرام كالضيافة، وإن ذبح كما يفعل بعض الناس قبل أن ينزل الدار، ذبح في الدار خوفًا من الجن ليُريق الدم في الدار قبل أن يَنزل، هذا شرك أكبر، لأنه خاف من الجن فذبح لهم. وهكذا تُفَصَّل بهذا التفصيل وإلا أكثرُ ما ذكر الكاتب هنا من قبيل واحد، أي: من العادات أكثرها] (١).



(١) الشرح الثالث، الشريط ٣الثالث، من ٢٢"٢٩ إلى ٣٨"٣٢.

ودَليلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴾ **[الإنسان:٧].**

❁ **ودَليلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تعالى:** ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴾: النذر عبادة غريبة، بمعنى لم يحث الشارع على النذر، بل حث على عدم النذر: «**إن النذر لا يأتي بخير وإنما شيء يخرج الله به من يد البخيل**»[1]. البخيل الذي لا يتصدق يُخرج اللهُ من يده بالمرض، يمرض أو يمرض ولده فيقول: "إن شفى الله مريضي، أو رد الله علي ضالتي، أو نجح ابني في الدور الأول، أذبح لله سبحانه وتعالى كبشًا، أُطْعِم الفقراء". كان بخيلًا لا يجود لأن يذبح ويطعم الفقراء، أخرج الله من يده هذا الكبش بهذا النذر. إذن النذر لا يأتي بخير، وجه غرابته وندرته ومخالفته لسائر العبادات أنه لم يحث الشارع على النذر ولكن أوجب الوفاء، مَن نذر وجب عليه الوفاء: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»[2]، لكن ابتداءً ليس محل الحث، ولكن عند الإيفاء واجب إيفاء النذر.



---

(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنْ النَّذْرِ، وَقَالَ: «**إِنَّ النَّذْرَ لا يَأْتِي بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْ البَخِيلِ**». [صحيح مسلم]

(٢) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ**». [أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان]

الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ، وهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، والانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، والخلوص مِنَ الشِّرْكِ وأَهْلِهِ.

۞ **الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة وهو الاستسلام لله بالتوحيد:** تعريف الإسلام: الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، بمعنى إذا ذُكِر الإسلام وحده هكذا يدخل معه حتى إيمان القلب، الإسلام والإيمان إذا ذكرا معًا يُفَرَّقُ بينهما في المعنى، كما في حديث جبرائيل: يُفَسَّرُ الإيمان بأعمال القلوب، ويفسر الإسلام بأعمال الجوارح. ولكن إذا ذكر الإسلام وحده دخل معه الإيمان، وإذا ذكر الإيمان وحده دخل معه الإسلام.

لذلك يقول الإمام هنا: الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، أول شيء الاستسلام لله بالتوحيد، بالإفراد، إفراد الله تعالى بالعبادة يعتبر إسلامًا ويعتبر إيمانًا، كما انفرد الله سبحانه وتعالى بأفعاله: بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع، يجب إفراده سبحانه وتعالى بأفعال العباد: بالدعاء والاستغاثة والنذر وغير ذلك من الأمور التي تقدم ذكرها، وهذا يسمى إسلامًا ويسمى إيمانًا.

۞ **والانقياد له بالطاعة:** أشار هنا إلى أفعال الجوارح، الاستسلام له بالتوحيد أعمال القلوب لأن أصل التوحيد يَنْبَعِثُ مِن إيمان القلب، لذلك العقيدة جانب مهم من الإيمان. ومَن يدعي الإيمان وهو لا يحقق العقيدة إيمانه دعوى، لأن العقيدة هي الجانب المهم من الإيمان، لأن الإيمان اعتقاد بالقلب وعمل الجوارح ونطق باللسان. الاعتقاد بالقلب هو الذي يسمى عقيدةً وهو الإيمان، وهو العقيدة، لذلك ليست العقيدة مادة خاصة يدرسها طلاب العلم المنتسبون إلى الجامعات والمعاهد، بل العقيدة علم لا يستغنى عنه أي مسلم أو مسلمة.

والانقياد له بالطاعة: طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، فرسول الله له الطاعة المطلقة غير المقيدة، وطاعة غيره من المخلوقين مقيدة، كطاعة ولاة الأمور، وطاعة الوالدين، هذه مقيدة، أما طاعة الرسول ﷺ طاعة مطلقة: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، عطف طاعة

الرسول ﷺ على طاعة الله تعالى وأعاد الفعل: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩]، وعند ذكر أولي الأمر لم يعد الفعل لأن طاعتهم تابعة لطاعة الله تعالى وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام.

أما إذا أمر الرسول أو نهى لا نبحث عن وجود ذلك في الكتاب، نطيعه طاعةً مطلقةً، ولو لم يرد المأمور به على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام في القرآن، ولو لم يرد المنهي عنه على لسانه ﷺ في القرآن، وجبت علينا طاعته، هذا معنى الطاعة المطلقة.

وأمثلة ذلك يعرفها مَن يدرس الأحكام الفقهية لأن في الأحكام هناك أحكام جاءت في الكتاب وهناك أحكام انفردت بها السنة، ولا فرق بينهما. كذلك في باب الأسماء والصفات، صفات اتفقت عليها نصوص الكتاب والسنة، وصفات جاءت في السنة فقط ولم يأتِ ذكرها في الكتاب، لا نتوقف عند تصديقها على وجودها في الكتاب، هذه نقطة مهمة يجب أن يفهمها طلاب العلم لئلا يظنوا أن السنة قد لا تنفرد بل السنة قد تنفرد، السنة تأتي موافقة وتأتي مؤسسة وتأتي مؤكدة.

۞ **والخلوص من الشرك**[١]: مِن الإسلام، مِن تعريف الإسلام، الخلوص مِن

---

(١) قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في شرحه لثلاثة الأصول: هذه العبارة (والخلوص من الشرك) الصواب أنها (والبراءة من الشرك وأهله) هذا هو الموجود في النسخ المعتمدة، أما (والخلوص من الشرك) فهذه ليستْ في النسخ المعتمدة، وهي في هذه الطبعة التي بين يدي، والصحيح في النسخ المعتمدة أن (الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله) ومن المعلوم أن (البراءة من الشرك وأهله) أدل على المراد من لفظ (الخلوص من الشرك)، لأن الخلوص من الشرك إنما هو خروج عن الشرك، وليس فيه معنى البراءة من الشرك وأهله، ولهذا كان الأصح أن يُجعل بدل (الخلوص من الشرك) في هذه النسخة، ما هو في النسخ المعتمدة الأخرى وهي أن (الإسلام الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله) وهذا هو الذي يناسب الاستدلال الذي استدل به الشيخ وهو قوله تعالى في سورة الزخرف ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ فذكر البراءة وهو الذي يناسب هذا التعريف.

الشرك. لأن التوحيد إذا لم يكن خالصًا لله لا يقبل، كذلك الطاعة إذا لم تكن خالصةً لله لا تقبل، لأن الله أغنى الشركاء كما أخبر عن نفسه سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا وأشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[(١)].

الأعمال لا تقبل إلا إذا كانت خالصة، والتوحيد لا يقبل إلا إذا كان خالصًا، إذن الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، وخلوص ذلك كله من الشرك وأن يكون ذلك خالصًا لله تعالى هذا هو الإسلام وهذا هو الإيمان.



---

(١) أخرجه مسلم وابن ماجه، عن أبي هريرة.

﴿ وهو ثَلاثُ مَراتِبَ: الإسْلامُ، والإِيمَانُ، والإِحْسَانُ. وكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ: "وهو ثلاث مراتب"، "وهو": الدين، الضمير راجع للدين الإسلامي، "وهو" أي: الدين الإسلامي الذي جاء به رسول الله ﷺ ثلاث مراتب: المرتبة الأولى الإسلام، والمرتبة الثانية الإيمان، والمرتبة الثالثة الإحسان.

بناء ضخم، واسع أسفله وكلما يرتقي ويرتفع، يضيق حتى يصل إلى القمة، الإسلام أوسع لأن الاستسلام الظاهري قد يدخل فيه إسلام المنافقين، والإيمان أضيق وأخص لأن الإيمان لا بد أن يكون هناك تصديق بالقلب زيادةً على الإستسلام الظاهري، والإحسان في القمة، أي: الإحسان الإتقان، المحسنون خلص المؤمنين، إذا وصل الإنسان إلى درجة الإحسان كان مسلمًا مؤمنًا ازداد زيادة بزيادة الأعمال حتى قوي إيمانه وارتقى وقوي ووصل إلى درجة، من شدة مراقبة الله تعالى، أنه يعبد الله كأنه يشاهده، تؤثر فيه مراقبة الله ومحبة الله وخشية الله إلى درجة أنه يعبد الله كأنه يراه فيشاهده، إيمانًا منه بأنه تحت عين الله دائمًا وأبدًا، فالله يراه ويسمعه ويعلم منه كل شيء.

الوصول إلى هذه الدرجة ليست بالحكاية كما نحكي ولكن بالعمل، وقَلَّ مَن يصلون إلى هذه الدرجة، درجة الإحسان، لا يصل المرء إلى هذه الدرجة إلا بالعلم واليقين والصبر.

لذلك نحث شبابنا الطيبين الذين يرغبون كثيرًا في الجهاد، ويقولون في هذه الأيام: "ما العلم وما العلم؟! الجهاد الجهاد!" نصيحتنا لهم: هذا غرور وخديعة شيطانية، أيما فكرة وأيما جماعة وأيما شخص يحثك على ترك العلم والانتقال إلى الجهاد، يزين لك ما ظاهره عمل صالح، ليس بصالح، لا تعرف درجة المجاهدين ولا تصل إلى درجة المجاهدين ودرجة الإحسان والقرب مِن الله إلا بالعلم، العلم هو الطريق. قد يزين لك بعض الناس الجهاد وتنقطع عن العلم، تدور سنة سنتين، الجهاد الجهاد! لا جاهدتَ ولا تعلمتَ، هذا واقع كثير من الشباب تزيين من الشيطان، اجتهد في تحصيل العلم! في بعض فرصك اذهب فجاهد،

تدرب أولًا وتعلم، ثم جاهد! هكذا يفعل كثيرٌ من الشباب المخلصين، الذين نرجو أن يكونوا مخلصين، وهم يجاهدون من وقتٍ لآخر في صمت تام دون جعجعة.

أما اتخاذ الجهاد شعارًا أجوف: "الجهاد الجهاد!" هكذا كان يفعل بعض الناس، ولما اندلعت الحرب في أفغانستان وقام الجهاد انكشفوا! تلك ظاهرة حقيقية لا يعلمها إلا المجربون، واسألوا المجربين. لا تتخذوا الجهاد شعارًا أجوف، الجهاد عمل صالح، ذروة سنام الإسلام، ليس معناه ألفاظًا جوفاء ومظاهرات وإعلانات، لا! جاهد في سبيل الله سرًا، اذهب حيث يوجد الجهاد فجاهد وأنت صامت، لا يعلم ذلك منك إلا الله.



فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وإِقَامُ الصَّلاةِ، وإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وصَوْمُ رَمَضَانَ، وحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ.

۞ **فأركان الإسلام خمسة** أخذًا مِن قول النبي ﷺ في حديث عبد الله بن عمر: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت**»[1]، أخذ الشيخ من هذا الحديث فقال: أركان الإسلام خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، الشهادة الإعلان والنطق باللسان والانقياد لذلك كما تقدم وسيأتي تفصيل هذا فيما بعد، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام.



(١) متفق عليه.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨]. ومَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ.

❁ **فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾**: الله سبحانه وتعالى شهد لنفسه بالتوحيد، وشهدت له الملائكة وشهد له المؤمنون، معناها: لا معبود بحق إلا الله.

❁ **ومَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ**: "لا معبود بحق"، التقدير "بحق" أمر ضروري، ومَن يقول: "لا معبود إلا الله" دون التقدير إما "حقٌ" أو "بحقٍ" يخطئ، لا يفهم معنى لا إله إلا الله، لأن معنى ذلك ينفي وجود المعبودات مطلقًا، وهذا خلاف الواقع، المعبودون موجودون في كل وقت، ولكن المعبود بحق هو الله وحده. هذا معنى أن الشهادة تشتمل على الكفر والإيمان، الكفر بمَن يعبد وبما يعبد من دون الله، الإيمان بعبادة الله وحده، لا معبود بحق إلا الله وحده. وأما مَن عبد وما عبد منذ أن عبدت الأصنام والأوثان وإلى يوم الناس هذا عبادتهم باطلة، وهم في اللغة يطلق عليهم آلهة كلها آلهة، والعرب كانت تسميهم آلهة، والناس اليوم لما جهلوا اللغة لا يسمونهم آلهة يسمونهم مشايخ والصالحين والأولياء والأضرحة والمقامات، أسماء مغيرة فهي آلهة، كل ما عبد من دون الله ولو حجرًا أو شيطانًا أو وليًا لا فرق، أي: لا فرق بين أن يعبد الإنسان صالحًا أو يعبد شيطانًا وطالحًا، كلها آلهة بالباطل لا تستحق العبادة ولو كانوا من الصالحين.



«لا إله» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله.

«إِلا اللهُ» مُثْبِتًا العِبَادَةَ لله وَحْدَه، لا شَرِيكَ لَهُ في عِبادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ في مُلْكِهِ.

❁ **«لا إله» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله**: انتبه لهذا القدير، أي: تقول "لا إله" حال كونك نافيًا، نافيًا حال، تقول أيها الموحد "لا إله" نافيًا جميع ما يُعبد من دون الله من الصالحين والطالحين والجمادات والمتحركين، كلهم عبادتهم باطلة.

❁ **«إِلا اللهُ» مُثْبِتًا العِبَادَةَ لله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ في عِبادَتِهِ**: أي: تقول "إلا الله" مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، لسنا بحاجة لنشرح العبادة من جديد وقد تقدم ذكر أنواعها بالتفصيل.

❁ **لا شَرِيكَ لَهُ في عِبادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ في مُلْكِهِ**: هذا استدلال من الشيخ أخذًا من طريقة القرآن التي تقدمت، الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة، لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه، لا أحد يستطيع أن يقول له شريك في ملكه، خلق معه يرزق معه، إلا مَن يتجاهل لحاجة في نفسه.



وتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

❁ **وتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا:** يريد أن يقول الشيخ: هذه الكلمة تُفَسِّرُها آيات قرآنية كثيرة، وذكر منها بعضها، في القرآن آيات قرآنية تُفسر لا إله إلا الله، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ انظر إلى هذه الآية هي معنى لا إله إلا الله حتى في الترتيب: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ مقابل "لا إله"، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ مقابل "إلا الله"، الآية حتى في ترتيبها على ترتيب "لا إله إلا الله"، أي: قدم البراءة قبل الإثبات والإيمان.

﴿ فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾: وهذه الأمة من عقب إبراهيم عليه السلام لأنه أبو الأنبياء، فبقيت الكلمة في جميع الأنبياء وفي آخر الأمم، هذه الأمة، بقيت كلمة لا إله إلا الله بمعناها.



وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ٦٤].

❁ ومِن الآيات التي تفسر "لا إله إلا الله" قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ بمعنى "لا إله إلا الله"، ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ أي: وحده، هي كلمة "لا إله إلا الله" تمامًا.

❁ ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ﴾ مَن أطاع العلماء، أو المتبوعين، أو المشايخ، حتى مشايخ القبائل، مَن أطاعهم في سواليفهم الجاهلية البدوية في التحليل والتحريم، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله.

لا تظنوا عندما نقول الحكم بغير ما أنزل الله كفرٌ أن المراد بغير ما أنزل الله القوانين المستوردة من الخارج فقط، لا! ولو حكم الإنسان بالعادات والتقاليد والسواليف المحلية في التحليل والتحريم لا فرق بين ذلك وبين القوانين المنظمة التي تستورد من الخارج من الشرق والغرب، طالما صدر الحكم بغير ما أنزل الله فهو حكم جاهلي فهو كفر، قد يقع أهل البادية في كثير من الأقطار في التحليل والتحريم بسواليفهم من حيث لا يشعرون، ويقعون في الحكم بغير ما أنزل الله.

في بعض الأقطار وفي بعض الأجناس، مثلًا الإرث خاص بالرجال، وفي بعضهم الإرث للولد البكر فقط، هو الذي يرث الأب، المال كله له، وفي بعض الأقطار تحريم بنت العم وبنت الخالة وبنت العمة جائزة، وهكذا تجد سواليف وعادات تحرم وتحلل، ومشايخ القبائل هم الذين يحكمون بذلك على جهل وإعراض عما جاء به رسول الله ﷺ، كل ذلك حكم بغير ما أنزل الله ومن الطواغيت.



وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨].

❁ **وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تعالى:** ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾: يختلف علماء التفسير، هل الخطاب للعرب أو لجميع المسلمين؟

الجمهور على أن الخطاب للعرب لأنهم أول مَن وفد عليهم الإسلام، وهم يعتبرون أساتذة لغير العرب، أي: المسلمون من غير العرب تابعون للعرب، لذلك إذا عز العرب وتمسكوا واهتدوا الناس تبعٌ لهم، وإذا انحرفوا الناس تبعٌ لهم أيضًا في الانحراف وهذا واقع.

❁ ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾: مِن جنسكم ليس بمَلَك ولا بجني، لو كان كذلك لاستوحشتم منه، لكن رحمةً منه سبحانه وتعالى ولإقامة الحجة عليكم جعله منكم يتكلم بلغتكم، تعرفون مَن هو وابن مَن هو، ومِن أي قبيلة ومِن أي بلد، تعرفون منه كل شيء.

❁ ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾: يعز عليه ما يوقعكم في العنت[1].

❁ ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾: حريص على هدايتكم، وعلى إيمانكم، وعلى استقامتكم.

❁ ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾: قدم الجار والمجرور ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، وأما بالنسبة لغير المؤمنين: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

---

(١) أي: شديد عليه ما شقَّ عليكم، رواه الضحاك عن ابن عباس. قال الزجاج: شديد عليه عنتكم. والعنت: لقاء الشدة. [زاد المسير]

بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [الفتح:٢٩]، إنما هو رحمة للمؤمنين: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾، بالمؤمنين فقط دون غيرهم، نأخذه مِن تقديم المعمول على العامل كما تقدم.

﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾: وصفنا نبيه عليه الصلاة والسلام بأنه رؤوفٌ رحيم، الله سبحانه وتعالى رؤوفٌ رحيم، وكيف ذلك؟ وهل المخلوق يوصف بصفات الخالق؟ ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾﴿ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾﴿ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾، كثيرٌ من الناس يرتبك[1] في مثل هذا فَلْتَعلموا بأن الاشتراك في اللفظ وفي المعنى العام لا يضر، بل أمر لا بد منه. الاشتراك في اللفظ، في الرحمة والرأفة والعلم والسمع والبصر، السمع والبصر مِن أبرز صفات المخلوقين ومِن صفات الخالق، صفات ذاتية، لكن هل ضر ذلك؟ وهل أوقع ذلك في التشبيه والتمثيل؟ لا! لأن سمع الله غير سمع المخلوق، أي: حقيقة سمع الله غير حقيقة سمع المخلوق، حقيقة بصر الخالق غير حقيقة بصر المخلوق، كذلك حقيقة رحمة الله ورأفته وعلمه وملكه وعزه وعظمته.

كثيرًا ما يستنكر بعض الناس لماذا يسمى المخلوق مَلِكًا؟ ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ ﴾، الله سبحانه وتعالى هو الذي يُؤْتي الملك مَن يشاء وينزع الملك ممن يشاء، المُلك، المَلِك، المالِك، كالعلم والعالم، والسميع والبصير، هذه الأسماء إطلاقها على المخلوق لا يوقع في التشبه.

باختصار: الاشتراك إنما يقع قبل أن تضاف الصفات إلى الموصوفين، قبل أن تضاف صفات الخالق إلى الخالق وصفات المخلوق إلى المخلوق، وهذا يسمي علماء الكلام المطلق الكلي، المطلق الكلي عندهم لا وجود له إلا في الذهن، أما في الخارج لا يوجد. كل ما وجد في الخارج يوجد خاصة، بمعنى هل تتصور علمًا قائمًا هكذا ليس علم زيد ليس علم خالق ولا علم مخلوق، علمٌ قائم بنفسه وحده؟ لا وجود له! هذا يسمى المطلق الكلي، الذي لا وجود

---

(١) (ارتبك) الأمر: اختلط عليه، وفي الوحل: نشب فيه وعلق، وفي الأمر: وقع فيه ولم يكد يتخلص منه.[المعجم الوسيط]

له في الخارج إلا أن الذهن يتصور ذلك العلم. لكن إذا أضيف علم الله إلى الله، وسمع الله إلى الله، وبصر الله إلى الله، وعلم المخلوق إلى المخلوق، وسمعه إليه وبصره ورحمته، لا يدعو الاشتراك، لأن الإضافة خصصت: إذا قلتَ "علم الله": علم خاصٌ بالله، بمواصفاته، علم محيطٌ بجميع المعلومات، علمٌ لم يُسبَق بجهل، علمٌ لا يطرأ عليه غفلة أو نسيان، علمٌ قديم قدم الذات، هل علمٌ كهذا، هل يمكن أن يشترك فيه مخلوق؟ لا! إذن اختص لله.

إذا قلنا "علم زيد": علم زيد علم مكتسب، مسبوق بجهل، قاصر غير محيط بجميع المعلومات. فالله منزه أن يشارك المخلوق في مواصفات وحقائق وخصائص علم المخلوق، هذه النقطة لا بد أن نكررها في كل مناسبة لعلها تنسخ، فهي مهمة، هي سبب انزلاق علماء الكلام لما لم يستطيعوا التفريق منهم مَن أَلحق، قال: لا نتصور إلا كما نتصور في المخلوق إذن صفات الخالق كصفات المخلوق! منهم مَن قال: لا، إذا أردنا التوحيد ننفي، ننفي الصفات، نثبت ذاتًا مجردةً ليست موصوفةً بصفات، انزلقوا جميعًا وهدى الله أتباع محمد ﷺ الذين اكتفوا به بأثره وبسنته وبما جاء به ولم يلتمسوا الحق في غير كتاب الله، ولم يلتمسوا الهدى في غير سنة رسول الله ﷺ، هداهم الله وأثبتهم على هذه الجادة، ولله الحمد والمنة[1].

---

(١) نجد أن الله سبحانه وتعالى قد سمى نفسه بأسماء وسمى خلقه بأسماء، ووصف نفسه بصفات ووصف خلقه بصفات، ومع ذلك لا يمكن أن يَرِد في العقل مقتضى المماثلة أو المشابهة، ولهذا إذا جئنا إلى قضية التسلسل كأنه تدرج، فأتينا مثلًا عندنا أشاعرة، ثم معتزلة، ثم جهمية، ثم فلاسفة، وإن كان هذا التسلسل الذي أذكره ليس تسلسلًا تاريخيًا، فـالأشاعرة يثبتون لله سبع صفات، والمعتزلة تثبت الأسماء دون الصفات، والجهمية لا تثبت الأسماء ولا الصفات، و الفلاسفة لا يثبتون الإثبات ولا ينفون النفي، فتأتي مثلًا المعتزلة تناقش الأشاعرة فتقول لهم: ماذا تثبتون؟ قالوا: نثبت لله سبع صفات فقط. إذن هذه السبع هل هي على ما يليق بجلال الله وعظمته أم أنها تشابه صفات المخلوقين؟ سيقولون: لا تشابه صفات المخلوقين، فيثبتون الحياة والعلم والقدرة، ويثبتون لله تعالى السمع والبصر والكلام، ويثبتون لله الإرادة، سبع صفات، فيقولون: هذه على ما يليق بجلال الله وعظمته، قالوا لهم: الغضب، الضحك، اليد، القدم؟ قالوا: لا، هذه تشابه المخلوق، قالوا: كما أنكم تقولون: اليد والغضب هي للمخلوقين، فالمخلوق له سمع وإرادة وقدرة وله علم وحياة. لماذا لا تقولون: هذه تشابه؟ فإما أن يقولوا: إن

الصفات التي لم يثبتوها لا تشابه المخلوقين فينطلقون لأهل السنة، وإما أن يقولوا: الصفات التي أثبتوها تشبه صفات المخلوقين فينتقلون ليصبحوا معتزلة، فأصبح الأشاعرة في برزخ، فلا هم إلى أهل السنة ولا هم إلى المعتزلة .

جاءتهم الجهمية وناقشت المعتزلة فقالت: ما منهجكم؟ قالوا: نثبت الأسماء دون الصفات، قالت لهم الجهمية: لماذا لا تثبتون الصفات لله؟ قالوا: لأن الصفات تقتضي المشابهة. قالوا: وكذلك الأسماء الواردة في المخلوقين تسمى بهذه الأسماء: ﴿قَالَتْ امْرَأَةُ العَزِيزِ﴾ [يوسف:٥١] سمي هذا الرجل عزيزًا، وهذا من أسماء الله تعالى ﴿وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [إبراهيم:٤] فقالوا لهم: إما أن تثبتوا الصفات أو تنفوها فتكونوا مثلنا جهمية.

وجاءت الفلاسفة فناقشت هؤلاء الجهمية، فقالوا لهم: أنتم لا تثبتون لله لا أسماء ولا صفات، وبناءً عليه شبهتم الله بالمعدوم، فالذي لا أسماء له ولا صفات يكون معدومًا. ما رأيكم أنتم أيها الفلاسفة؟ قالوا: نحن تورطنا ورطة ماذا نعمل فقالوا: إذا أثبتنا لله الأسماء والصفات شبهنا الله بالمخلوق، وإذا نفينا عنه الأسماء والصفات شبهنا الله بالمعدوم، فنقول: الله لا حي ولا ميت، ولا سميع ولا غير سميع، ولا متكلم ولا غير متكلم، فنفر من هاتين الصفتين، قالوا لهم: وقعتم في شر مما فررتم منه، والنتيجة: أنكم شبهتم الله بالممتنع. هل يمكن أن يتصور الإنسان أنه يوجد إله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا حي ولا ميت، ولا موجود ولا معدوم، هذا شيء ممتنع.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: إن المبتدعة لا يفرون من محذورٍ مما دلتْ عليه النصوص فيما يتوهمون إلا وقعوا في مثله أو في شر من مما فروا منه، وهذا جزاء مَن أعرض عن الكتاب والسنة.

يخشى من تشبيه الله بالإنسان أو بالحي فيشبه الله بالجماد، ويخشى من تشبيه الله بالجماد فيشبه الله بالمعدوم، ويخشى من تشبيه الله بالمعدوم فيقع فيشبه الله بالممتنع، فخير له أن يبقى على ما دلتْ عليه النصوص ويقول: الله ليس كمثله شيء سبحانه وتعالى.

هناك قد يرد في الذهن – وهذا ما وقع المبتدعة فيه على وجه العموم– وهو أنهم وجدوا أن النصوص دلتْ على أن الله سميع والإنسان سميع: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢].

فقالوا: مادام أن الله له سمع والمخلوق له سمع، يجب أن ننزه الله، والنتيجة: الله ليس له سمع ولا بصر، وهذا كلام باطل، فأنت إذ تثبت نصًا لم تثبته من عند نفسك، وإنما الله هو الذي أثبته لنفسه، وبناء عليه نقول: يوجد –وهذا كلام لطيف جدًا ذكره شيخ الإسلام وأومأ إليه جمع من أئمة أهل السنة– اشتراك

ومَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

۞ **ومَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ**: انتبهوا لهذه الألفاظ التي جاءت مُسَجَّعَةً[1] بغير قصد لكنها مهمة ينبغي أن يحذر طالب علم وصغار الطلبة، وكل الناس طلبة.

۞ **طاعته فيما أمر**: "فيما" "ما" هذه إما تعتبرها مصدرية: "طاعته في أمره"، أو تعتبرها موصولة: "طاعته في كل الذي أمر"، "ما" الموصولة من صيغ العموم، "فيما أمر" تساوي "في كل ما أمر"، تقدم أن قلنا له الطاعة المطلقة ﷺ.

بين أسماء الله وأسماء خلقه، بل بين صفات الله تعالى وصفات خلقه، وهذا الاشتراك في أمرين:

الاشتراك الأول: في اللفظ، عندنا (سمع الله) يقول: ﴿وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الإسراء:١] وذكر الله عن الإنسان أنه يسمى سميعًا بصيرًا، هذا اشتراك في اللفظ.

الاشتراك الثاني: في المعنى المطلق الكلي العام، وهذا لا يوجد إلا في الأذهان فقط، فمثلًا: إذا قلت: سمع، ستجد يتبادر إلى الذهن مفهوم مدلول السمع ما هو، يتبادر إلى الذهن نفهم معناه، هذا الذي يتبادر إلى الذهن قالوا: هذا هو المطلق الكلي العام، هذا إذا قلنا: سمع، أين موقع هذه اللفظة؟ أو ما يرد في الذهن فقط، لكن في الخارج لا يوجد عندنا شيء، ولكن عند الإضافة يقول شيخ الإسلام: وعند الإضافة والتخصيص يتميز ذلك، فإذا قلت: سمع الله، ليس هناك مجال للاشتراك، ولا يمكن أن يشابه سمع المخلوق، وإذا قلت: سمع الإنسان، لا يمكن أن يشابه سمع الله أبدًا، وإذا قلت: سمع الحيوان لا يمكن أن يشابه سمع الإنسان ولا سمع الله تعالى، فإذا فهم هذا لم يحدث عنده أدنى لبس أبدًا.

ما فائدة وجود المعنى المطلق الكلي العام؟ فائدته أن يفهم الإنسان مطلق الألفاظ والنصوص الواردة عليه، ولو لم يوجد المعنى المطلق لأصبحتْ نصوص الكتاب والسنة نصوصًا جوفاء لا نعرف مدلولها أصلًا كما تقوله المفوضة من المبتدعة. [شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية/ عمر بن سعود بن فهد العيد].

(١) (سجع) سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعًا استوى واستقام وأَشبه بعضه بعضًا.

❁ **وتصديقه فيما أخبر**: قل "فيما أخبر" كما قلته "فيما أمر" تمامًا.

[أخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام عن الغيب الماضي عن الأُمَم الماضية كيف عاشوا مع أنبياءه وكيف عاملوا أنبياءه وما حصل عليه، أخبر عن كل هذا، يجب أن نصدقه. أخبر النبي ﷺ عن الغيب المستقبل، الغيب المستقبل بالنسبة لزمانه، من ذلك ما وقع، ونحن نعيش في ذلك الغيب كثيرًا ككثرة الهرج[1]، ككثرة القتال، وكثرة الفتن، وكثرة النساء[2]، واستحلال كثير من المحرمات كالخمر والغناء وغير ذلك[3]، هذه من الأمور الغيبية التي أخبر عنها النبي عليه الصلاة والسلام، وبعضها لم تقع وستقع، كأمارات القيامة الغريبة، كالدجال، وعيسى، والمهدي، والدابة[4]، وكل ذلك هذا يسمى من الغيب المستقبل. وأخبر عليه الصلاة والسلام أو جاءنا بالأحكام التي بيننا نصدقه في الأحكام ونطيعه، ونصدقه في الغيب الماضي وفي الغيب المستقبل، بذلك نكون شهدنا بأن محمدًا ﷺ رسول الله، لأن هذه الأشياء لا تكون إلى من عند الله، لأنه عليه الصلاة والسلام كما شهد له ربه: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ**

---

(١) كما قال رسول الله ﷺ :«**إن بين يدي الساعة الهرج**». قالوا: وما الهرج؟ قال: «**القتل، إنه ليس بقتلكم المشركين ولكن قتل بعضكم بعضًا (حتى يقتل الرجل جاره ويقتل أخاه ويقتل عمه ويقتل ابن عمه)**» قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ؟ قال: «**إنه لتنزع عقول أهل ذلك الزمان ويخلف له هباء من الناس يحسب أكثرهم أنهم على شيء وليسوا على شيء**» .وأخرجه ابن حبان بلفظ: «**إن بين يدي الساعة لفتنًا كقطع اليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ...**» (الحديث) وفيه: «**كسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة فإن دخل على أحدكم بيته فليكن كخير ابني آدم**» [الصحيحة:١٦٨٢]

(٢) قال النَّبِيُّ ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ لاَ يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ، مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ**». [صحيح البخاري]

(٣) قال النَّبِيُّ ﷺ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ يَعْنِي الفَقِيرَ لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا فَيُبَيِّتُهُمْ اللهُ وَيَضَعُ العَلَمَ وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**». (الحِرَ): أي: الفرج، والمعنى يستحلون الزنا. [صحيح البخاري- بَاب مَا جَاءَ فِيمَنْ يَسْتَحِلُّ الخَمْرَ وَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ]

(٤) انظر مثلًا في "كتاب الفتن وأشراط الساعة" من "اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان".

ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم].] (١)

۞ **واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يُعبد اللهُ إلا بما شرع**: هذه الفقرة الأخيرة مهمة جدًا لأن كثيرًا من الناس قد يطيع رسول الله ﷺ ولا يكذبه، وقد ينتهي عن كثيرٍ من المنهيات ويَمْتثل الأمر، لكن عند عبادة الله تعالى لا يَتقيد بما جاء به النبي ﷺ، من هنا يقع في الابتداع، يعبد الله ويتخبط في عبادته، لا يتقيد بالسنة، عبادة، عبادة.

مثل صغير: بعض الناس تجده يركع في أوقات النهي، نوافل مطلقة، أو يزيد عدة ركعات بعد أذان الفجر، إذا قلتَ له: "يا أخي لا يُشرع إلا ركعتا الفجر بعد الأذان، وفي مثل هذا الوقت الصلاة منهيٌّ عنها" يقول: "لا، بس هذه لله، بس! هذه بس لله!" يعني: "فوضها إلا لله!"، طيب والتي قبلها؟ الفرائض والتي صليتَ كلها ما هي لله؟! هذه لله خليها تمشي! هذا جهل. كلها لله، والعبادة التي لا تقبل إلا على الجادة لا يفهم هذا، يحسب ما دام هي صلاة فيها ركوع وسجود، تمشي في أي وقت وكيفما جاءت، هذا من الجهل.

۞ **وأن لا يعبد الله إلا بما شرع**: يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: الإنسان الذي يعبد الله بغير السنة، أي: غير متقيد بالسنة، كالذي يحمل جرابًا ملئ رملًا، حمله على رأسه فسافر به، فإذا وصل إلى حيث شاء وفتح الجراب، الكيس، ماذا يرى؟! يرى رملًا، لا سكرًا ولا أرزًا ولا طعامًا، ماذا يفعل؟! تعب في الحمل، ولما وصل لم يتمكن من الاستفادة بما في الجراب الذي حمله على رأسه قبل السيارات، تعب مجرد تعب (٢)!

كذلك مَن يُكثر من العبادة على جهل دون تقيد بهدي محمدٍ ﷺ إذا وصل يوم يصل يجد أنه لا شيء عنده، ما عمل شيئًا، لا يقبل! كيف يقبل؟! وهل بعث الله محمدًا ﷺ عبثًا؟! بعثه إلينا لنتبعه، لنسير إلى الله على طريقته، ليقودنا إلى الله، أما إذا تركنا قيادته وفتحنا لنا

---

(١) الشرح الثالث، الشريط ٣الثالث، من ٢٠"٤٨ إلى ٠٠"٥٠

(٢) يقول ابن القيم – رحمه الله-: "العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه" [من الكتاب "الفوائد"– فصل: من أعجب الأشياء].

الطرق من هنا ومن هنا، تركنا الجادة، وسلكنا بُنَيّات الطريق، النهاية الضياع. لم يعرف مكانة السنة إلا أمثال هؤلاء، أما كثيرٌ من العباد على جهل وخصوصًا الذين تربوا في أحضان المتصوفة، لا يعرفون مكانة السنة، يحسبون السنة صحيح

البخاري وصحيح مسلم لِيُقْرَآ للتبرك في رمضان، يختم في بعض المساجد صحيح البخاري في شهر رمضان سردًا، والشيخ جالس تحت العمود متكئ، ظهره على العمود يقول: "نعم، نعم"، ويسرد الطلاب، ويقرأ هذا، إذا تعب زيد يقرأ عمرو، وهكذا حتى يختموا؛ قالوا ختموا صحيح البخاري، ويعملون حفلة على ختم البخاري تبركًا، لم يستفيدوا حكمًا واحدًا، لا حكمًا فقهيًا ولا عقيدةً مما في هذا الكتاب العظيم صحيح البخاري، يخرجون صفر اليدين. أمثال هؤلاء لا يعرفون مكانة السنة، هذه هي السنة عندهم، نسأل الله لنا ولكم السلامة.



ودَلِيلُ الصَّلاةِ، والزَّكَاةِ، وتَفْسيرُ التَّوْحيدِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥].

❁ **قَوْلُهُ تعالى:** ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾: مائلين من الشرك إلى التوحيد، إلى الإخلاص، أُمروا بهذا الناس كلهم، جميع العباد.

❁ ﴿ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾: الدين المستقيم، الطريق المستقيم الموصل إلى الله، أن تخلص لله بالعبادة، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وفي كل ذلك بالإخلاص واتباع السنة.



ودَليلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ **[البقرة:١٨٣].**

۞ **ودَليلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾: من أين نأخذ الوجوب؟ لفظة "كُتِبَ" مع "عليكم"، "كُتِبَ" و"عليكم" هذه الجملة تفيد الوجوب، أن الله أوجب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم، أما الذين قبلنا كيفية صيامهم ما نعلم، إنما نشترك في الجملة في وجوب الصيام علينا، نعلم صيامنا بالتفصيل، ولكن صيام القوم لا نعلمه بالتفصيل.

۞ ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾: أي: لكي تتقون، لكي يكون الصيام وقايةً بينكم وبين عذاب الله وغضبه، لأن الصيام يكون سببًا للتقوى، لأنه يترك لله شهواته طعامه وشرابه، لذلك أضاف الله الصيام إلى نفسه: «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي**»[1] إضافة عظيمة.



---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب وإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه**» [صحيح الجامع: ٤٣٢٨].

ودَليلُ الحَجِّ: قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

❁ **ودَليلُ الحَجِّ: قَوْلُهُ تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: كذلك نأخذ من اللفظة "على" الوجوب.

❁ ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾: هذه الآية عند كثير من أهل التفسير نزلت في السَّنة التاسعة من الهجرة، أي: أوجب الله علينا الحج في السنة التاسعة من الهجرة النبوية، فبادر النبي عليه الصلاة والسلام بالتطبيق بأن مهد لحجه في العام العاشر بإرسال وفد يطهر مكة، ويعلن في مكة عن حج النبي ﷺ في العام المقبل السنة العاشرة، والتفصيل في محله هناك.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾: معنى الاستطاعة عند الفقهاء الزاد والراحلة[١]، وإن كان الحديث فيه مقال، ولكن معناه سليم، تشهد له نصوص الكتاب والسنة.

❁ ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: **قد يستدل بعض الناس بآخر هذه الآية على أن ترك الحج مع الاستطاعة كفرٌ، ولكن الذي عليه** الجمهور أن هذا كفرٌ عملي، ليس كفرًا اعتقاديًا، أي: مَن ترك الحج مع الاستطاعة يأثم إثمًا كبيرًا، وتثبت مصاريف الحج في تركته، فتخرج مصاريف الحج من تركته ولم يصل إلى الشرك الأكبر، لا يصل إلى الشرك الأكبر إلا بالجحود، طالما يؤمن بوجوبه، إذا قصّر فيكون كفره كفرًا دون كفر.



---

(١) عن أنس في قوله عزوجل: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ قال: قيل: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: الزاد والراحلة. رواه الدارقطني. قال الشيخ الألباني في إرواء الغليل/ ٩٨٨: ضعيف.

❁ **المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ**: الإيمان كما تقدم أضيق من الإسلام، والذي بعده الإحسان أضيق بأكثر. يجب أن نقف عند الإيمان لنعرف اختلاف أهل العلم في حقيقة الإيمان، ليتبين لنا أننا بحاجة إلى تحقيق الإيمان نفسه، الإيمان الذي هو كل شيء عندنا لم يسلم من الاختلاف.

ما هو الإيمان؟ الإيمان عند بعض علماء الكلام مجرد المعرفة، أي: معرفة الله تعالى، والكفر عندهم الجهل. هذا ما ذهب إليه جهم بن صفوان، وعلى هذا لا يوجد كافرٌ إلا من هو جاهل، ولا يوجد أجهل بالله من جهم بن صفوان، لذلك يقال: إنه حَكَمَ على نفسه بالكفر من حيث لا يشعر، حيث قال: إن الإيمان هو المعرفة وإن الكفر هو الجهل؛ وإذا تتبعنا عقيدته نجده أجهل الناس بالله، إذن هو كافرٌ بشهادة نفسه على نفسه.

الله سبحانه وتعالى في نظر جهم بن صفوان والجهمية، لا يوصف لا بصفة ولا يسمى باسم، أي: وجود الله تعالى عندهم وجود ذهني ليس له وجود خارجي، الوجود المطلق، لأن الموجود في الخارج لا بد أن يوصف بصفة، الذي لا يوصف بصفة هو العدم، الموجود لا بد له من صفة، فإذا نفوا عنه جميع الصفات وجميع الأسماء شبهوه بالمعدوم الذي لا يوصف بأي صفة لأنه معدوم؛ وعلى هذا جهم بن صفوان هو من أكفر الكافرين بشهادة نفسه على نفسه، إذ الإيمان عنده المعرفة والكفر الجهل(١).

---

(١) جَهْمُ بْن صَفْوَانَ السَّمَرْقَنْدِيُّ، وهو الَّذي أَظْهَرَ نَفْيَ الصِّفاتِ والتَّعْطيلَ، وهو أَخَذَ ذلك عَنِ الجَعْدِ بنِ دِرْهَمٍ، الَّذي ضَحَّى به خالِدُ بنُ عَبْدِ الله القَسْرِيُّ بِواسِطَ (سنة ١٢٤ هـ)، فإِنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ في يوم عِيدِ الأَضْحى، وقال: أَيُّها النَّاسُ، ضَحُّوا تَقَبَّلَ اللهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي مُضَحٍّ بِالجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الجَعْدُ عُلُوًّا كَبِيرًا! ثُمَّ نَزَلَ فَذَبَحَهُ. وكان ذلك بَعْدَ اسْتِفْتَاءِ عُلَمَاءِ زمانِهِ، وهمُ السَّلَفُ الصَّالِحُ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالى.

وكانَ الجَهْمُ بَعْدَهُ بِخُرَاسَانَ، فَأَظْهَرَ مَقَالَتَهُ هناكَ، وتَبِعَهُ عليها ناسٌ، بعد أَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا

القول الثاني لأهل الكلام في الإيمان: الإيمان هو التصديق فقط، مجرد التصديق بالقلب بصحة ما جاء به رسول الله ﷺ ولو لم ينطق باللسان، لو لم يقر بشهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، طالما ادعى أنه صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما جاء به فهو مؤمن.

القول الثالث: الإيمان هو التصديق والإقرار معًا، أن يُصَدِّقَ بقلبه ويقر بلسانه.

هؤلاء جميعًا يقال لهم المرجئة، مرجئة الفقهاء، أصل مَنْبَتهم من الكوفة لأن هذا القول، القول بأن الإيمان هو التصديق أو التصديق والإقرار معًا، قول الإمام أبي حنيفة، وتَبِعَه في ذلك جميع الكوفيين ثم انتقل هذا المذهب من الماتوريدية إلى الأشاعرة فصار الإيمان عند جمهور الأشاعرة والماتوريدية هو التصديق، وإن توسعوا التصديق والإقرار، الإقرار محل خلاف عندهم، القول الصحيح أن الإيمان عندهم التصديق.

وعلى هذا، جميع الأعمال الإسلامية التي في الكتاب والسنة ليست من الإيمان في شيء عند هؤلاء، أخرجوا الأعمال كلها من الإيمان، هذا هو معنى الإرجاء، الإرجاء معناه التأخير، أخَّروا الأعمال عن مسمى الإيمان، لم يُدخلوا الأعمال كلَها في الإيمان، بل الإيمان إلا إما مجرد التصديق أو التصديق والإقرار، هذا الذي عليه جمهور الأشاعرة وما أكثرهم، وهو

شَكًّا فِي رَبِّهِ! وكان ذلك لِمُنَاظَرَتِهِ قَوْمًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يُقَالُ لَهُمُ السُّمَنِيَّةُ، مِنْ فَلَاسِفَةِ الهِنْدِ، الَّذينَ يُنْكِرونَ مِنَ العِلْمِ ما سِوَى الحِسِّيَّاتِ، قالوا له: هذا رَبُّكَ الَّذي تَعْبُدُهُ، هل يُرَى أَوْ يُشَمُّ أَوْ يُذَاقُ أَوْ يُلْمَسُ؟ فقالَ: لا، فقالُوا: هو مَعْدومٌ !! فَبَقِيَ أَرْبَعينَ يَوْمًا لا يَعْبُدُ شَيْئًا، ثُمَّ لَمَّا خَلا قَلْبُهُ مِنْ مَعْبودٍ يُؤَلِّهُهُ، نَقَشَ الشَّيْطَانُ اعْتِقَادًا نَحَتَهُ فِكْرُهُ، فقال: إِنَّهُ الوُجُودُ المُطْلَقُ!! ونَفَى جَمِيعَ الصِّفَاتِ، واتَّصَلَ بِالجَعْدِ. وقَدْ قِيلَ: إِنَّ الجَعْدَ كان قَدِ اتَّصَلَ بِالصَّابِئَةِ الفَلَاسِفَةِ مِنْ أَهْلِ حَرَّانَ، وأَنَّهُ أَيْضًا أَخَذَ شَيْئًا عَنْ بَعْضِ اليَهُودِ المُحَرِّفِينَ لِدينِهِمُ المُتَّصِلينَ بِلَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ، السَّاحِرِ الَّذي سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ. فَقُتِلَ جَهْمٌ بِخُرَاسَانَ، قَتَلَهُ سَلْمُ بْنُ أَحْوَزَ (سنة ١٢٨ هـ).

ومِمَّا انْفَرَدَ به الجَهْمُ: أَنَّ الجَنَّةَ والنَّارَ تَفْنَيَانِ، وأَنَّ الإِيمَانَ هو المَعْرِفَةُ فَقَطْ، والكُفْرَ هو الجَهْلُ فَقَطْ، وأَنَّهُ لا فِعْلَ لِأَحَدٍ في الحَقِيقَةِ إِلَّا لله وَحْدَهُ، وأَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا تُنْسَبُ إِلَيْهِمْ أَفْعَالُهُمْ على سَبيلِ المَجَازِ، كما يُقالُ تَحَرَّكَتِ الشَّجَرَةُ، ودَارَ الفَلَكُ، وزَالَتِ الشَّمْسُ! [شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي]

في الأصل عقيدة الماتوريدية التابعين للإمام أبي حنيفة. في هذه المسألة خالف الإمام أبو حنيفة الجمهور، جمهور أهل السنة والجماعة، بما فيهم الأئمة الثلاثة وغيرهم.

ولكن الذي ينبغي أن يفهمه طلاب العلم، الإرجاء الذي هو عقيدة أبي حنيفة ومَن تبعه، غير إرجاء علماء الكلام، لذلك يسمون هؤلاء مرجئة الفقهاء. مرجئة أهل الكلام يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنبٌ، ويرون أن الناس لا يتفاوتون في الإيمان، وأن إيمان الأنبياء ومن بعدهم واحد، لأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص عندهم، حقيقة واحدة، هؤلاء مرجئة أهل الكلام؛ ولكن مرجئة الإمام أبي حنيفة ومن تبعه لا يصلون إلى هذه الدرجة، وإن أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان.

وعلى كلٍ هذا المذهب خطأ، الصواب هو ما عليه الجمهور، لا لجمهرتهم وكثرتهم ولكن لكون الدليل معهم من الكتاب والسنة، كتاب الله تعلى ينطق ويدخل ويعد الأعمال من الإيمان، وكذلك السنة، إذا قرأنا قوله تعالى في أول سورة الأنفال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾، عدد الله في هذه الآية أعمال القلوب وأعمال الجوارح من الإيمان: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ هذا من أعمال القلوب، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ من أعمال القلوب، ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ من أعمال الجوارح. إذن أعمال القلوب وأعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان، وعلى هذا يكون التصديق تصديقًا خاصًا.

أخذ المرجئة الإيمان اللغوي، الذي هو مجرد التصديق وأخطئوا في ذلك، لأن المراد بالتصديق هنا التصديق الشرعي لا التصديق اللغوي، المعنى اللغوي دائمًا أعم وأشمل من المعنى الشرعي والاصطلاحي، في اللغة مجرد التصديق أي شيء صدقته يسمى إيمانًا، وفي الشرع تصديق خاص: تصديق ما جاء به النبي ﷺ تصديقًا تُصَدِّقُه الأعمال، لأن تصديق القلب إن لم يوجد دليلٌ على صحته يعتبر دعوى، ومَنِ ادعى أنه صدق رسول الله عليه

الصلاة والسلام في كل ما جاء به ثم ترك العمل، لا يعمل شيئًا من أعمال الإسلام، من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وغير ذلك، لا يعمل، يقول: "أنا مؤمن لأني مصدق"، نقول له: "ائْتِ بالدليل على تصديقك القلبي، ما الذي يصدقك؟"، أعمال الجوارح هي التي تصدق ذلك التصديق، تشهد لصحة ذلك التصديق، ومَنِ ادعى أنه مصدقٌ بقلبه بكل ما جاء به رسول الله ﷺ ثم لا يعمل، يقال له هذه دعوى، والدعوى لا بد لها من بينة، فأين البينة؟ البينة الأعمال. لذلك يقول بعضهم:

وإذا حلــــــت الهدايـــــــة قلبًـــــا نشـــــطت في العبـــــادة الأعضـــــاءُ

فإذا كانت الأعضاء لا تعمل، لا يصلي ولا يصوم، لا يأمر ولا ينهى، ولا يجاهد ولا يطلب العلم، مصدق؟! لا! لا يقبل مثل هذا التصديق، وعلى هذا انتشر بين المسلمين هذا الإيمان الإرجائي.

لذلك لو أَمرتَ إنسانًا أو نصحتَه أو نبهتَه على ما فعل، يقول: "لا! الإيمان في القلب، هنا الإيمان!"؛ الإيمان الذي هنا لو صح لظهر أثره في أعضائك وجوارحك، لستَ بصادق، تترك الصلاة فيقال لك: "صلِّ" تقول: "لا، الإيمان هنا في القلب"، ليس بصحيح.

على هذا كيف تُحاجِجون الذين تريدون، تُنازِعون الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، تقولون لهم: "أنتم حكام غير مسلمين"، فيقول لك: "لا أنا مسلم لأني أقول لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأنا مصدق، وأنت معي في هذا التعريف"، يعاجزك؛ لكن متى تستطيع أن تقنعه بأنه ليس على الإسلام؟ إذا عَرَّفتَ الإيمان بالتعريف الصحيح ما هو: الإيمان تصديق بالقلب وعمل بالجوارح وقول باللسان. التصديق الذي في القلب يشهد لصحته النطق باللسان، قولك: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله"، تصدق كل ذلك الأعمال، الأعمال الجارية على السنة وعلى وِفْق ما جاء به رسول الله عليه

الصلاة والسلام[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) ما علاقة الإيمان في اللغة بالأمن يعني في دلالة اللغة؟ لأنه من آمَنَ فقد أمِنَ، آمَنَ بالشيء أمِنَ على نفسه، آمَنَ يعني صدَّقَ استسلم أطاع إلى آخره فإنه يعتبر مُسْتسلمًا؛ يعني يُعْتَبَر أَمِنَ عدوه، لو آمَنَ بما قال عدوه صَدَّقَهُ فإنه يكون أَمِنَ غائلته.

إذا تبين هذا فهذا الأصل اللغوي الذي هو مجيء الاشتقاق من كلمة واحدة يدلُّكَ على أنَّ أصل كلمة الإيمان في اللغة من حيث الاشتقاق من الأمن، ثُمَّ في الاستعمال العرفي - عُرْف العرب- خَصَّتْ ذلك المعنى إلى أنَّ الإيمان هو التصديق، التصديق الجازم الذي يكون معه عمل يَأْمَنُ معه.

وهذا جاء في القرآن يعني في استعمال المعنى اللغوي للإيمان في مواضع:

كقوله - عز وجل- في قصة يوسف مخبرًا عن قول إخوة يوسف لأبيهم ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴾ [يوسف] لاحظ الأَمْن يعني بِمُصَدِّقٍ لنا التصديق الجازم الذي يتبعه عمل أنَّكَ لا تؤاخنا بما فعلنا، قال ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ [يوسف:١٨]، فما أعطاهم الأمْن.

كذلك قال عز وجل في قصة إبراهيم عليه السلام ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت:٢٦] ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ يعني صَدَّقَهُ تصديقًا جازمًا تبعه عملٌ له بحيث يأمن من العذاب الذي توعد به إبراهيم قومَه.

كذلك في وصف النبي ﷺ في سورة براءة قال ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [براءة:٦١] ﴿ وَيُؤْمِنُ ﴾ أي يُصَدِّقُهُمْ فيما يقولون فيَأْمنون معه عقوبة النبي ﷺ.

إذًا فالإيمان في اللغة استُعْمِلَ ويُرادُ به التصديق الجازم الذي يكون معه عمل يأمن معه؛ لأنه فيه صلة دائمًا بين المعنى العرفي، الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية.

إذا تبين هذا فمن المهم في تأصيل هذه المسألة التي غَلِطَ فيها الكثيرون منذ نَشَأَتْ المرجئة، أن يُعرَفَ أنَّ الإيمان في اللغة في حقيقته تصديق وإقرار؛ لكن تصديق معه نوع عمل وليس لازمًا في حقيقته؛ لكن لا يُسَمَّى تصديقًا حتى يكون معه عمل يأمن به، لصلته بالمعنى اللغوي العام.

أما في الشرع فهو إقرارٌ وتصديقٌ وعمل؛ لأنَّ الشرع جاء بزيادة على المعنى اللغوي في هذه المسألة العظيمة. [شرح العقيدة الطحاوية للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ].

وهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا اله إِلا اللهُ، وأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

۞ **وهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا اله إِلا اللهُ، وأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ**: إذن الإيمان مركب، الإيمان يتألف من أجزاء: من تصديق بالقلب وعمل بالجوارح وقول باللسان، لهذا يشهد الكتاب والسنة وقد سمعنا من الكتاب الآية، اسمع قول رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله**»(١)، جعل النطق باللسان من الإيمان وأعلى درجات الإيمان، هذا مما يذكر في فضل لا إله إلا الله، هذه الكلمة ركن في الإيمان وركن في الإسلام وأفضل الذكر، كلمة عظيمة، إذا جئتَ تعدد الإسلام فهي في الطليعة، وإذا جئتَ تعدد شعب الإيمان فهي في المقدمة، وإذا جئتَ لتعرف أفضل الذكر بعد القرآن "لا إله إلا الله"، كلمة عظيمة إذا فُهِم معناها وطُبِّقَت، هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**».

هنا سؤال يرد: قال عليه الصلاة والسلام «**أعلاها لا إله إلا الله**» ولم يقل: "محمدٌ رسول الله"، وهل يكفي أن نقول: "أشهد أن لا إله إلا الله" وكفى؟ لا! ولو لم يُذْكَر الجزء الثاني كأنه مذكور، لأن "لا إله إلا الله محمد رسول الله" كالجسم والروح لا يَفترِقان، لا ينفع قول "لا إله إلا الله" بدون "محمدٌ رسول الله"، أي: الشهادة بالوحدانية لا تجزئ ولا تنفع حتى تشهد بالرسالة، ولو شَهِدتَ بالرسالة ما نفعت الشهادة حتى تَشهد قبل ذلك بالوحدانية، هما شيئان في الظاهر ولكنهما شيء واحدٌ في الحقيقة، إذ بينهما تلازم لا يفترقان.

لذلك إذا جاء في بعض الأحاديث ذكر "لا إله إلا الله" ولم يذكر شهادة أن محمدًا

---

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ**» [صحيح مسلم]

رسول الله كما في هذا الحديث، فلْيُعلَم أن ذلك اكتفاءً بالمعلوم، لأنه من المعلوم أن "لا إله إلا الله" وحدها لا تغني إلا بإضافة "محمد رسول الله"، وهي تسمى بجملتها كلمة التوحيد وكلمة الإسلام وكلمة الإيمان ومفتاح الجنة.

ثم قال: «**وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»، إماطة الأذى عن الطريق عملٌ من أعمال الجوارح، جعل النبي عليه الصلاة والسلام ذلك من الإيمان؛ من تمام إيمانك أن تحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك وأن تكره له ما تكره لنفسك(١)، إذا رأيتَ قشرة موز في وسط الطريق فأخذتْك الشفقة، قلتَ: "ربما ينزلق إنسان من هذا فتنكسر رجله"، رحمتَ المارين وأزلتَ الضر عنهم، هذا يعتبر جزءً أو شعبةً من شعب الإيمان.

۞ «**أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياة شعبة من الإيمان**»: وبين أعلاها وأدناها شعب تتفاوت: الصلاة شعبة من الإيمان، الجهاد شعبة من الإيمان، الزكاة شعبة من الإيمان، وطلب العلم شعبة من الإيمان، وأنتَ ماشي تُعَدِّد ما شئتَ أن تُعَدِّد، كلها من شعب الإيمان؛ إذن الإيمان يتألف من شعب كثيرة، وليس مجرد التصديق وليس مجرد الإقرار.

لذلك فلنسمع هذا التعريف الشارح، الذي شرح الإيمان من كلام العلامة ابن قيم، فليسجل عنده طلاب العلم، يقول العلامة ابن قيم:

"الإيمان حقيقةٌ مركبةٌ مِن معرفة ما جاء به رسول الله ﷺ عِلمًا، وتصديقه عَقدًا، والإقرار به نُطقًا، والانقياد له محبةً وخضوعًا، والعمل به ظاهرًا وباطنًا، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكماله في الحب في الله والبغض في الله، والعطاء لله والمنع لله وأن يكون اللهُ وحدَه إلهَه ومعبودَه، والطريق إليه تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سِوى الله ورسوله"(٢)، هذا هو الإيمان بهذا التركيب، الإيمان

---

(١) عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». رواه البخاري ومسلم.

(٢) كتاب الفوائد/ فائدة عظيمة: أفضل ما اكتسبته النفوس وحصلته القلوب العبد ونال به.

مركب.

مما ينتقده[1] علماء الكلام على أهل السنة يقولون: كيف يكون الإيمان مركبًا؟ لأن المركب إذا أُزيل بعضَ أجزائه زال كله!؟

هذا غير صحيح، ما الذي يُرد على هذا؟ لا يكفي أن تقول غير صحيح! ترد عليه بالحديث السابق الذكر: «**الإيمان بضع وستون شعبة..**» لأن النبي ﷺ جعل الشُعب متفاوتة: الشعبة الأولى هي التي يزول الإيمان بزوالها، إذا زالت الشعبة الأولى، شعبة "لا إله إلا الله محمدًا رسول الله"، زال الإيمان كله لا يبقى شيء، وهل إذا ترك الشعبة الأخيرة، مر الإنسان في الطريق على الأذى فلم يزله، هل يزول إيمانه؟ لا، ينقص. الشُعب الأُخرى غير الشعبة الأولى، بزوالها ينقص الإيمان بقدر ما يترك الإنسان شعبةً مِنَ الشُعب، وبقدر ما يَرتكِب مِنَ المحرمات والمعاصي يَنقص إيمانُه، لا يزول، وإنما يزول بزوال كلمة التوحيد والكفر بها والإتيان بما يُناقضها، ليس معنى زوالها أنك تقول: "أنا لا أعترف أنه لا إله إلا الله"، لا! قد تقول بلسانك "لا إله إلا الله" وتأتي بما يُناقِضُها. لأن للإسلام نواقض كنواقض الوضوء، يتوضأ إنسان وضوءً جديدًا ويدخل الآن من هذا الباب من الميضأة[2]، فدخل المسجد خرج منه الريح، هل ينفعه هذا الوضوء الجديد؟ لا! كذلك لو قال مائة مرة، يعدها بالسُبْحَة: "لا إله إلا الله، لا إله إلا الله"، ثم إذا اشتدت به الأمور قال: "أغثني يا فلان! ما لي سواك يا فلان!" انتقض توحيده تمامًا لا يبقى عنده شيء، كافر! نفى الله الذي كان يُقِرُّه بلسانه؛ هنا يزول الإيمان. لكن لو ترك شعبة من الشعب كأن قَلّ حياءه فارتكب معصية ينقص إيمانه لا يزول كُليًا، فلْيُفهم هذا جيدًا.

ثم طالما تعرضنا لهذه المسألة وهي مسألة كبيرة، قد يستدل عليك من يرى بأن الأعمال ليست من الإيمان، يستدل بالعطف الذي جاء في القرآن: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

(١) (انتقد) يقال انتقد الشعر على قائله أظهر عيبه. [المعجم الوسيط]

(٢) المِيضَأَةُ: مِطْهَرةٌ وهي التي يُتَوَضَّأُ منها أَو فيها. [لسان العرب]

﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الفتح:٢٩]، يقول: العطف يقتضي المغايرة، إذن الأعمال الصالحة غير الإيمان، لأن الله عطف الأعمال الصالحة على الإيمان، الأعمال الصالحة هي الإسلام، فالعطف يقتضي المغايرة، كأن تقول: "جاء زيد وذهب عمرو"، بينهما مغايرة، بين "جاء" وبين "ذهب"، وبين "زيد" وبين "عمرو"، صح العطف هنا اقتضى العطف المغايرة؛ فإذا قال لك: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يدل على أن الأعمال الصالحة غير الإيمان، تقول: المغايرة درجات، صحيح أن العطف يدل على المغايرة ولكن المغايرة درجات: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨] أليست الصلاة الوسطى من الصلوات؟ كيف صح العطف؟ ما معنى المغايرة هنا؟ من باب عطف الخاص على العام. كذلك العطف هنا من باب عطف الخاص على العام لأن الأعمال الصالحة جزء من الإيمان، كما أن الصلاة الوسطى جزء من الصلوات التي أُمِرنا بالمحافظة عليها، والأمثلة كثيرة في القرآن إنما نشير هنا إشارةً يتأملها الشباب ولا نتوسع أكثر من هذا(١).



(١) للتوسع انظر إلى شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي- (قوله: والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان).

وأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

❁ **وأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ:** أركان هذا الإيمان ست: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، أن تؤمن وتصدق وتسلم لله. تؤمن بالله، بوجوده، بربوبيته، وألوهيته، وبأسمائه وصفاته، وتؤمن بالملائكة بأنهم موجودون، جندٌ من جنود الله تعالى، مَن سمعتَ وعلمتَ أسماءَهم آمنتَ منهم بالتفصيل، ومَن لا فبالجملة.

❁ **وكتبه**: الكتب المنزلة بما في ذلك القرآن، وتؤمن بأن الكتب المنزلة كلها من كلام الله، وليست مخلوقة كما يقول علماء الكلام بما فيهم الأشاعرة. القرآن والتوراة والإنجيل والزبور هذه الكتب من كلام الله لأن كلام الله لا نفاذ له: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف]، كلام الله لا نهاية له، الله خاطب نوحًا، وكلم موسى، وكلم محمدًا ﷺ، في أماكن وفي أزمنة مختلفة، ويتكلم آخر كل ليلة يقول عندما ينزل إلى السماء الدنيا: «**هل من مستغفرٍ فأغفر له**»[1] هذا كلام الله، ويتكلم الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة عندما يأتي لفصل القضاء ويسلم على أهل الجنة ويخاطبهم من فوقهم[2]، كل ذلك من كلام الله، وكلام الله لا نفاذ له. لذلك اعتقاد أنّ كلامَ اللهِ معنىً واحدٌ قائمٌ بذات الله ليس بحرف ولا صوت، كما تقول الأشاعرة، ضلال مبين، لأن في ذلك إنكار أن هذا القرآن كلام الله، وقد وافقت الأشاعرةُ المعتزلةَ في القول بأن القرآن كلام

---

(١) عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهِ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ**». [صحيح الجامع:٨١٦٨]

(٢) انظر مثلًا في صحيح البخاري/ كتاب التوحيد/ باب كَلَامِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ وبَاب كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الجَنَّةِ.

الله[1]، تناقضوا في ذلك مع الدعوى أنهم خُصوم للمعتزلة!

بالنسبة للكتب السماوية نؤمن بأنها من عند الله تعالى، وأما هذا القرآن نؤمن بأنه من عند الله ونتخذه دستورًا، نعبد به ونتحاكم إليه، ونسير إلى الله في ضوئه، هو الحَكَم وهو كتاب العقيدة، كتاب التوحيد، كتاب العبادة، كتاب الأحكام، كتاب الأخلاق، كتاب السياسة، كتاب الاقتصاد، كتاب كل شيء إذا فُهِمَ وعُمِلَ به، هذا الفرق بين إيماننا بالكتب السماوية وبين الإيمان بالقرآن.

الكتب السماوية لا يجب علينا العمل بها لأنها نُسِخت وانتهت بنزول القرآن، الكتاب الذي يجب الإيمان به والعمل به هو هذا القرآن العظيم وهو كلام الله حقيقةً لأن الله سماه كلامًا: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، فسمعه هذا القرآن الذي بين دفَّتي المصحف، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "ما بين دفتي المصحف كلام الله"[2]، ولكن الأثر لم يسلم من تأويل الأشاعرة، قالوا: "أي: خَلقٌ من خلق الله، مخلوق لله"، الأشاعرة الذين يقولون نحن من أهل السنة والجماعة، هم الذين أولوا

(١) قالت الأشعرية، الذين تذبذبوا بين أهل السنة والمعتزلة، قالوا: إن كلام الله تعالى هو المعنى القائم في نفسه، وما يُسمع فإنه مخلوق خلقه الله تعالى ليعبر عما في نفسه. فما الفرق إذن بين المعتزلة والأشعرية؟ الفرق: أن المعتزلة يقولون: لا ننسب الكلام إليه وصفًا، بل فعلًا وخلقًا. والأشاعرة يقولون: ننسب الكلام إليه وصفًا لا باعتبار أنه شيء مسموع، وأنه بحروف، بل باعتبار أنه شيء قائم بنفسه، وما يسمع أو يكتب فهو مخلوق؛ فعلى هذا يتفق الأشاعرة والمعتزلة في أن ما يُسمع أو يكتب مخلوق ، فالأشاعرة يقولون: القرآن مخلوق، والمعتزلة يقولون: القرآن مخلوق، لكن المعتزلة يقولون: إنه كلامه حقيقة، كما أن السموات خلقه حقيقة، وقالتْ الأشاعرة: ليس هو كلام الله تعالى حقيقة، بل هو عبارة عن كلام الله!! فصار الأشاعرة من هذا الوجه أبعد عن الحق من المعتزلة، وكلتا الطائفتين ظالمة، لأن الكلام ليس شيئًا يقوم بنفسه، والكلام صفة المتكلم، فإذا كان الكلام صفة المتكلم، كان كلام الله صفة، وصفات الله تعالى غير مخلوقة، إذ إن الصفات تابعة للذات، فكما أن ذات الرب عز وجل غير مخلوقة، فكذلك صفاته غير مخلوقة. [شرح عقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ العلامة ابن عثيمين]

(٢) قال الشيخ الألباني في إرواء الغليل-٨/ ١٨٦: "لم أقف على إسناده الآن".

هذا التأويل، انتبهوا للأشاعرة، عفى الله عنا وعنهم!!

۞ **والإيمان بالرسل**: يقال في الإيمان بالرسل ما قيل في الإيمان بالكتب. بنسبة للرسل، الذين قبل نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، المراد بالإيمان بهم أن تصدق بأنهم رسل الله، معصومون، بلغوا رسالة الله، ولكن الرسول الذي يجب اتِّباعه ولا يُعْبَد الله إلا بما جاء به هو محمدٌ رسول الله ﷺ، لأنه جاء بالرسالة الخاتمة العامة، لا يَسَعُ جنيًا ولا إنسيًا، لا يهوديًا ولا نصرانيًا، إلا الإيمان بهذا النبي الكريم بعد أن بعث، لأنه خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام.

۞ **والإيمان باليوم الآخر**: اليوم الآخر يبدأ من عند الموت: «**مَن مات فقد قامت قيامته**»[1]، مِن حين أن يُنْقَلَ الإنسان على وجه هذه الأرض إلى باطنها فهو في يوم الآخرة، يعني الحياة البرزخية الفاصلة بين هذه الحياة التي نحن فيها الآن وبين الحياة التي بعد البعث تابعة للآخرة، تابعة ليوم الآخرة. يجب الإيمان باليوم الآخر وما يجري في القبر من العذاب، وما يجري على المؤمنين من النعيم لأن القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة[2]، يجب الإيمان بكل ذلك تصديقًا لرسول الله ﷺ.

۞ **والإيمان بالقدر خيره وشره**: بمعنى أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ما أصابك في علم الله لا يُخْطِئُك وما أَخْطَأَك في علم الله لا يُصيبك؛ إيمانك وتصديقك بهذا المعنى بأن ما أصابك لا يُخْطِئُك وما أَخطأك لا يصيبك، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، هذا المقدار يكفي بالنسبة للإيمان في باب القضاء والقدر دون الخوض، لأن هذا الباب بابٌ خطير، والبحث عن أسرار القضاء والقدر يُعْتَبر سرًا من أسرار الله، لذلك يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "القدر سِرُّ الله فلا تكشفه"[3]، أي: ليس لك أن تسأل لِمَ فعل الربُّ

---

(١) الضعيفة: ١١٦٦، ١١٦٧، ٥٤٦٢.

(٢) قال رسول الله ﷺ: « **إنما القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار** ». ضعيف جدًا [الضعيفة: ٤٩٩٠].

(٣) ٣٣١٧٤- عن الحارث قال: جاء رجل إلى على فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر! قال: طريق

سبحانه وتعالى هكذا؟ لِمَ خَلق؟ لِمَ أحيا؟ ولِمَ أمات؟ لِمَ جعل زيدًا غنيًا وعمرًا فقيرًا؟ ولِمَ أَمرض فلانًا؟ ولِمَ ولِمَ؟ هذا خوضٌ في سر مِن أسرار الله، سرٌّ لا يُدرك، لا يُسأل عما يفعل.

كما أنه لا يجوز في باب الأسماء والصفات أن تسأل بـ"كيف": كيف هو؟ كيف سمعه؟ كيف بصره؟ كيف استواؤه؟ كيف مجيئه؟ لا يجوز في باب القضاء والقدر السؤال بـ" لِمَ؟"، "لِمَ فعل؟" إلخ... انتبه لهذا لأن هذا مزلّة الأقدام.

يكفي للعامة والخاصة أن يؤمنوا بأنه لا يقع في ملكه إلا ما شاء، وأنّ الله عَلِمَ كلَّ شيء فكَتَبَه، كل شيء، كل المقادير معلومة ومكتوبة، ثم قضى الله سبحانه وتعالى قضاءَه على ما عَلِمَ وكَتَبَ، ونحن نجري تحت القضاء والقدر؛ في هذا المعنى يقول الإمام الشافعي رحمه الله، وهو يترنم[1] كما يُقال في جُن الليل بهذه الأبيات، كأنه يناجي الله سبحانه وتعالى،

مظلم لا تسلكه، قال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر! قال: بحر عميق لا تلجه، قال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر! قال: سر الله قد خفى عليك فلا تفشه، قال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر! قال: يا أيها السائل إن الله خالقك كما شاء أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء! قال: فيستعملك كما شاء أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء! قال: فيبعثك يوم القيامة كما شاء أو كما شئتَ؟ قال: بل كما شاء! قال: أيها السائل ألستَ تسأل الله ربك العافية؟ قال: بلى! قال: فمن أى شىء تسأله العافية؟ أمن البلاء الذى ابتلاك به أم من البلاء الذى ابتلاك به غيره؟ قال: من البلاء الذى ابتلانى به! قال: يا أيها السائل تقول لا حول ولا قوة إلا بمن؟ قال: إلا بالله العلى العظيم! قال: فتعلم ما فى تفسيرها؟ قال: تعلمنى مما علمك يا أمير المؤمنين! قال: إن تفسيرها لا يقدر على طاعة الله ولا يكون له قوة فى معصية الله فى الأمرين جميعًا إلا بالله! أيها السائل ألك مع الله مشيئة أو دون الله مشيئة؟ فإن قلت: لك دون الله مشيئة فقد اكتفيتَ بها عن مشيئة الله، وإن زعمتَ أن لك فوق الله مشيئة فقد ادعيتَ مع الله شركًا فى مشيئته! أيها السائل إن الله يشج ويداوى فمنه الدواء ومنه الداء أعقلتَ عن الله أمره؟ قال: نعم. قال علي: الآن أسلم أخوكم فقوموا فصافحوه، ثم قال علي: لو أن عندى رجلًا من القدرية لأخذتُ برقبته ثم لا أزال أجأها حتى أقطعها فإنهم يهود هذه الأمة وأنصارها ومجوسها. أخرجه ابن عساكر (٤٢/ ٥١٢). [جامع الأحاديث].

وفيه الحارث الأعور وهو ضعيف (صالح).

(١) (رنم) الرَّنِيمُ والتَّرْنِيمُ تطريب الصوت. [لسان العرب]

يقول:

مَـــا شِــئْتَ كَـــانَ وإنْ لَــمْ أَشَــأْ ... ومَـا شِـئْتُ إن لَّـمْ تَشـأْ لَـمْ يَكُـنْ
خَلقْـتَ العِبَــادَ لِمَــا قَــدْ عَلِمْــتَ ... فَفـي العِلْـمِ يَجْـري الفَتَـى والمُسِـنْ
عَلَـى ذَا مَنَنْـتَ وهَـذَا خَـذَلْتَ ... وذَاكَ أَعَنْـــتَ وذَا لَــمْ تُعِــنْ
فَمِـنْهُمْ شَـقِيٌّ ومِـنْهُمْ سَـعِيدٌ ... ومِـنْهُمْ قَبِـيحٌ ومِـنْهُم حَسَـنْ[1]

أكذا يترنم الإمام الشافعي بهذه الأبيات يُذَكِّر نفسَه بالقضاء والقدر وأنّ كل شيء مفروض منه.

يأتي هنا سؤال، سؤال الجَبْرِيين: "وهل معنى ذلك أن العبد مجبور؟" لا! خَلَقَ العِباد، وخَلَقَ لهم القُدرة، وخلق لهم الإرادة، وخلق لهم الاختيار، وأرسل إليهم رسولًا، وهداهم النجدين، وبَيَّنَ لهم طريق الهدى وطريق الضلال، وأمرهم بالفعل، يَفْعَلُ العبدُ كلَ ما يفعل بقُدرته وإرادته واختياره، ولا يدري ما الذي جرى في قضاء الله وقدره، ليس هذا شغله ولا له أن يبحث في هذا، عليه أن يتقيد بالأوامر والنواهي، أَمرك بإقامة الصلاة عليك أن تُقيمَ الصلاة.

لكن قولُ الذين يقولون بأنّ العبدَ مجبورٌ ليس له قدرة أو قدرته لا تعمل، وليس له إرادة، تسمى العقيدة الجبرية ضلال في ضلال، وهي منتشرة الآن لأن الأشْعَرِيَةَ مرجئةٌ وجبريةٌ وجهميةٌ[2]، اجتمعت فيها جميع هذه الأمراض، وهم منتشرون بين المسلمين وكثيرٌ من شبابنا لا يدرون عنهم. يَصْدُق على شبابنا قول عمر رضي الله عنه: "إنما تنقض عرى

(١) الأسماء والصفات للبيهقي- باب ما جاء في الجلال والجبروت.

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الأَشْعَرِيَّةُ الأَغْلَبُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ مُرْجِئَةٌ في " بَابِ الأَسْمَاءِ والأَحْكَامِ" (يعني في أبواب الإيمان والكفر، تسميتهم مسلمين ومؤمنين، وأحكامهم في الدنيا والآخرة) جَبْرِيَّةٌ في " بَابِ القَدَرِ" ؛ وَأَمَّا فِي الصِّفَاتِ فَلَيْسُوا جهمية مَحْضَةً بَلْ فِيهِمْ نَوْعٌ مِنْ التَّجَهُّمِ. [مجموع الفتاوى- ٦/ ٥٥]

الإسلام عروةً عروةً إذا نشأ في الإسلام مَن لم يعرف الجاهلية"[1]، لأن الجاهلية بدأت في هذه الأيام تضحك على شبابنا، جاهلية التصوف، جاهلية علم الكلام، جاهلية القانون، جميع هذه الجاهليات تعمل، وشبابنا نشؤوا في الخير، نشؤوا في الإسلام، على الفطرة، في التوحيد، لا يعلمون من هذه الجاهليات، يأتي صاحب الجاهلية فيضحك عليهم فيقول: "نعمل كذا وكذا" من الأعمال الإسلامية فيُصدقونه فيُخرِجهم عن الجادة إلى بنيات الطريق فيقفون حيارى. لا علاج إلا العلم، العلم وحده هو العلاج لذلك، لذلك عليكم بالعلم كما وَفقكم الله فوُفِّقْتم في مثل هذه الأيام الحارة على صبركم على دراسة العلم في هذا المسجد الكريم وزملاءكم في المناطق الباردة، عليكم أن تلازموا وتصبروا على هذا الوضع، لا ينال الإنسان درجة الإيمان إلا بالصبر واليقين، الصبر على طاعة الله، فطلب العلم الشرعي من أعظم طاعة الله وعبادته، فاصبروا على العلم لتَخْرُجوا من الجهل، لا تَضغط عليكم جاهلية الإرجاء، وجاهلية الجبرية، وجاهلية الجهمية، وجاهلية التصوف، وغير ذلك من الجاهليات التي دخلت مع هذا الانْفِتاح العام عندما انفتحنا على العالم وانفتح العالم كله بعضه على بعض تداخل الخير والشر، لا يستطيع أن يُفَرِّقَ بَيْنَ الخير والشر إلا مَن رزقه الله البصيرة في دينه.



(١) في "الفتاوى الكبرى" و"مجموع الفتاوى" و"منهاج السنة النبوية" لشيخ الإسلام ابن تيمية.

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَان، رُكْنٌ وَاحِدٌ وهو: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

۞ **المرتبة الثالثة الإحسان وهو ركن واحد**. وحقيقة الإحسان **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**: هذا المعنى هو الذي يُعَبَّرُ عنه بالمراقبة، المراقبة الخاصة الصادقة، بأن يراقب العبد ربه سبحانه وتعالى ويتذكر دائمًا وأبدًا بأن الله يراه ويرى مكانه، ويسمع كلامه، ويعلم ما في نفسه. هذه المراقبة تحول بين المرء وبين ارتكاب المعاصي، وبين الغفلة والالتفات عن الله إلى غير الله، تَشُدُّه إلى الله، المراقبة الصادقة تَشد العبد إلى الله سبحانه وتعالى إيمانًا منه بأن الله لا تخفى عليه خافية وإن كان هو لا يراه، لأن الله سبحانه وتعالى لا يُرى في هذه الدنيا. فالله سبحانه وتعالى فوق جميع المخلوقات، فوق السماوات السبع، ومستوٍ على عرشه، بائنٌ مِن خلقه، احْتَجَبَ في هذه الدنيا بالنور، حجابه النور، لم يَرَه موسى عليه الصلاة والسلام الذي طلب منه الرؤية، ولم يَرَه على الصحيح رسولنا محمد ﷺ ليلةَ الإسراء والمعراج، وإنما رأى نورًا، لأنه عليه الصلاة والسلام فَوْرَ وصولِه ونزولِه في مكة، قيل له: هل رأيت ربك؟ قال: «**نورٌ أَنَّى أَراهُ**»[1]، حجابه النور.

هذا الوجه هو الصحيح وإن كان الصحابة قد اختلفوا، فمنهم مَن يثبت الرؤية في تلك الليلة ، وجَمَعَ بعض أهل العلم بين آراء الصحابة بأن الذين يعتقدون بأن النبي ﷺ رَأَى ربَّه في تلك الليلة إنما هي رؤية قلبية وليست رؤية عيان، أما بعيني رأسه فلم يره ؛ لأن الله احتجب في هذه الدنيا بنور، وقوى البشر لا تقوى في هذه الدنيا لأن تثبت أمام التجلي.

وأوضح دليل على هذا الاتجاه قوله ﷺ في آخر قصة الدجال: «**فأعلموا أنكم لن**

---

(١) صحيح مسلم/ كتاب الإيمان- باب فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ».

تروا ربكم حتى تموتوا»[1]، وهذا دليل واضح بأن الله سبحانه وتعالى لا يُرى في هذه الدنيا، ولكن الله يعطي العباد قوةً ليثبتوا أمام التجلي يوم القيامة وفي الجنة، ويتجلى لهم ويرونه بغير إحاطة، كما أنهم يعلمونه الآن بدون إحاطة به بعلمهم، كذلك سوف يرونه دون إحاطة به برؤيته، لأن المخلوق لا يحيط بالخالق، فالخالق هو المحيط بجميع المخلوقات، هو الذي يعلم منهم كل شيء؛ هذا هو الإحسان.



(١) عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: « **إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا إن المسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا** ». [صحيح الجامع:٢٤٥٩]

وَالدَّليلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ **[النحل:١٢٨].**

❁ **وَالدَّليلُ قَوْلُهُ تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾: هذه المعية تسمى المعية الخاصة، فالله سبحانه وتعالى مع الذين اتقوه، أي: جعلوا بينهم وبين غضبه وسخطه وِقاية، هذه الوقاية بِامْتِثال المأمورات واجْتِناب المنهيات، وذلك مِن صِدق المراقبة.

﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾: أحسنوا في عبادة الله تعالى بالإخلاص وصِدق المراقبة، وأحسنوا إلى عباد الله بما يستطيعون الإحسان به.

والإحسان من حيث المعنى أعم، ومن حيث أهله أخص، لأن الإحسان يشمل أي عمل صالح، سواء كان العمل بينك وبين ربك أو الإحسان إلى عباده، هذا معنى أنه أعم من حيث المعنى. ولكن من حيث أهله أخص، أي: المحسنون الذين يَصِلون إلى هذه الدرجة هم نُخْبة من المؤمنين، وليس جميع المؤمنين، أي: ليس جميع المؤمنين يصلون إلى درجة الإحسان، ولكن نخبة مختارة، وفقهم الله،وسدد أمرَهم، هم الذين يصلون إلى هذه الدرجة، ويَحْظَوْنَ بالمعية الخاصة. المعية الخاصة تَزيد على المعية العامة بالنصر، والتأييد، والحفظ، والكَلاءة[1]. المعية العامة بمعنى العلم، والرؤية، والتدبير العام، هذه هي المعية العامة، بهذا المعنى الله سبحانه وتعالى مع جميع مخلوقاته لا يخلو مكان مِن علمه، وهو فوق عرشه، مستوٍ على عرشه، بائن مِن خلقه، لكن لا يخلو مكان مِن علمه، هذه هي المعية العامة. فإذا قيل: "الله

---

(١) الفرق بين الكلاءة والحفظ: أن الكلاءة هي إمالة الشيء إلى جانب يسلم فيه من الآفة ومن ثم يقال كلات السفينة إذا قربتها إلى الأرض والكلاء مرفأ السفينة فالحفظ أعم لانه جنس الفعل فإن استعملتْ إحدى الكلمتين في مكان الأخرى فلتقارب معنييهما. [الفروق اللغوية]

معنا"، لا ينبغي أن يتبادر إلى ذهنك بأن الله معنا بذاته هنا في الأرض، فالله سبحانه وتعالى منزه عن المعية الذاتية مع خلقه، لا مع أهل أرضه ولا أهل سماواته، أي: ليس الله في الأرض بذاته، ولا في السماوات السبع بذاته، ولكن بذاته فوق جميع مخلوقاته، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، ولكن هو بعلمه مع كل مخلوق، أي: لا تخفى عليه خافية مِن أمرهم، هذه تسمى المعية العامة. تزداد المعية الخاصة مع المحسنين، مع المتقين، كتلك المعية التي حَظِيَ بها رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] معية خاصة، حفظهما الله ورعاهما وسترهما من أعين أعدائهم، تلك هي المعية الخاصة فلتُفْهَم، وهذه هي منها (معية) مع المحسنين.



وقَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

وقَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ ﴾ [يونس: ٦١].

۞ ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ يراك، أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، هذا هو المعنى الشاهد من الآية .

۞ ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ ﴾: أي: نحن معكم، فالله سبحانه وتعالى يعبر عن نفسه أحيانًا بضمير العظمة وأحيانًا بضمير الإفراد، ضمير العظمة لا يدل على التَعَدُّد بل يدل على العَظمة: "إنا، نحن" مثل هذه الضمائر يقال لها ضمير العَظمة لا للكَثرة؛ لذلك "كنا"، الله سبحانه وتعالى يعبر عن نفسه بـ"كنا" كما عبر عن نفسه بـ"إنا" و"نحن"، لا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن الكَثرة والتعدد لأن هذا أسلوب عربي؛ المخلوق نفسه أحيانًا، يعبر عن نفسه بهذا المعنى: "نحن فعلنا كذا"، "نحن بنينا"، و"نحن مشينا"، و"نحن جئنا" هذا شخص واحد، وهذا أسلوب عربي معلوم.



وَالدَّليلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَديثُ جِبْرِيلَ المَشْهُورُ : عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ[١] - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ جلوسٌ عِنْدَ رسولِ الله ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، ....

❁ **والدليل من السنة**، انتبهوا لهذا الحديث العظيم، حديث جبريل المشهور: **عن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه قال: "بينا"**[٢]، وفي رواية "بينما" لغتان صحيحتان، **"بينا نحن**، بينما نحن، **عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل"**: أي: حين طلع علينا، "إذ" بمعنى "حين"، **"إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر"**، وفي بعض الألفاظ "شديد سواد اللحية"[٣]، جاء جبرائيل ملتحيًا بصفة رجل من البشر ملتحي.

❁ **"لا يُرى عليه أثرُ السفر ولا يعرفه منا أحد"**: مِن أين عرف عمر حتى يقول لا يعرفه منا أحد؟ أي: تَسَأَلوا فيما بينهم: هل تعرفون هذا ؟ حتى عمر يقول: لا يعرفه منا أحد؟ أي: تَساءلوا فيما بينهم: هل تعرفون هذا الرجل الغريب؟ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، مع عِلم أنه جاء يمشي على قدميه، مع ذلك نظيف، رجلاه، وثيابه، وشعره، كأنه طلع من الأرض الآن من عندي، وهو جاء من بعيد ما كان جالسًا معهم عند النبي ﷺ؛ المفروض، مثل هذا الرجل الغريب الذي لا يُعرف، أن يُرى عليه أثر السفر، لم يَحْدُثْ شيء من ذلك.



---

(١) متفق عليه.

(٢) سنن الدارقطني:٢٧٠٨، وشرح السنة للبغوي، وصحيح ابن حبان.

(٣) كما في صحيح ابن حبان حديث رقم ١٦٨ عن عمر بن الخطاب قال: «بَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ شَدِيدُ سَوَادِ اللِّحْيَةِ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ...». صححه الشيخ الألباني.

فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ،

۞ **"فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه"**: وفي بعض الألفاظ "وتخطى الرقاب إلى أن وصل إلى النبي ﷺ"[1]، قال بعض أهل العلم إنما فعل كل ذلك للتَّعْمِيَة على الناس، كأنه يريد أن يُرِيَ الناس بأنه إنسان جاهل ، فجاء فجلس إلى النبي عليه الصلاة والسلام فأسند ركبتيه إلى ركبتي النبي ﷺ، هذا مما أَلْفَت أَنْظار الصحابة؛ فالصحابة مع شدة محبتهم لرسول الله عليه الصلاة والسلام يَهابونه، من الهيبة لا يسندون ركبهم إلى ركبتيه، فيجلسون بعيدين عنه نوعًا ما، ولكن جلس هذه الجلسة.



(١) كما ورد في صحيح ابن حبان، حديث رقم ١٧٣ عن عمر بن الخطاب قال: «جَاءَ رجل ليس عَلَيْهِ سَحْنَاءُ سَفَرٍ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ يَتَخَطَّى حَتَّى وَرَكَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ...».

وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

۞ **"ووضع كفيه على فخذيه"**: على فخذي مَن؟ فخذي نفسه، هذا ما فهمه كثير مِن الشروح؛ ولكن جاء في بعض الروايات ما يْشير إلى أنه وضع كفيه على فخذي رسول الله ﷺ[1]، كل ذلك تَلَطُّفًا برسول الله ﷺ لأنه في واقع الأمر هو المعلم، وإن جلس جِلسة المتعلم ولكنه في واقع الأمر هو المعلم، لذلك وضع يديه على فخذي رسول الله ﷺ.

۞ **"وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال النبي ﷺ: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وَتُؤْتِيَ الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا»"**: (الشباب الذين قرؤوا، قرؤوا بالمعنى، رواية الحديث بالمعنى جائزة، ولكن المطلوب عند الحفظ أن تقرأ النصوص باللفظ لا بالمعنى، وإن كانت الرواية بالمعنى جائزة، انتبه) .



---

(١) كما ورد في سنن الدارقطني وسنن البيهقي الكبرى عن عمر بن الخطاب قال: "فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ كَمَا يَجْلِسُ أَحَدُنَا فِي الصَّلَاةِ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ على رُكْبَتَيْ رسولِ الله ﷺ، فقالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا الإِسْلَامُ؟..."

قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

❁ **"قال: صدقت"**: عجبًا! تَسأل فتُصدق!؟

❁ **"فعجبنا له، يسأله ويصدقه"**: كان المفروض، الذي يسأل إذا أجابه الأستاذ يقول له: "جزاك الله خيرًا"، "أحسن الله إليك"، فإذا هو يصدقه فيقول له: "صدقت!"، عجب الصحابة من هذا التَّصَرُّف.

❁ **"قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال:«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره»"**: سبق شرحها.

❁ **"قال: أخبرني عن الإحسان؟ قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»"**: فلتعلم ذلك.



قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ».

۞ **"قال: أخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»"**: النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «**ما المسؤول عنها**»، الذي هو النبي عليه الصلاة والسلام، «**بأعلم مِن السائل**» مِن جبرائل، عِلم جبرائيل وعِلم النبي ﷺ هنا على حدٍ سواء، لا يعلم النبي ﷺ متى تقوم الساعة ولا جبرائيل يعلم ذلك.

۞ **"قال: أخبرني عن أَماراتها"**: أَمارة وإِمارة، الأَمارة بفتح الهمزة العلامة، والإِمارة الولاية؛ والتي عندنا العلامة، لذلك يُقرأ هكذا: "عن أَماراتها" أي: عن علاماتها. وعلامات الساعة كثيرة وكثيرة جدًا ومُتَفاوِتة، ومِن أوائل علاماتها مبعثُ النبي ﷺ حيث يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «**بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين**»[1] رفع الوسطى والسبابة؛ «**بعثتُ أنا والساعة كهاتين**» فسره أهل العلم بتفسيرين:

• التفسير الأول: إني سبقتُ الساعة كما تَسبق الوسطى السبابة، بهذا المقدار، أي: مَبعثي وقيام الساعة مُتقارِبان، إنما سبقتُها بمثل هذا السَّبَق.

• المعنى الثاني: إن قيام الساعة لاصقٌ بمبعثي وبرسالتي، حيث لا يوجد نبيٌ بعده ؛لأنه خاتم النبيين.

لا يُنافي المعنى الأول المعنى الثاني، كلاهما واحد، والمُؤَدّى واحد: قرب الساعة. ثم، في هذا الحديث ذكر النبي عليه الصلاة والسلام بعض الأمارات، التي ظهرت الآن تمامًا ونحن نعيشها قال:

۞ «**أن تلد الأمة ربتها**»: اختلف أهل العلم في تفسير هذه الجملة على سبعة

---

(١) متفق عليه.

أقوال، لَخَّصَها الحافظ في الفتح في أربعة، وارتضى منها معنىً واحدًا. الذي يَتَبادر إلى أذهان الناس والمفسرين: كناية :عن كَثرة الفتوحات الإسلامية حتى يَكْثُرَ التَّسَرِّي بالجواري، فتلد الجاريةُ ابنًا أو بنتًا، فيكون هذا الابن بِمَثابة السيدِ لها لأنه ابنُ سيدِها، إذا تَسَرَّى بها فأنجب منها ولدًا، هذا الولد، الذي أنجبه السيد من جاريته حر، فأصبح كأنه سيدها وربها، المراد بـ"الرب" هنا السيد، لفظة "الرب" تُستَعمل إذا كانت مضافة في غير الله تعالى، ولكن لا تُستَعمل بدون إضافة إلا في حق الله.

الشاهد، هذا المعنى لم يَرْتَضِهُ صاحبُ الفتح، قال: العلامات التي يريدُ أن يذكرها النبي عليه الصلاة والسلام، الأشياء الغريبة التي لا عهد للأولين بها، ووجود التسري بالجواري والإنجاب منها شيءٌ معلوم حتى في صدر الإسلام، إذن ما هو المعنى الغريب، الذي يكون أمارة وعلامة لقيام الساعة من سوء الأحوال؟

قال صاحب الفتح: معنى ذلك أن يُصاب الأولاد بالعقوق فيَستعملُ الولدُ والِدتَه، فيَستخدمُها، فيُهينُها، فيَضربُها، ويَسُبُّها، فيَجعلُها كالجارية، كالأَمَة التي تَعمل عنده، وكالخادمة التي تعمل عنده. مِن سوء التَّصَرُّف يَصِل الحال بالولد، في آخر الوقت، من علامات الساعة، أن يَكثُر العقوق وأن يكون الولدُ عاقًا لوالدِته، فيُهينها، فيَضربها، ويَسبها، كأنها أَمَة، جارية عنده، هذا المعنى الذي ارتضاه صاحب الفتح واستحسنه كثيرًا وأعرض عن جميع المعاني التي ذكرها أهل العلم عند هذا الحديث، فطالب العلم يرجع إلى المجلد الأول من فتح الباري عند هذا الحديث ليَطَّلِعَ على تلك المعاني[1].

۞ **"وأن ترى الحُفاة، العُراة، العَالة، رُعاة الشاة، يَتَطاولون في البنيان"**: يأتي وقت على الناس، (وقد أتى)، حين أهل البادية المعروفين بالفقر وسوء الحال، الذين يمشون حُفاةً وعُراةً أو شِبْهَ عراة، وفقراء ، ليس فيهم شيء من الحضارة وآثار الغنى، يأتي على الناس يومٌ : أن أولئك يتركون خيمهم ويبنون الفلل والقصور في محلات الخيم، فيتفاخرون، ويتطاولون

---

(١) فتح الباري لابن حجر/ كتاب الإيمان/ باب٣٧.

بفِلَلهم وقصورهم، هذا هو واقعنا الآن.

في الثمانينات ولا أقول في السبعينات، تاريخ ارتفاع الجامعة الإسلامية، كيف كانت الحارة الشرقية؟ كلكم تعلمون! وكيف كان وضعها؟ و اليوم؟ أين ذهبت تلك الخيم؟ وما الذي حَدَثَ محل الخيم؟ القصور والفِلَل! هكذا ليَصْدُقَ رسول الله ﷺ.

في بعض دول إفريقيا في السبعينات، بعض الدول أخذ بالاستقلال من الاستعمار وهم تحت الخيم، لا يملكون قصرًا واحدًا أو عمارةً واحدةً، أول الرئيس لتلك الدولة أخذ الاستقلال وهو يسكن في الخيمة، قصرُ الحكومة الخيمة، فإذا رجعنا بعد كذا سنة إلى تلك المدينة فإذا القصور فإذا الفِلَل. فالناس تتنافس في بناء القصور والفلل، يَقِفُ الواحد فيتذكر هذا الحديث فيقول: "صدق رسولُ الله ﷺ"، وهكذا إذا جُلْتَ بفكرك أو برجليك في العالم لوجدتَ أن هذه العلامة واقعة اليوم ومشاهدة، وفي ازدِياد.



قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم».

❁ **قال: "فَانْطَلَقَ فلبثنا مليًا"**: فترةً من الزمن.

❁ **فقال النبي ﷺ: «يا عمر أتدرون من السائل؟»، قلنا: "الله ورسوله أعلم"**: لفظة "الله ورسوله أعلم" يتشدد بعض صغار طلبة العلم في استعمالها اليوم. إذا سُئلتَ عن أمرٍ ديني لا تعرفه، كشروط الصلاة، وأركان الحج، وواجبات الحج مثلًا، لك أن تقول: "الله ورسوله أعلم" حتى بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، لا كما يظن بعض الناس أن القول: "الله ورسوله أعلم" خاص بحياة النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن الناس لم يعلموا شيئًا من الدين إلا بعد أن علم النبي عليه الصلاة والسلام وعلّم الناس، لذلك لك أن تقول: "الله ورسوله أعلم". لكن في الشؤون الدنيوية لو سُئلتَ: "ما الذي حدث اليوم في أخبار اليوم؟"، "وهل نزل المطر في المنطقة الشرقية أو الوُسطى؟" أنت لا تعلم، تقول: "الله أعلم"، ليس لك أن تقول: "الله ورسوله أعلم"، هذا علم خاص بالله. يجب أن نُفرق بين الأمور الدينية وشؤون الدنيا، بعد وفاة النبي ﷺ إنما يُقال: "الله ورسوله أعلم" في الأمور الدينية.

❁ **قال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»**: ما أعظمَ هذا الدين، الذي بعث الله به خاتم النبيين ثم يُرسل جبرائيل الذي اصطفاه مِن الملائكة رسولًا ليعلّم أمة محمد ﷺ ويكرمهم هذا الإكرام، يُعلِّمهم بهذه الطريقة: «**أتاكم يعلمكم أمر دينكم**».



الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وقُرَيْشٌ مِنَ العَرَبِ، والعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ. ولَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وثَلاثٌ وَعِشْرُون نبيًا رسولًا.

۞ **وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم:** إلى هنا ذكر المؤلف نسب الرسول ﷺ، وعلى الشباب أن يحفظوا النسب إلى عدنان، ينبغي حفظ النسب الكريم على الأقل إلى عدنان(١) وهذا محل الاتفاق، وما بعد ذلك محل خلاف.

۞ **وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه من ربه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:** أي: إنّ نبينا محمدًا ﷺ هو النبي الأمي العربي من حيث النسب، ولكنه عام الرسالة إلى الثقلين، إلى الجن والإنس.

۞ **وله من العمر ثلاث وستون سنة:** حين توفي، كذلك هذا محله إجماع.

۞ **منها أربعون قبل النبوة:** لأنه لم يبعث إلا بعد الأربعين، وهذه سُنَّة الله في مَن يبعثهم.

۞ **وثلاث وعشرون نبيًا رسولًا:** النبوة قبل الرسالة، يختلفون في التفريق بين النبي والرسول: منهم من يُعَرِّف فيقول: النبي مَن بُعِثَ برسالة ليعمل بها ولم يكلف بالتبليغ. التعريف الثاني: النبي: مَن بُعث ليعمل برسالة مَن قبله وليست له رسالة مستقلة، ككثير من أنبياء بني إسرائيل، يعملون بشريعة التوراة والإنجيل وهم كُثْرٌ.

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه شَيْبَة، بن هاشم واسمه عمرو، بن عبد مناف واسمه المغيرة، بن قُصَيّ واسمه زيد، بن كِلاب، بن مُرَّة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فِهْر وهو الملقب بقريش وإليه تنتسب القبيلة، بن مالك، بن النَّضْر واسمه قيس، بن كِنَانة، بن خُزَيْمَة، بن مُدْرِكة واسمه عامر، بن إلياس، بن مُضَر، بن نِزَار، بن مَعَدّ، بن عدنان. [الرحيق المختوم]

التعريف الثاني أنسب والتعريف الأول أشهر، ولكن التعريف الأول يُعَكِّر عليه القول بأنه لم يُؤْمَرْ بالتبليغ؛ التبليغ والدعوة والإصلاح واجب الرسل، وواجب الأنبياء، وواجب أتباعهم، أتباعهم مكلفون بالإصلاح والنصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم والدعوة إلى الله، إذا كان العلماء، وهم ورثة الأنبياء، مكلفون هذا التكليف فالأنبياء من باب أولى.

لذلك التعريف الأول على الرغم أنه هو المشهور عند كثير من أهل العلم، ولكن التعريف الثاني أنسب من حيث المعنى لأن الأنبياء من بني إسرائيل الذين لم يكونوا رسلًا مكلفون بالتبليغ والدعوة على ضوء كتاب الله التوراة والإنجيل.



❁ **نُبِّئَ بـ ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾، وَأُرْسِلَ بـ ﴿ ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾**: نبينا عليه الصلاة والسلام أول ما نُبِّئ، أي: جاءته النبوة، بقوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾، إذ أرسل الله إليه جبرائيل ففاجأه جبرائيل بقوله: ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾، فالنبي عليه الصلاة والسلام ليس بقارئ، لذلك كان الجواب: «**لستُ بقارئ**»، وضمه حتى خاف على نفسه وكرر عليه ذلك. وبالاختصار، بعد أن رَوَّعَهُ وخافه، ثم جاء إلى خديجة رضي الله عنها فأخبرها الخبر، قالت: "والله لا يخزيك اللهُ أبدًا لأنك تَصِل الرحم وتَكسب المعدوم" وغير ذلك، عَدَّدت صفاتٍ وأخلاقًا جُبِل عليها رسول الله ﷺ من صلة الرحم، والإحسان، والأمانة، وغير ذلك؛ ومَن جَبَله الله على مكارم الأخلاق لا يخزيه الله، هذه سُنة الله في خلقه.

بعد أن طَمْأَنَتْه ذهبت به إلى ورقة بن نوفل، فورقة بيّن له أن ما جاءه هو الذي كان يأتي الأنبياء مِن قبله، رسول الله مِن الملائكة الذي اصطفاه الله ليرسله إلى الأنبياء من بني آدم، وأنه جبرائيل، وأن ما جاءه من عند الله وليس من الشيطان؛ ثم تَمَنّى ورقة لو أحياه الله عندما يُخْرِجُه قومُه، فقال النبي ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟!**» أي: سوف يخرجوني؟! قال له: "ما أتى أحدٌ بمثل ما أتيتَ به إلا أُوذِيَ"[1]، هذه سُنة الله في الأنبياء وفي أتباع الرسل من

(١) عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرؤيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ؛ فَجَاءَهُ المَلِكُ فَقَالَ: اقْرَأْ! قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِيءٍ!**» قَالَ: «**فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ! قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيءٍ! فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ! فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيءٍ! فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:** ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ﴾ » فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ،

المصلحين، لا بد من الإيذاء: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**»(١). [الله قدير حينما أرسل محمدًا ﷺ أن يجعل أهل مكة جميعًا، أبا لهب وأبا جهل وغيرهما، أن يجعلهم جميعًا كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي كلهم يطيعون ويمتثلون، ولكن لله حكمة في أن يبتلي نبيه هذا الابتلاء إلى حد الضرب والحصار والإخراج، ثم ينتهي الأمر إلى الهجرة إلى المدينة، كل ذلك ليرفع الله شأنه ويكثر ثوابه، ولحِكَم لا نعلمها؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يفعل فعلًا إلا لحكمة، والعباد قد يدركون أحيانًا بعض الحكم في بعض أفعال الله سبحانه وتعالى، وقد لا يدركون. إن أدركنا الحكمة في فعل الرب سبحانه وتعالى في قضائه وقدره وأفعاله، إن أدركنا ذلك إما نصًا أو استنتاجًا نزداد بذلك إيمانًا على إيمان، وإن لم ندرك الحكمة فعلينا الامتثال والتصديق، هذا ما جرى للرسول عليه الصلاة والسلام.



وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ «**لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي**» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ وَالله، مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرءًا تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِخَبَرِ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى ﷺ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمكَ! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟!**» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. متفق عليه.

(١) عن عاصم بن بهدلة حدثني مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت لرسول الله ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: فقال: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب** (وفي رواية: قدر) **دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه و إن كان في دينه رقةً ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**». [الصحيحة:١٤٣]

❁ **وَبَلَدُهُ مَكَّة، وهاجر إلى المدينة. بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ**: أمره بأن ينذر، وبهذا أرسل فأصبح نبيًا رسولًا عليه الصلاة والسلام، ولذلك يقول الشيخ رحمه الله: نبئ بـ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ وأرسل بـ ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾.

وأما بلده الذي ولد فيه مكة، وبعثه الله بالنذارة عن الشرك وليدعو إلى التوحيد. الإنذار هو الإعلام مع التخويف، الإعلام إن لم يكن معه تخويف لا يسمى إنذارًا، بل هو مجرد إعلام، فرسول الله ﷺ وصفه ربه بهذه الصفات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، وهذه الآية تبين وظيفة النبي ﷺ وأعماله التي أرسل من أجلها، وبها أمر أتباعه ليكونوا مبشرين ومنذرين ودعاة إلى الله على بصيرة.



❁ **ويدعو إلى التوحيد**: يعني يبدأ بالدعوة إلى التوحيد، وليست دعوة نبينا محمد ﷺ ودعوة أتباعه، ليست قاصرة على التوحيد، ولكنه بدأ بالتوحيد وركّز على التوحيد لأنه الأساس.

والمراد بالتوحيد هنا توحيد العبادة ومحل المعركة؛ أما توحيد الربوبية فالناس معترفون به من قبل، فتوحيد الربوبية يستوي فيه الكافر والمؤمن، لذلك أخبر الله عن المشركين: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ﴾ [لقمان:٢٥]. لا يوجد في المشركين مَن يدعي بأن أحدًا شارك الله في خلق السماوات والأرض، وفي تدبير الأمر من السماء إلى الأرض، وفي التصرف في هذا الكون.

والعجب كل العجب أن يحصل في الآونة الأخيرة، في المتصوفة، مَن يشرك بالله سبحانه وتعالى في ربوبيته، بعد أن كان المشركون يوحدون الله تعالى في ربوبيته! وفي مشايخ الطرق، وكثير من الطرق الصوفية، اعتقادهم أن الشيخ، شيخ الطريقة، إذا كان حيًا مشغولٌ بالخدمة، وهذه عبارتهم، المقصود بالخدمة العبادة، فإذا مات تفرغ ليتصرف في هذا الكون لأتباعه، وهو المسؤول عن أرزاقهم وآجالهم وتدبير شؤونهم، ناسين رب العالمين سبحانه وتعالى. وهذا الكلام الذي نقوله مروي في كتب المتصوفة، كتب ابن عربي مثل "فصوص الحكم" وغير ذلك من الكتب لابن الفارض، وابن سبعين، وابن عجيبة، وهؤلاء الأبناء غير البررة، تجد في كتبهم الكفر البواح، والكفر الذي لم يرتكبه كفار قريش.

لذلك يقول الإمام ابن تيميه: "أتت فرقة وحدة الوجود بكفر لم يعرفه كفار قريش"، لأنه في كفار قريش لم يقع ولم يحصل مَن يقول: "ليس في الجُبَّة[1] إلا الله"، وهذه مقالة ابن عربي.

(١) (جُبَّة): ثوبان بينهما قطن إلا أن يكونا مِن صوف فقد تكون واحدة غير محشوة. [تحفة الأحوذي]

وعلى طلاب العلم أن يفرقوا بين ابن عربي وابن العربي[1]: ابن العربي عالمٌ سنيٌّ، إمام من أهل الحديث، مالكي المذهب، وهذا معروف ومشهور. أما ابن عربي المنكر هذا هو النكرة، المنكرة هو الذي أنشأ فكرة وحدة الوجود، أي: نفى الإثنينية على حد تعبيرهم، نفى الإثنينية في الكون، الكون شيء واحد، قال ابن عربي:

العبـــــد ربٌّ والــــــرب عبــــــدٌ　　　يـــا ليـــت شـــعريْ مَـــن المكلـــف

إن قلــــــت عبــــــدٌ فــــــذاك ربٌّ　　　أو قلــــت ربٌّ أنَّــــى يكلــــف[2]

الشاهد التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وتعبوا في الدعوة إليه، وقامت الخصومة بينهم وبين أتباعهم هو توحيد العبادة، وإلا جميع الكفار في جميع الملل كلهم يعترفون بربوبية الله تعالى، أي: يوحدون الله تعالى بأفعاله ولا يعتقدون بأن أحدًا شارك الله في خلقه، وفي رزق العباد، وفي تدبير أمور العباد. لذلك يؤمنون بالله بربوبيته، ولكن يتخذون آلهة مِن دون الله تعالى، لا لأنها تخلق أو ترزق، ولكن لتقربهم إلى الله زلفى، وسائط وشفعاء، وهذا هو شرك المشركين الأولين، ولكن كما قلنا زين الشيطان لكثيرٍ من أتباع المتصوفة فوقعوا في الشركَيْن معًا: شرك في توحيد الألوهية، وشرك في توحيد الربوبية.

---

(١) ابن العربي هذا (هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، المشهور بالقاضي أبو بكر ابن العربي الإشبيلي (٤٦٨-٥٤٣هـ، ١٠٧٦-١١٤٨م)) فقيه مالكي معروف، صاحب كتاب "أحكام القرآن" وصاحب كتاب "عارضة الأحوذي"، صاحب "شرح الموطأ"، عالم مِن علماء المالكية معروف لكنه كان قليل العناية بالسنة كما سمعت ذلك من سماحة الشيخ عبد العزيز حفظه الله، ولكنه كان فقيهًا مالكيًا وعالمًا وعنده ما عند غيره من أهل العلم، أما ابن عربي بحذف الألف واللام فأصله هو ابن العربي أيضًا (هومحي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي (٥٥٨-٦٣٨هـ، ١١٦٤-١٢٤٠م)) مثل الأول لأنه هو أندلسي كما أن الأول أندلسي والعربي اسم هناك في تلك الجهات يكثر التسمية به ، لكن لَمَّا كان على تلك الزندقة والضلال فرق العلماء بينه وبين الأول بأن حذفوا منها الألف واللام لأن الألف واللام تشريف وتعريف فحذفتْ من ابن عربي لأنه لا يستحقها فقيل ابن عربي بالتنكير. [شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ]

(٢) الفتوحات المكية لابن عربي.

ويحسب كثيرٌ من الناس الذين لا يعرفون ترجمة وحياة الإمام محمد بن عبد الوهاب، أنه إنما دعا إلى توحيد العبادة، وإنما جدد الدين في توحيد العبادة فقط، وهذا خطأ! وإذا درستَ حياته تجد أن أول ما نفذ مِن عمل أن رجم امرأةً اعترفت بفاحشة الزنا أمامه وأصرت على ذلك، أي: إن دعوته بدأت بالتوحيد، وفي إقامة الحدود، والإصلاح العام، والحكم بما أنزل الله، وفي إصلاح العقيدة، وفي إصلاح العبادة، أي: دعوة عامة. ولكن نظرًا لأن الوضع الذي جاء فيه وما يجري في أرض نجد في تلك الأيام هو الشرك في العبادة، لأن القوم كانوا يعبدون النخل؛ كان النخل عندهم كثيرًا، يعبدون أشجار النخل، ويعبدون الجن، ويعبدون القبور، لذلك ركز على توحيد العبادة. ولما استقر به المقام وثَبَتَ، كَتَبَ، وهو بالدرعية، رسائل كثيرة إلى الأقطار، وبيّن في تلك الرسائل دعوته، وبيّن موقفه من الأئمة الأربعة، وبيّن موقفه من الصحابة، وبيّن موقفه من السُّنة، وبيّن موقفه في جميع الأحكام، وأوضح أن دعوته ليست مجرد القول بأن هذا شرك وهذا توحيد، كما يُذيع خصومه، ولكنها دعوة عامة وتجديد عام إلى كل ما دعا إليه محمد ﷺ، بدءًا من العقيدة والعبادة إلى الأحكام.

أما تجديده جميع هذه النواحي فليفهم أن هذا التجديد تجديد عام، لذلك ينبغي أن تقرءوا ما كتب أخيرًا في ترجمته لشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز[1]، ترجمة خاصة ولبعض الشيوخ المعاصرين، ينبغي أن تطلعوا على ذلك وتعرفوا حقيقة هذا التجديد.

ولذلك معنى قولنا "يدعو إلى التوحيد" كما قلنا إلى توحيد العبادة، لذلك ركز هو أيضًا على توحيد العبادة لأن الوضع متشابه، والوضع في نجد متشابه مع الوضع في مكة عندما بعث الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم إن الرجل تجول في كثير من الأمصار فعرف أن الوضع متشابه في العالم كله، وإن العالم كله بحاجة إلى التجديد العام.



(١) كتاب: "الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته".

والدَّليلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾ [المدثر: ١-٧]. ومَعْنَى: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

❁ ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾: أي: أنذر عن الشرك، أي: بنوعيه الشرك الأكبر والشرك الأصغر، ويدعو إلى التوحيد، لأن الدعوة إلى التوحيد تشتمل على الإيمان والكفر معًا، الإيمان بالله سبحانه وتعالى ربًا معبودًا، والكفر بمَن سواه مِن المعبودات، هذا هو معنى الدعوة إلى التوحيد، أي: الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

❁ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾: أي: عظمْه بالتوحيد، ومَن وحَّد الله فقد عظمه، ومَن صرف شيئًا مِن أنواع العبادة لغير الله تعالى فقد شبه ذلك المعبود بالله، وفي تشبيه المخلوق بالخالق عدم تعظيم الله تعالى، ومَن دعا غير الله واستغاث بغير الله وذبح لغير الله شبه ذلك الذي يعبده شبهه بالله عز وجل، حيث منحه سمعًا كسمع الله، وعلمًا كعلم الله، وقدرةً كقدرة الله، هذا من أقبح أنواع التشبيه، وهو تشبيه المخلوق بالخالق(١).

والتشبيه الثاني هو تشبيه الخالق بالمخلوق، هذا الذي ابتلي به علماء الكلام، ولكن هذا النوع وهو المنتشر كما قال العلامة ابن قيم، بل ما كان يعرف سابقًا إلا هذا النوع قبل

---

(١) تشبيه المخلوق بالخالق هو إثبات شيء للمخلوق مما يختص به الخالق مِن:

- الأفعال: كفعل من أشرك في الربوبية ممن زعم أن مع الله خالقًا، مثاله: غلاة الباطنية الذين يزعمون أن أوليائهم يديرون الكون. مثال آخر: الثنوية من المجوس الذين يقولون إن للحوادث خالقين فالنور لخلق الخير والظلمة لخلق الشر.
- والحقوق: كفعل المشركين بأصنامهم حيث زعموا أن لها إلهًا حقًا في الألوهية فعبدوها مع الله.
- والصفات: كفعل الغلاة في مدح النبي ﷺ أو غيره كمدح المتنبي: فكن كما شئت يا مَن لا شبيه له.

[المجلى شرح القواعد المثلى من شرح القواعد المثلى لابن عثيمين]

نشأة علم الكلام، التشبيه المذموم الذي ندد به[1] القرآن هو تشبيه المخلوق بالخالق[2].



(١) (ندد) بفلان صرح بعيوبه. [المعجم الوسيط]

(٢) تشبيه الخالق بالمخلوق: أن يثبت لله في ذاته وصفاته من الخصائص مثل ما يثبت للمخلوق مثل أن يقول: إن يدي الله مثل أيدي المخلوقين، واستواءه مثل استواء المخلوق وهكذا. [المجلى شرح القواعد المثلى من شرح القواعد المثلى لابن عثيمين]

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

۞ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾: **أي طهر أعمالك عن الشرك**: تفسير الثياب بالأعمال ليس بتأويل بل تفسير لغوي، فيقال إذا أرادوا أن يصفوا إنسانًا بالنزاهة[1] يقال: "فلان ثيابه طاهرة"، وإذا أرادوا أن يعيبوه في خلقه يقال: "ثيابه دنسة"، أي: ليست بطاهرة. إذن تخصيص الثياب بالأعمال تفسير لغوي وليس بتأويل، وهذا تنبيه لأن كثيرًا من الناس لا يفرقون بين التفسير وبين التأويل، فإذا رأوك تفسّر مثل هذا التفسير يقولون: "أنتم تقولون: لا نؤول، ولكن تؤولون!"؛ التأويل المذموم التحريف، تحريف الكلمة، وأن تحمِّل الكلمة ما لا تتحمل لا لغةً ولا شرعًا. أما التفسير اللغوي، تفسير المفردات باللغة، ليس بتأويل، ولكنه تفسير وبيان، والتأويل في لغة المفسرين كما نعلم بمعنى التفسير والبيان، إنما التأويل عند المتأخرين بمعنى التحريف.



(١) (النزاهة) البعد عن السوء وترك الشبهات. [المعجم الوسيط]

﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ. وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، والبَرَاءَةُ مِنْهَا وأَهْلِهَا. أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

وبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وفُرِضَت عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ.

۞ ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾: **الرجز**: الأصنام والأوثان، وكل ما عبد من دون الله تعالى.

۞ **وهجرها تركها والبراءة منها**: وهجرها: تركها وترك أهلها، والبراءة منها ومن أهلها، أي: الكفر بها والإيمان بتوحيد الله تعالى.

۞ **أخذ على هذه عشر سنين يدعو إلى التوحيد** وإلى إفراد الله تعالى، لأن القوم تمكنت منهم الوثنية والشرك.

۞ **وبعد العشر عُرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس**: هذا العروج وإيجاب الصلوات عليه وهو فوق السماوات السبع، بعد سدرة المنتهى، إلى أن وصل إلى حيث يسمع صريف الأقلام، أقلام الملائكة وهم يكتبون المقادير. وصل إلى هناك وحده بعد أن تأخر جبرائيل عند سدرة المنتهى لم يتجاوزها، وأنفرد وحده عليه الصلاة والسلام بهذا المقام، فخاطبه ربه مباشرةً دون واسطة جبرائيل، فكلمه وأسمعه كلامه، رسولنا عليه الصلاة والسلام سمع كلام الله مباشرةً في تلك الليلة، في تلك اللحظة، عندما أوجب عليه الصلوات. وهذا مما يستدل به على أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بكلام يسمع، له صوت، فرسول الله ﷺ سمع كلام الله بصوت الله في ليلة الإسراء والمعراج، بدون واسطة مباشرةً، وكل مَن خاطبهم ربهم مِن الأنبياء إنما سمعوا كلام الله بصوت.

وأكرر هذا في كل مناسبة رادًا على الأشاعرة الزاعمين بأن كلام الله الحقيقي ليس بحرف ولا صوت، وإنما هو معنىً واحد قائمٌ بذات الله، هو الذي يترجم إلى العربية فيقال له "قرآن"، وإلى السريانية والعبرية فيقال لها "توراة"، يا ليت شعري مَن الذي ترجم كلام الله الذي في نفس الله؟! مَن الذي ترجمه إلى هذه اللغات؟ مَن هو؟ جبرائيل أم محمد ﷺ؟ وهل

عَلِمَ أحدٌ بها في نفس الله حتى يترجم هذه الترجمة؟ إن القوم لم يفكروا أدنى تفكير عندما قالوا هذا الكلام، ولكن عقيدة تقليدية، التلميذ يقلد الشيخ، والشيخ يقلد الشيخ الأول، وهكذا تقليدٌ مسلسل، وليس هناك دليلٌ أو مستند، الذي ينفي أن يكون كلام الله بحرفٍ وصوت، بل القرآن يصرح بأن هذا القرآن نفسه بحروفه كلام الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، كلام الله الذي قراءه رسول الله ﷺ على المشركين فسمعوه هو هذا القرآن بألفاظه، أما الصوت الذي سمعوه فهو صوت رسول الله ﷺ، والأصوات الذين نسمعها الآن أصوات القراء، مثل صوت الحصري وصوت فلان...إلخ، ولكن الكلام المقروء المسموع كلام الله، المتلو كلام الباري والمسموع صوت القارئ.

وإذا قلنا: كلام الله بحرف وصوت، فلا نعني الأصوات التي نسمعها الآن من القراء والأئمة عندما يقرءون القرآن أنها صوت الله، لا! هذه الأصوات أصوات القراء، ولكن الكلام المتلو كلام الباري سبحانه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ هذا كلام الله، والصوت الذي تسمع عندما يقرأ القارئ صوت ذلك القارئ، لذلك جعل بعض أهل العلم من السلف هذا الكلام كقاعدة: "الصوت صوت القارئ، والكلام كلام الباري"(١).

وفي هذا الحديث(٢) أيضًا بيان مكانة الصلاة، جميع الفرائض الإسلامية والواجبات

---

(١) كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى ٢٤٨- ١٦٤: "مَسْأَلَةٌ: فِي إمَامٍ يَقولُ يَوْمَ الجُمُعَةِ عَلَى المِنْبَرِ فِي خُطْبَتِهِ: إنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ أَزَلِيٍّ قَدِيمٍ لَيْسَ بِحَرْفٍ، وَلَا صَوْتٍ، فَهَلْ تَسْقُطُ الجُمُعَةُ خَلْفَهُ أَمْ لَا؟ وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ؟

الجَوَابُ: الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَنَّ القُرْآنَ كَلَامُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِنَّ هَذَا القُرْآنَ الَّذِي يَقْرَؤُهُ النَّاسُ هُوَ كَلَامُ اللهِ، يَقْرَؤُهُ النَّاسُ بِأَصْوَاتِهِمْ. فَالكَلَامُ كَلَامُ البَارِي، وَالصَّوْتُ صَوْتُ القَارِئِ، وَالقُرْآنُ جَمِيعُهُ كَلَامُ اللهِ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ. وَإِذَا كَانَ الإِمَامُ مُبْتَدِعًا، فَإِنَّهُ يُصَلِّي خَلْفَهُ الجُمُعَةَ؛ وَتَسْقُطُ بِذَلِكَ. وَاللهُ أَعْلَمُ".

(٢) يعني حديث الإسراء والمعراج. انظر الصحيحة: ٣٩٥٦.

إنما أوجبها الله عز وجل ورسول الله ﷺ في الأرض بين أصحابه، إما في مكة وإما في المدينة، ولكن الصلاة لما أراد الله أن يفرض الصلوات رفع نبيه عليه الصلاة والسلام إليه وقربه إليه فخاطبه فأوجب عليه خمسين صلاة، فجعل النبي ﷺ بإشارة من أخيه موسى عليه السلام يشفع لنا، فشفع لنا عند الله، فتردد بين موسى وبين المكان الذي سمع فيه كلام الله عدة مرات لطلب التخفيف، فخفف الله عنا الصلوات بعد أن كانت خمسين صلاة إلى خمس صلوات من حيث العدد، والأجر باقي إن شاء الله، وهذا دليل على مكانة الصلاة في الإسلام.



وصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وبَعْدَهَا أُمِرَ بالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ.

والهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ.

۞ **وصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ**: وصلى رسول الله ﷺ بعد أن فرضت عليه الصلوات الخمس، صلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمر بالهجرة إلى المدينة بعد أن مهد للهجرة إلى المدينة لأصحابه المستضعفين بالهجرة إلى الحبشة كما سيأتي] [1].

۞ **والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام**: [ماذا تقولون في هجرة الصحابة من مكة إلى أرض الحبشة؟ هل انتقلوا من دار الشرك إلى دار الإسلام؟ أو انتقلوا من دار الكفر إلى دار الكفر؟ الواقع إنما هاجروا من بلد الكفر إلى بلد الكفر، هذا الواقع. لكن كيف تسمى تلك هجرة وأهل العلم، علماء السيرة، يكادون يُجمعون على تعريف الهجرة بأنها انتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام كما قال الشيخ؟!

الجواب: تسمية سفر الصحابة إلى الحبشة هجرةً هجرةٌ لغوية لا اصطلاحية، لأن الهجرة في اللغة: انتقال من مكان إلى مكان كيفما كان المكان. ودائمًا المعاني اللغوية أوسع من المعاني الاصطلاحية، إذا قلتَ في اللغة: الهجرة الانتقال من مكان إلى مكان، سواء كان من دار الإسلام إلى دار الكفر، أو من دار الكفر إلى دار الكفر كما وقع للصحابة، هي هجرة في اللغة، لكن في واقعها هي بعثة للدعوة.

الصحابة إنما سافروا إلى الحبشة فيما يبدو للناس هجرةً، لأنهم لما اضطهدوا أذن لهم النبي ﷺ أن يهاجروا إلى النجاشي فقال لهم: «**اذهبوا إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يُظلم أحدٌ بجواره**»[2]، ليأخذوا راحتهم وحريتهم في عبادة الله تعالى لا يؤذيهم أحد. ولكن في

---

(١) من المطبوع لمحمود بن إبراهيم الطرابلسي.

(٢) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْنَا مَكَّةُ وَأُوذِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ وَفُتِنُوا وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ البَلاَءِ وَالفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ وَأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لاَ يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ

حقيقتها دعوة، ذهبوا ليدعوا إلى الله وليَشرَحوا منهج الرسالة الجديدة للنجاشي، لأن النجاشي دارسٌ للكتب السابقة وعارف سيرة نبينا محمد ﷺ، أراد الله له الهداية فهاجر إليه القوم، ولذلك قلق أهل مكة قَلَقًا شديدًا من هجرتهم إلى النجاشي، قالوا: خرجت الرسالة، الدين الجديد خرج إلى إفريقية، فأرسلوا وفدًا برِئاسة رجل يُعتبر أَدْهَى رِجالات العرب: عمرو بن العاص.

فأخذوا الهدايا التي تُعجِب ملوك العرب، فدخلوا على النجاشي وعلى البطارقة كما يقولون: رشوا البلاط بالهدايا رشًا من النجاشي إلى رجال البلاط. ودائمًا أو غالبًا الإنسان يتأثر، فقال: "ما استَعبد إنسانًا إحسانٌ"، إلا أن الله هدى ذلك الرجل وصدق فيه قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يُظلم أحدٌ بجواره**».

تقدم وفد قريش وشرفوا، وطعنوا في الوفد المحمدي، قالوا: "هؤلاء سفهاء][1]، سفهاء خرجوا من دين آبائهم ولم يدخلوا في دينك"، كأنه يريد: لا يوجد هنا غير ديننا ودينك أيها النجاشي! وهؤلاء لا هم في دينك ولا هم في دين آبائك، بدليل أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدوا لك تحيةَ ملوك الحبشة لأنهم سفهاء! هكذا دعاهم.

فجاءوا يتقدمهم جعفر بن أبي طالب فوقف بالباب، فرفع صوته: "يستأذن عليك حزب الله" بأعلى صوته؛ صوت غريب، من رجل غريب، قال فليُعد فأعاد: "يستأذن عليك حزب الله"؛ وقع في نفس النجاشي بأن القوم ليسوا بعاديين، قال: فليدخلوا. فدخل جعفرٌ يتقدمهم، دخل عليه ، غير مُنْحَنٍ، واقفًا، فعند ذلك سأله النجاشي: "لماذا لم تسجد لي؟" يعني لَمْ تحيني بتحية قومي، قال: " لا نسجد لك! نسجد للذي ملكك!"، أي: للذي جعلك

وكَانَ رَسُولُ الله ﷺ فى مَنْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وعَمِّهِ لاَ يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ مِمَّا يَنَالُ أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ مَلِكًا لاَ يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ فَالْحَقُوا بِبِلاَدِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ**». فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالًا حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِهَا فَنَزَلْنَا خَيْرَ دَارٍ إِلَى خَيْرِ جَارٍ أَمِنًا عَلَى دِينِنَا وَلَمْ نَخْشَ مِنْهُ ظُلْمًا. وَذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ. [الصحيحة:٣١٩٠]

(١) الشرح الثالث، الشريط الرابع، من ٠٠"١٠ إلى ٠٧"١٤

ملِكًا، الله هو الذي يأتي الملك مَن يشاء وينزع الملك ممن يشاء، الذي ملكك هو الذي يستحق العبادة والسجود.

تَأثر الرجل فجعل يسألهم عن الدين الجديد، وعن الرسول الجديد، وما جاء به، وما نزل عليه. بالاختصار، عرف الحقيقة ورد الهدايا لوفد قريش، فطردهم فرجعوا خاسرين، لم يَنجَحوا؛ ولما أكرم أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام، وفيهم بعض آل البيت بل بعض بنات النبي عليه الصلاة والسلام، أكرمه الله بالإسلام، فصار أول مَلِك من الملوك المعاصرين آمن برسول الله ﷺ وأعلن إيمانه.

هكذا معنى هجرة الصحابة إلى الحبشة، ليست الهجرة المعروفة المعهودة، وإنما هي دعوة إلى الله، وتبليغ لرسالة الله، وشرح لدين الله الجديد، ليَعرِفها القوم هناك، وتنتشر الدعوة وتخرج من الجزيرة، هذا هو هدف الهجرة .



وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

۞ **وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ:** في هذا الوقت، توجد أنواع من الهجرة الغريبة، يهاجر بعض المسلمين، بعد أن يتضايقوا في أرضهم، ولم يتمكنوا من إظهار دينهم، وتَعِبوا من المتابعة والاستفهامات، يهاجرون إلى بعض دول أوروبا هجرةً، ويتمكنون من إقامة شعائر الدين هناك: يبنون المساجد، والمدارس، وفي فرنسا بلغني أن تحولت مدينة كأنها مدينة عربية إسلامية مِن كَثرة المساجد والمدارس. قام بذلك بعض المهاجرين من العرب، لا داعي لذكر بلدهم الآن، وهؤلاء كثير ما يأتون في الحج، ويتصلون بنا، ويحضرون الدروس، ويسجلون، يحملون المعلومات من الحرمين بواسطة التسجيل وينشرون الدعوة هناك من الأشرطة، فانتشرت الدعوة على المنهج السلفي بحمد الله تعالى.

وهؤلاء على الاتصال بنا دائمًا وفي كل موسم يحضرون، وكثير ما يطلبون من المشائخ هنا أن يصوموا عندهم فيفعل بعض الناس إذا تمكنوا. ويأتون بالحافلة في الحج، ويعملون بالدعوة أكثر مما نعمل، ليس هناك نسبة بين عملنا وعملهم، نحن نعمل في بلد إسلامي آمنين على أنفسنا وأموالنا وكل شيء، أولئك يعملون في دار الكفر، حوّلوا بمجهودهم بتوفيق الله تعالى مُدنًا إلى أن أصبحت دار إسلام، أفتى لهم بعض المشايخ أن تلك المدينة أصبحت دار إسلام، لهم أن يعيشوا فيها ولا يتضايقوا، لا يقولون نحن هاجرنا من دار الإسلام إلى دار الكفر لأنهم تمكنوا من تحويل مدينتهم إلى دار إسلام، ولله الحمد والمنة.

هكذا توجد بعض أنواع من الهجرة في هذا الوقت، مسلمون ومن العرب في الكثير، يتضايقون في أرضهم فيصبحون غرباء فيهاجروا فيفتح الله عليهم هناك، ويعيشون مرفوعي الرأس، يدعون إلى دين الله تعالى بالحرية، ومثل هذا جائز استدلالًا بهجرة الصحابة إلى الحبشة، وأنهم عاشوا هناك يعبدون الله تعالى بحريتهم بعد أن تضايقوا في مكة.

وأما هجرة أفرادٍ من المسلمين إلى أوربا، إلى أمريكا، إلى الدول الشرقية، ليعيش وحيدًا بين الكفار لا يستطيع أن يُظهِر شعائر دينه، وربما كُلف، كما بلغنا، أن يترك صلاة الظهر والعصر، ويجمع كل يوم صلاة النهار إلى الليل، يصلي في الليل. وفي النهار لا يُمكَّن. ويتطور الأمر إلى درجة أنه يترك الجمعة مطلقًا، لأن الإجازة عندهم يوم الأحد، ويوم الجمعة يوم عمل، يضطر إلى أن يطيع جورج مدير الشركة، عبد الرحمن يطيع جورج، جورج يقول له: "الإجازة عندنا يوم الأحد، الجمعة لا! إن شئتَ عملتَ عندنا وإن شئتَ تركتَ!". يعيش هناك حياة الحيوان للأكل والشرب والنكاح، ليس عنده غير هذا، يترك دينه، مثل هذه الحياة غير جائزة. مَنِ ابتلي بمثل هذه الهجرة، أي: كأن يهاجر وحده ليعيش بين الكفار ذليلًا، ناسيًا عز الإسلام: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، ناسيًا هذا المعنى، يعيش تحت إدارة جورج مُتَذَلِّلًا له، مُطَأْطِئًا رأسه أمامه: "يا سيدي! يا سيدي!" يطلب الإجازة وجورج لا يُجيز! ومثل هذه الحياة حرام، وحرام أن يعيش مسلم كهذه الحياة في بلاد غير بلاد الإسلام.

وإذا أوذي مسلم في بلده وهناك بلدٌ إسلامي يستطيع أن يعيش فيه ويعبد الله بحريته، يأمن على نفسه وماله ودينه، وَجَبَ عليه أن يهاجر؛ اللهم إلا إذا كان بقاءه هناك تحت الإيذاء فيه مصلحة للدعوة الإسلامية، قد يؤذى في نفسه وماله، لكنه يؤثر ببقائه هناك، كأن كان طالب علمٍ ومن العلماء ينشر العلم والدعوة سرًا في بيته، وفي كل مناسبة صابرًا على الأذى، مثل هذا لا ينبغي أن يهاجر، ينبغي أن يبقى هناك صابرًا على الأذى، ما لم يؤمر بكفر بواح، وما لم يُنْهَ عن الصلوات؛ أما إذا كان مجرد الإذاء في نفسه وماله فعليه أن يصبر فيبلغ دعوة الله هناك.

سبق أن قلنا الهجرة في اللغة: الانتقال من مكان إلى مكان؛ وفي الاصطلاح: الانتقال من دار الشرك إلى دار الإيمان، أو الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن، وهذا التعريف الثاني زاده الإمام النووي وبه يصح إطلاق الهجرة على هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة، وإلا على التعريف الأول لم يكن انتقالهم من دار الكفر إلى دار الإسلام،

ولكن كان انتقالهم من دار الخوف والقلق، والخوف على الدين وعلى النفس، إلى دار الأمن والأمان، من مكانٍ كانوا يخافون فيه على أنفسهم ودينهم، ويخافون على عبادة الله تعالى بحريتهم، انتقلوا إلى مكان يأمنون فيه على أنفسهم ودينهم وعبادتهم؛ بهذا المعنى يصح اصطلاحًا إطلاق الهجرة على سفر أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الحبشة، وإلا فتكون هجرتهم هجرةً لغويةً، ويكون الهدف كما قلنا نَشْرَ الدعوة وتبليغ الناس في إفريقيا الدين الجديد وما جاء به خاتم النبيين محمد ﷺ .

وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ: [للهجرة معانٍ كثيرة، أعظم هجرة وأفضلها وأعمها أن يهجر الإنسان ما نهى الله عنه، المهاجر مَن هاجر ما نهى الله عنه[1]، أن يهاجر الشرك ويهاجر البِدْعَ ويهاجر الخلافات ويهاجر الفسوق والفجور، هذه هي الهجرة العامة الفريضة فرض عين على كل مسلم[2].

ثم إذا كان يعيش في أرض لا يستطيع أن يُظهِر فيها شعائر الإسلام وجب عليه أن يهاجر إلى مكان يستطيع أن يظهر فيه شعائر دينه، بل لو كان يعيش في بلد ينتسب إلى الإسلام، أهله ينتسبون إلى الإسلام، ولكن الإسلام مُضْطَهَد والمسلمون مضطهدون، ويجد في بعض ديار الكفر حريةً للدعوة إلى دينه ويتمكن من الدعوة إلى دينه، له أن يهاجر إلى بلد الكفر كما هاجر الصحابة من مكة إلى الحبشة، جائز.

---

(١) كما قال النبي ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**». رواه البخاري.

(٢) قال ابن قيم الجوزية: الهجرةُ إلى الله ورسوله فرضُ عينٍ على كل أحد في كل وقت، وأنه لا انفكاك لأحد من وجوبها، وهي مطلوبُ الله ومراده من العباد، إذ الهجرة هجرتان: هجرة بالجسم من بلد إلى بلد، وهذه أحكامها معلومة؛ والهجرة الثانية الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله؛ وهذه الهجرة هي الهجرة الحقيقية، وهي الأصل، وهجرة الجسد تابعةٌ لها، وهي هجرة تتضمن "مِن" و"إلى": فيهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته، ومن عبودية غيره إلى عبوديته، ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه، ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له إلى دعائه وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له. [الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلى ربه)].

قال الإمام مالك رحمه الله: "إذا كان يعيش في مكان يُسَبُّ فيه السلف الصالح ولا يستطيع منعهم؛ وَجب عليه أن يهاجر من ذلك المكان"[1]، انتبهوا لهذه الهجرة، يقول الإمام إذا كان الإنسان يعيش في مكان يُسَبُّ فيه السلف: الصحابة، والتابعون، وتابع التابعين، ويُسْتَخَفُّ بهم، ويُسَبون، ويُبَشَّرون بالنار، كما تفعله الروافض، وجب على الإنسان أن يهاجر من ذلك المكان الذي يَسمع فيه سَبَّ الصحابة. فما بالك إذا جاءك وأنتَ في أرضك مَن يَسُب الصحابة؟ مُتَحَذْلِق[2] يسب الصحابة، ماذا تعمل؟ وجب أن يُقاوَم؛ إذا جاء مُتَطَرِّف إلى دار الإسلام، إلى جماعة المسلمين، ليعيش بينهم، ومع ذلك يتجرأ على سَب الصحابة، والاستخفاف بهم، والسُخْرِيَّة منهم ومِن الأحاديث التي رَوَوْها، يجب مقاومته وجوبًا عينيًا على كل مَن يستطيع أن يقاوم وبأي أسلوب؛ على كل طالب علم أن يقاوم بالأسلوب الذي يستطيع أن يقاوم به، ولا يجوز السكوت والجبن على مثل هذا، بل ظهر في هذه الآونة الآخرة بعض مَن يتجرأ على مثل هذا الموقف، فلا ينبغي السكوت على تهجمهم على الصحابة وعلى الأحكام الشرعية، فالمسألة معروفة لدى الشباب، الله المستعان.][3].



(١) قال ابن رشد: "وإذا كان الإمامُ مالك رحمه اللهكره للمسلم أن يسكن ببلدٍ يُسبُّ فيه السلفُ فكيف ببلدٍ يُكفر فيه بالرحمن، وتُعبد فيه من دونه الأوثان، ولا تستقرُ نفسُ أحدٍ على هذا إلا وهو مسلمٌ مريضُ الإيمان". [مقدمات ابن رشد ٢/ ٦١٢-٦١٣].

(٢) (حذلق) الحَذْلَقةُ التصرُّف بالظَّرْف والمُتَحَذْلِق المُتَكَيِّس وقيل المُتحذلق هو المتكيس الذي يريد أن يزداد على قدره وإنه ليَتَحَذْلَق في كلامه ويَتَبَلْتَع أي يتظرَّف ويَتكيَّسُ ورجل حِذْلقٌ كثيرُ الكلام صَلِفٌ وليس وراء ذلك شيء والحِذْلاقُ الشيءُ المُحَدَّد وقد حُذْلِقَ ويقال حَذْلَقَ الرجلُ وتَحَذْلَق إذا أَظهر الحِذْق وادَّعى أَكثر مما عنده. [لسان العرب].

(٣) الشرح الثالث، الشريط الرابع، من ٣١"١٧ إلى ٥٨"٢٠

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

❁ والدليل على وجوب الهجرة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾: هذه الآية كما قال الإمام البغوي وغيره من أهل العلم، نَزلت في قوم نطقوا بالإسلام ولم يهاجروا، نطقوا بكلمة الإسلام "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله"، ولكنهم لم يهاجروا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام وإلى رسول الله، بل بقوا بين المشركين بمكة، وكانت الهجرة في ذلك الوقت شرطاً لقبول الإسلام، مَن اعتنق الإسلام يجب عليه أن يلحق برسول الله عليه الصلاة والسلام ولا يجوز له البقاء بمكة. فهؤلاء لم يَخرجوا، ولما خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم ليقاتلوا المسلمين معهم فقُتِلوا، ففيهم نَزلت هذه الآية.

❁ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾: الملائكة هم الذين يتوفون أولياء الله، ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر:٤٢]؛ يُنسب الوفاة، التوفي، إلى الملائكة أحيانًا، هنا المراد ملك الموت وأَعْوانه. فملك الموت عندما يأتي لقبض الروح فيقبض الروح معه أعوان عبارةً عن وفد: إن كانت الروح روحًا طيبةً يأتي وفد من الملائكة من الجنة، معهم كفن من أكفان الجنة، ومعهم حنوط من الجنة، بمجرد أن يقبض ملك الموت الروح يتبادلون فيأخذون فيحنطون فيكفنون فيصعدون به، فيصعدون بهذه الروح إلى الله، أين الله؟ أين الله؟ في السماء! لماذا تَجْبُنون؟! لا تتأثروا بالأشعرية، انتبهوا! عند الأشعرية كلمة "أين الله؟" جريمة وكلمة "في السماء" جريمة أخرى، هذا انحراف، عقيدة منحرفة، وأول مَن قال "أين الله؟" رسول الله ﷺ، لذلك لا تَسْتَصْعِب ولا تَسْتَبْعِد ولا تَعُد غريبًا إذا قال لك الإنسان "أين الله؟" وربما لأول مرة تسمعها لأن إيمان عوام المسلمين إيمان شكلي، لا يعرفون عن الله

إلا مجرد "الله"، يجب أن تَعْلم بأن ربَّك الذي تعبده فوق، فوقك ليس هو معك بذاته في الأرض، لذلك قال النبي ﷺ لمن أراد أن يختبر إيمانها، لجارية عامية على الفطرة، قال لها: «**أين الله؟**»، قالت: "في السماء"[1]، بفطرتها لا بشهادتها لا الشهادة العالية ولا المجستير ولا الدكتوراه، ولكنها بالفطرة، قالت: "في السماء"، وشَهِد لها النبي عليه الصلاة والسلام بالإيمان، لما عَلِمت بأن الله يُدعى مِن فوق وأن الذي اختبرها رسول الله، شَهِد لها بالإيمان، فالله سبحانه وتعالى يُدعى مِن فوق.

الشاهد، إن هؤلاء الملائكة الذين يأتون مع مَلَك الموت هم المرادون هنا في هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾، لأنه إذا قبض ملَك الموت الروح فاستلموا هم الروح، كأنهم شاركوا معه في الوفاة، في التوفي.

فقد يضاف إلى ملَك الموت فقط: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [السجدة:١١]، هنا الإضافة إليه لأنه هو الذي يَقْبِض بصرف النظر عن أعوانه الذين معه. ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾: لأن الله هو الذي يُرسِله، الله سبحانه وتعالى له جنود؛ الملِك إذا أمر رعيته أن يبنوا مدينة يقال: "إن الملِكَ بنى المدينة الفلانية"، والملِك لا يزال في قصره، ولكن الذين بنوا رعيته بأمره، إذن البناء هنا ينسب إلى الملِك حقيقةً وإلى البنائين حقيقةً أيضًا، لأن البنائين باشروا ولأن الملِك أمر. فالله سبحانه وتعالى إذا أُضيف إليه التوفي لأنه هو الذي أمر، وإلى الملَك لأنه هو الذي قبض، وإلى الملائكة لأنهم اشتركوا في ذلك كله، كل ذلك حقيقة وليس هناك تناقض ولا تضارب][2].

---

(١) عن أبي هريرة: أن رجلًا أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية، فقال: يا رسول الله! إن عليَّ عتق رقبة مؤمنة، فقال لها رسول الله ﷺ: « **أين الله؟** »، فأشارت إلى السماء بإصبعها السبابة، فقال لها: «**من أنا؟**»، فأشارت بإصبعها إلى رسول الله وإلى السماء؛ أي: أنت رسول الله، فقال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**». [الصحيحة:٣١٦١].

(٢) الشرح الثالث ، الشريط الرابع، من ٢٨"٢٢ إلى ١٥"٢٨

۞ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾: حال كونهم ظالمي أنفسهم، ظالمي أنفسهم حال، ظالمي أنفسهم بالبقاء بين المشركين بعد أن نطقوا بكلمة الإسلام، أو ظالمي أنفسهم بالشرك، حيث لم يُقبل منهم إسلامهم ونُطقهم بكلمة الإسلام وعدوا من المشركين؛ فالملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون لهم: ﴿ فِيمَ كُنتُمْ ﴾ في أي فريق كنتم؟ هل كنتم مع المسلمين أو كنتم مع المشركين؟ فيم كنتم: في أي شيء كنتم؟ في الإسلام أو في الشرك؟ استفهام تقريع وتوبيخ وتعيير(١). قالوا وهم يعتذرون:

۞ ﴿ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، علم الله بأن هذا العذر باطل، لم يُقبل منهم هذا العذر.

۞ ﴿ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ﴾: تدخل المدينة دخولًا أَوَّليًا، أرض الله الواسعة التي منها وفي مقدمتها المدينة النبوية، واسعة لماذا لم تهاجروا إليها؟

۞ ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾: وهذا دليل على أن الله لم يقبل عذرهم وأن عذرهم باطل، تعليلٌ غير مقبول.

ولذلك عذر الله مَن عَلِمَ صِحَّةَ عذرِهم، فقال الرب سبحانه: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾: هؤلاء عَذَرَهم الله، مَن كان

---

(١) قال الشيخ الفوزان – حفظه الله-: "هؤلاء مع إسلامهم وصدقهم في الإسلام، لما تركوا الهجرة من غير عذر حصل عليهم هذا الوعيد وهذا التوبيخ من الملائكة لما جاءتْ تقبض أرواحهم، فدل على أنه لا يجوز للموحد المسلم أن يتساهل بهذا الأمر وأن يكون مع المشركين ولو من غير محبة لهم، لكن محبة لماله أو ولده أو بيته أو غير ذلك. فلا يجوز تقديم محبة الأموال والأولاد على طاعة الله سبحانه وتعالى على الهجرة والجهاد في سبيل الله عز وجل. فالملائكة ما سألهم عن إيمانهم وعقيدتهم؛ لأنهم يعرفون أنهم على عقيدة صحيحة وعلى إيمان صادق، لكن سألهم عن المكان الذي هم فيه، حيث لا يجوز لهم أن يبقوا فيه وهم يقدرون على الهجرة منه. [سلسلة شرح الرسائل للإمام محمد بن عبد الوهاب/ ستة مواضع من السيرة/ قصة الهجرة].

مِن النساء والأطفال والرجال العاجزين عن الهجرة، وهم باقون بين المشركين، عَذَرَهم الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾: يقول عبد الله بن عباس: هو وأمه من هؤلاء المعذورين، من المستضعفين الذين قَبِل الله عذرَهم[1]. هكذا إذا كان الإنسان صادقًا مع الله وعَلِمَ اللهُ عذرَه وعجزَه وأنه لاحيلة له، يقبل الله عذره ويعفو عنه، هذه قاعدة في كل شيء.

الله سبحانه وتعالى لا تَنْطَلي عليه الأمور، لا كما يفعله بعض الناس الآن يلوذون[2] باسم الإسلام، وينادون باسم الإسلام، ويَتَشَدَّقون[3] باسم الإسلام، إذا اشتدت بهم الأمور، وهم دعاةٌ ضِد الإسلام، ومعادون للإسلام، وعلمانيون لا إسلام لهم، ولكن إثارةً للنفوس قد يعتذرون بالإسلام. فالله سبحانه وتعالى لا تنطلي عليه الأمور، يجب أن يَصْدُقَ العبدُ مع الله، مَن كان صادقًا في عذره وفي إسلامه وفي تَمَسُّكه بدين الله، قَبِل الله عذره ومَن لا فلا. هؤلاء الأولون منهم اعتذروا: ﴿قَالُوٓاْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ لم يقبل الله عذرهم لأنهم غير صادقين ولكن عذر العاجزين، فقال في حقهم: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ﴾ و"عسى" مِن الله واجب، ليس للرجاء، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

كذلك مما يُذْكَر هنا إذا أَوْجَبَ اللهُ شيئًا أو حرم شيئًا، لا بد حكمةً منه ورحمةً للعباد أن يستثني. أوجب الله الهجرة على كل مَن آمن بحيث لا يُقبل عذرُه ولا يُقبل إسلامُه حتى يُهاجِر، ذلك قَبْل فتح مكة، وانقطعت هذه الهجرة وهذا الوجوب بفتح مكة، وقَبْل ذلك لا يُقبل مِن أحدٍ إسلامٌ حتى يهاجر؛ هذه قاعدة، ومع ذلك استثنى الله المستضعفين والمضطرين إلى البقاء، الذين لا يجدون حيلة في السفر.

---

(١) عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، تَلا: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾، قَالَ: «كُنْتُ أَنَا وَأُمِّي مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ». رواه البخاري في صحيحه- كتاب التفسير.

(٢) لاوذ بكذا يلاوذ لواذًا وملاوذة: إذا استتر به. [مفردات ألفاظ القرآن].

(٣) (شدق) الشِّدْق جانب الفم، والمُتَشَدِّق الذي يَلْوي شِدْقَه للتَّفَصُّح. [لسان العرب].

ولما حرم الله الميتة، والدم، ولحم الخنزير، استثنى المضطرين إلى أَكْلِ الميتة، وأَكْلِ لحم الخنزير، وأَكْلِ الدم، رحمةً منه سبحانه وتعالى. لا تَجِد لو تَتَبَّعْتَ واستَقْرَأْتَ الكتابَ والسنة قاعدةً كهذه إلا وتجد الاستثناء، وذلك الاستثناء قاعدة، قَعَّدَ منها الأصوليون، فقالوا: "الضرورات تُبِيح المحظورات".

وبهذه المناسبة : لما كان يومَ بدر: تَبِعَ رسولَ الله ﷺ رجلٌ مشرك، فقال: "يا رسول الله! أريد أن أَتَّبِعَك فأُصيبَ معك ما تُصيب". فقال له: «**هل تؤمن بالله ورسوله؟**» فقال: "لا". قال: «**ارجع! لن أستعين بمشرك!**» فرَدَّه. فتَبِعَه مرةً ثانية، قال له: "أريد أن أتبعك لأنال مما تنال"، قال له: «**هل تؤمن بالله ورسوله؟**» قال: "لا"، قال: «**ارجع لن أستعين بمشرك**». ولَحِقَه مرةً ثالثة فقال ما قال في المرة الأولى والثانية، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: «**هل تؤمن بالله ورسوله؟**» قال: "**نعم!**" قال: «**انطلق!**»[1] فجاهد معه. هذا الحديث، اختلف أهل العلم في توجيهه، منهم مَن قال: إنما فعل رسول الله ﷺ ذلك لأنه علم بأن هذا الرجل سوف يُسلم، إذا رده مرةً أو مرتين يدخل في الإسلام، عَلِم ذلك بالوحي، لذلك رده في المرة الأولى والثانية حتى أسلم، وأكرمه الله بالإسلام، فتَبع رسول الله ﷺ وجاهد معه. مَن يذهبون هذا المذهب؟ منهم الإمام أبو حنيفة وأصحابه، وكثيرٌ مِن أهل العلم يرون جواز الاستعانة بالمشرك على المشرك لأن هذا الحديث لم يكن الغرض منه التحريم، ولكن الغرض منه هو ترغيب الرجل في الإسلام، بدليل أن رسول الله ﷺ استعان

(١) عن عائشة قالت: خرج رسول الله ﷺ قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك وأصيب معك. قال له رسول الله ﷺ: «**تؤمن بالله ورسوله؟**» قال: لا، قال: «**فارجع فلن أستعين بمشرك**». قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل، فقال له كما قال أول مرة، فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة، قال: «**فارجع فلن أستعين بمشرك**». قال: ثم رجع، فأدركه بالبيداء، فقال له كما قال أول مرة: «**تؤمن بالله و رسوله؟**» قال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ: «**فانطلق**». [الصحيحة: ١١٠١].

بصفوان بن أمية في غزوة حنين وهو مشرك[1]، وأقر الرجل الذي علم بوحي من الله بأنه كافر ومن أهل النار، في اقعة أُحُد كان يقاتل قتالًا مريرًا وقتل كثيرًا فأُعجِب به الصحابة، فكان النبي ﷺ يقول: «**إنه مِن أهل النار**»؛ اندهش الصحابة مِن هذا الخبر: رجلٌ يبلي بلاءً حسنًا كهذا بين يدي رسول الله ﷺ فيقول فيه الرسول عليه الصلاة والسلام إنه من أهل النار!؟ اتبعه أَحَدُ الصحابة ليعرف مصيره، وفي النهاية جرح الرجل جرحًا شديدًا فلم يصبر واتّكأ على سيفه فقتل نفسه. فأُخبر النبي عليه الصلاة والسلام بما جرى فقال: «**أشهد أني رسول الله**»، ثم قال: «**إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر**»[2]، ومع ذلك لم يمنعه الرسول ﷺ من المشاركة في الجهاد، والقتال. مَن ذهبوا هذا المذهب يرون جواز الاستعانة بالكافر على الكافر.

ومَن يذهبون مذهبًا آخر، يأخذون ظاهر حديث عائشة عند مسلم في قصة بدر التي ذكرنا الآن، الذي تَبع الرسول عليه الصلاة والسلام مرتين، مَن يأخذونه على ظاهره بدون

---

(١) عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ أُنَاسٍ مِنْ آلِ عَبدِ الله بْنِ صَفْوَانَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يَا صَفْوَانُ، هَلْ عِنْدَكَ مِنْ سِلاحٍ؟**»، قَالَ: عَوَرًا أَمْ غَصْبًا، قَالَ: «**لا، بَلْ عَوَرًا**» فَأَعَارَهُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الأَرْبَعِينَ دِرْعًا، وَغَزَا رَسُولُ الله ﷺ حُنَيْنًا، فَلَمَّا هُزِمَ المُشْرِكُونَ جُمِعَتْ دُرُوعُ صَفْوَانَ فَفَقَدَ مِنْهَا أَدْرَاعًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِصَفْوَانَ: «**إِنَّا قَدْ فَقَدْنَا مِنْ أَدْرَاعِكَ أَدْرَاعًا، فَهَلْ نَغْرَمُ لَكَ؟**» قَالَ: لا، يَا رَسُولَ الله، لأَنَّ فِي قَلْبِي اليَوْمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: "وَكَانَ أَعَارَهُ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، ثُمَّ أَسْلَمَ". [الصحيحة:٦٣١].

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلامَ: «**هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» فَلَمَّا حَضَرَ القِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله الَّذِي قُلْتَ لَهُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَاتَلَ اليَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِلَى النَّارِ**». قَالَ فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَرْتَابَ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا فَلَمَّا كَانَ مِنْ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ**» ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى بِالنَّاسِ إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ. [البخاري:٢٨٣٤] وهل وقع هذا في أُحُد أم خيبر أم في الاثنتين؟ انظر فتح الباري في كتاب المغازي، باب ٣٨ حـ ٤٢٠٣-٤٢٠٥ ص٥٨٨-٥٨٩، وكذلك عمدة القاري- كتاب الجهاد والسير- باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر.

نظر إلى هذا الفقه الدقيق، يقولون: لا يجوز الاستعانة بالكافر إلا عند الحاجة، نص الإمام الشافعي رحمه الله على كراهة الاستعانة بهم إلا عند الحاجة.

وبعد، هل تفرقون بين الحاجة وبين الاضطرار؟ ما الفرق بين الحاجة وبين الضرورة؟ الضرورة التي هي الاضطرار بينهما فرق كبير. إذا كان يُكره الاستعانة بهم عند بعضهم عند عدم الحاجة، وأما عند الضرورة والاضطرار يكون الاستعانة بهم إما جائزًا أو واجبًا، كأكل الميتة؛ أكل الميتة قد يكون جائزًا وقد يكون واجبًا، إذا كنتَ محتاجًا إلى أكل الميتة فجائز، وإذا كنتَ مضطرًا فواجب.

الفرق بين الحاجة وبين الضرورة، إذا كنتَ ظمآن ترغب في شرب الماء ولكن لو لم تشر ب لا يَلْحَقك ضرر، هذه تسمى حاجة. وأما إذا كنتَ مضطرًا إلى شرب الماء بحيث لو لم تشرب يلحقك الضرر والهلاك، يجب أن تشرب؛ كذلك في أكل الميتة وفي مسألة الاستعانة بالكفار كذلك: إن كانت المسألة مسألة اضطرار كأن خِفْتَ على نفسك ودينك ومقدساتك وبلدك وأمتك، مالم تستعن بعد الله بالكافر وتَطْلُبَ منه المساعدة في مثل هذا الاضطرار، الاستعانة بهم واجبة. وفي دون الاضطرار، عند الحاجة العادية، الاستعانة بهم جائزة. هذا على رأي الطائفة التي ترى عدم الجواز في الأصل، أما الذين ذهبوا المذهب الأول يرون أن ذلك جائز مطلقًا، وإنما منع النبي ﷺ الرجل أن يَتْبَعَه لِما ذكرنا مما كان لعلمه أنه سوف يُسلم.

ويذهب الحافظ ابن حجر مذهبًا آخر، وهو أن الاستعانة كانت ممنوعة بدليل ذاك الحديث ثم أبيحت بدليل قصة صفوان.

وعلى كلٍ القاعدة الفقهية التي ينبغي أن يفقهها طلاب العلم: إذا حرم الله شيئًا وأكد في تحريمه نجد أنه يستثني حالات الاضطرار، منها ما نحن بصدده الآن.



وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّـٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [العنكبوت:٥٦]. **قَالَ البُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «سبب نزول هَذِهِ الآيَةِ فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ».**

❁ **وقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّـٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾: لستم مضطرين لأن تبقوا تحت الاضطرار والاضطهاد[1]، اخرجوا من أرض الكفر إلى دار الإسلام فاعبدوا الله هناك، أو من دار الخوف والقلق إلى دار الأمن والاستقرار، فاعبدوا الله تعالى هناك. الهجرة هكذا تكون واجبةً بهذه الآيات إلى أن فُتِحت مكة، ولكن بقي وجوب الهجرة من محل الشرك والاضطهاد والإساءة إلى المسلمين وإلى الإسلام، إلى محل لا تسمع فيه كل ذلك.

❁ **قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «سبب نزول هَذِهِ الآيَةِ فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ»**: يعني المؤلف بهذه الآية، آية سورة العنكبوت لا آية سورة النساء. أما آية سورة النساء، تقدم سبب نزولها وانقسام الناس فيها إلى قسمين: إلى قسم عُذِرَ وقسم لم يُعْذَرْ، فالآية التي يشير إليها المؤلف الآية الأخيرة آية سورة العنكبوت.



---

(١) (ضهد) ضَهَدَه يَضْهَدُه ضَهْدًا، واضْطَهَدَه ظَلَمه وقَهرَه، وأَضْهَدَ به جارَ عليه، ورجلٌ مَضْهُودٌ ومُضْطَهَد مَقْهُور ذليل مضطر. الاضْطِهادَ هو الظلمُ والقَهْرُ. [لسان العرب].

وَالدَّلِيلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، ولا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي المَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثل: الزَّكَاةِ، والصَّوْمِ، والحَجِّ، والأَذَانِ، والجِهَادِ، والأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ.

۞ **وَالدَّلِيلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، ولا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها»**: وهذه الهجرة التي لا تنقطع ليست تلك الهجرة التي كانت واجبة من مكة إلى المدينة، تلك انقطعت بفتح مكة، ولكن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام كما تقدم الشرح.

۞ **فلما استقر النبي ﷺ بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام**: وكان التركيز في مكة على العقيدة، على تصحيح العقيدة وبناء العقيدة وتصحيحها، ولما استقر هاجر إلى المدينة واستقر في المدينة، أُمِرَ ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة، والصوم، والحج، والأذان، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مِن واجبات الإسلام المهمة التي استهان بها كثيرٌ من الناس، جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير موجود في أكثر أرض الله اليوم، باسم الحرية قضي على هذا الجهاد، فنسأل الله تعالى أن يُقويَّه حيث يكون موجودًا هنا، ولكن نُحِس فيه نوعًا من الضعف في هذا الجهاد، فنسأل الله أن يُوَفِّقَ المسؤولين عن هذا الجهاد حتى يُقَوُّوه، وهو من أَمْيَز الميزة في هذا البلد، فنسأل الله التوفيق والسداد.

۞ **وغير ذلك من شرائع الإسلام**: وأما الجهاد فعند كثير من الناس شعارٌ أجوف، يرفعون الشعار فإذا جَدَّ الجد لا جهاد، اعتذروا! أو جهاد مقلوب بمعنى معكوس، غير الجهاد الإسلامي.

أما الجهاد الإسلامي لإعلاء كلمة الله قليل جدًا مَن يجاهدون هذا الجهاد دون جعجعة ولكن في صمت وإخلاص لله تعالى، وقد كَشَف الجهاد الأفغاني كثيرًا من الجهات

التي كانت تُنادي وتتخذ الجهاد شعارًا أجوف، كشفهم ففضحهم، ولما قام الجهاد اعتذروا! وأما الذين ينادون الآن بالجهاد: "الجهاد! الجهاد!" وهم ممن يجاهَدُ فيهم ليسوا ممن يجاهدون في سبيل الله، والقضية معكوسة، فليَفهم شباب الإسلام وطلاب العلم معنى قوله ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»[1]. وقد استشكل الصحابة قولَه ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا**»، كونك تنصره مظلومًا واضح ولكن كيف تنصر أخاك ظالمًا؟ لهذا الحديث مفهومان: مفهومٌ إسلامي، ومفهومٌ جاهلي.

• المفهوم الإسلامي هو الذي بيّنه النبي عليه الصلاة والسلام، وهو أن تكف أخاك الظالم مِن الظلم، وتمنعه من الظلم، وتحول بينه وبين الظلم؛ تكون بذلك قد نصرتَه.

• وأما المفهوم الجاهلي: أن تنضم إليه في ظلمه فتَظْلِمَ معه، وتؤيدَه وتُصَفِّقَ له، حتى يتمادى في الظلم بسبب تشجيعك وتصفيقك، هذا ما يجري الآن للأسف بين الغوغائيين، المنتسبين إلى الإسلام، الذين لا يفهمون من الإسلام إلا هذه الكلمة الجوفاء، والله المستعان.



(١) عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»؛ قيل: كيف أنصره ظالمًا؟ قال: «**تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره**». أخرجه البخاري من حديث أنس ومسلم من حديث جابر وهو مخرج في الإرواء:٢٥١٥.

۞ **أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ**: أي: أخذ على هذا رسول الله ﷺ يدعو إلى هذا التشريع السماوي في المدينة عشر سنين.

۞ **وبعدها تُوُفِّيَ – صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ– ودِينُهُ بَاقٍ**: لم يمت دينه معه، بل بقي لأن الدينَ دينُ الله، الذي أنزله هو رب العالمين الحي الذي لا يموت. فرسول الله ﷺ بلَّغ دين الله ونشر العقيدة والتوحيد والشرائع بعد أن ثبَّتَ الله الإسلام والمسلمين، وفَهِموا ما جاء به النبي ﷺ قبضه إليه؛ ولكن لم يَقبِضْهُ إليه إلا بعد أن بلَّغ البلاغ النِهائي، فأكمل الله له دينه إشارةً إلى قُرب أجله عليه الصلاة والسلام، كأن الله أَعْلَمه.

في حَجة الوداع، في خطبة يوم عرفة، وفي خطبة يوم النحر، خاطب الصحابة، فقال لهم: «**أنتم مسؤولون عني ماذا أنتم قائلون؟**»، بعد أن خطب فيهم وبيّن لهم كل شيء، قالوا: "نشهد بأنك بلغتَ ونصحتَ"، ونحن نشهد معهم أنه عليه الصلاة والسلام بلغ ونصح، فرفع الرسول ﷺ إصبعه كان يرفعها ويَنْكُبُها(١) عليهم ويقول: «**اللهم اشهد! اللهم اشهد!**»(٢). وسُميت تلك الحجة حجة الوداع، التي جرى فيها هذا الكلام، لأنه بعد أن رجع من الحج لم يمكث في هذه الدنيا وفي هذه المدينة أكثر من نحو ثمانين يومًا، والتحق بالرفيق الأعلى ﷺ بعد أن بلغ ونصح لأمته عليه الصلاة والسلام.

وقال عليه الصلاة والسلام للصحابة: «**ما بعث الله مِن نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل**

---

(١) أَي: يُميلُها إِليهم يريد بذلك أَن يُشْهِدَ اللهَ عليهم [لسان العرب]

(٢) جزء من الحديث الطويل المشهور عن حج النبي ﷺ عن جابر بن عبد الله، رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه.

أمتَه على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم»[(١)]، كل هذا دليل على أنه بلغ البلاغ المبين، فبقي دينه.



(١) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الكَعْبَةِ، قَالَ: دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ: الصَّلاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إلا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ**»، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: أَنْشُدُكَ اللهَ آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؟ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ، وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ، وَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ، يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالبَاطِلِ، وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ [النساء:٢٩] قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ الله، وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ الله.[الصحيحة:٢٤١]

وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، ولا شَرَّ إلا حَذَّرَهَا مِنْهُ. والخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ ويَرْضَاهُ. والشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ. بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الجِنِّ وَالإِنْسِ.

۞ **وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، ولا شَرَّ إلا حَذَّرَهَا مِنْهُ** فأكمل الله له الدين والخير الذي دلها، أي: دل الأمة عليه، في مقدمة ذلك التوحيد، أي: إفراد الله تعالى بالعبادة. فإذا أُطلق التوحيد المراد به توحيد العبادة وجميع ما يحبه الله ويرضاه، لأن الطاعات بريد التوحيد، وتثبت التوحيد، وتصدق التوحيد. والشر الذي حذرها عنه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه، المعاصي بريد الشرك، وتدعو إلى الشرك، وتُزَيِّنُ الشرك للناس.

۞ **بعثه الله إلى الناس كافةً**، لا إلى العرب فقط، ولا إلى الإنس فقط، بل إلى الثقلين.

۞ **وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس:** [فرض الله طاعة رسوله عليه الصلاة والسلام على جميع الثقلين، لأنه مبعوث إلى الجن والإنس، يجب عليهم أن يُطيعوه طاعةً مطلقة، غير مقيدة.

معنى الطاعة المطلقة: إذا عرف العبد بأن رسول الله عليه الصلاة والسلام أمر بكذا وثبت ذلك عنده، وجب عليه أن يطيعه إيمانًا: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، ليس مجرد الامتثال مداراة أو مجاملة بل حتى يسلم تسليمًا، تسليمًا كاملًا بمجرد أن يعلم ويَثبت عنده بأن رسول الله ﷺ أمر بكذا. كما يجب عليه أن ينتهي بمجرد أن يعلم بأن رسول الله عليه الصلاة والسلام نهى عن كذا، أي: لا تتوقف الطاعة امتثالًا وتَرْكًا على موافقة أمره عليه الصلاة والسلام ما جاء في الكتاب، هذه هي النقطة المهمة.

يَزعُم بعض الزاعمين والمتحذلقين في هذا الوقت بأن السُّنة لا يجب العمل بها خصوصًا إذا كانت مِن الآحاد، وربما زعموا أن بين السُّنة وبين القرآن اختلافًا، وهذا اختلافٌ منهم إما جهلًا أو تجاهلًا. لا يمكن أن تثبت السنة ثبوتًا لا إشكال فيه ويكون هناك

اختلاف وتناقض بينها وبين القرآن، ومَن لم يستطع أن يوفق بين حديث ما وبين آية فليتهم نفسه بالقصور والعجز عن التوفيق، فليسأل أهل الذكر وأهل العلم والمعرفة. وإلا يجب عليه أن يعتقد إذا صح الحديث وثبت أنه لا يمكن أن يكون هناك اختلاف لا يمكن معه التوفيق بين النصوص، أي: السنن فيما بينها لا تختلف اتفاقًا لا يمكن التوفيق بينهما، والآيات كذلك، وكذلك الأمر بين الآيات وبين السنن. هذه المسألة يجب على طلاب العلم أن يدرسوها دراسة فاحصة] [(١)].

[طالما تعرضنا فلنَذكُر ولو مِثالًا أو مِثالين لبعض السنن التي تأتي مؤسِسة، لأن السنة إما تأتي مفسرة، مفسرة ما أجمل في الكتاب، ويقال سنة مفسرة ومبينة، كالسنن التي بينت أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج، وهذه الأحكام أُجملت في كتاب الله، وخصوصًا الصلاة: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنعام:٧٢] بأي شيء نصلي الآن؟ هذه التفاصيل مِن الطهارة حتى تنتهي من الصلاة كلها بالسنة، السنة هنا مفسرة، أي: إذا جاءت الأحكام مجملةً في القرآن وجاءت السنة بَينت وفَسرت وفَصلت، هذا قسم مِن أقسام السنة، سنة مبينة ومفسرة.

وهناك سنة مُوافِقة، جاءت الأحكام في القرآن وجاءت نفس الأحكام في السنة، هذه مُوافِقة للكتاب وهذه كثيرة.

وأحيانًا تجد سنة مؤسِسة، هذا هو القسم المهم؛ السنة المؤسسة هي السنة التي تأتي بأحكام أو بإثبات صفات لله تعالى ليس ذلك في كتاب الله، كتحريم لحوم الحُمُر الأَهلية، والنهي عن كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مِخْلَب من الطيور، وكتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، هذه السنن وأمثالها سنن مؤسسة، جاءت لتأسيس أحكام جديدة لم يَرِدْ ذكرها في كتاب الله.

بعض أصحاب الرأي يَسْتَصْعِبون مثل هذا، يقولون هذا زيادة على الكتاب، كيف

---

(١) الشرح الثالث ، الشريط الرابع، من ٠٠"٤٨ إلى ٣٤"٥١

نَقبل الزيادة على الكتاب؟ هكذا يُهَوِّلون تهويلًا! ولو أَمْعَنْتَ النظر[1] ليس هنا زيادة، أي: كما أن الكتاب من عند الله وهذه السنة من عند الله، وهل الرسول عليه الصلاة والسلام قال ذلك من عند نفسه؟! حاش! ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم:٣-٤].

السنة من عند الله من حيث المعنى، وكل ما في الأمر، الألفاظ والعبارات، من عند رسول الله عليه الصلاة والسلام، وإلا لم يتكلم بذلك إلا بوحي من الله، من أين تأتي الزيادة؟! ليس هناك ما يُقال زيادة على كتاب الله، بل تقول كل ذلك وحي من الله، لأن الوحي نوعان: وحي يُتلى وهو القرآن، ووحي لا يُتلى ولا يُتَعَبَّد بتلاوته، ولكن يُعمل به كما يُعمل بالوحي الذي يُتلى تمامًا إذا صح. إذن أصبح كل ذلك من عند الله ليس هناك زيادة][2].



(١) أَنْعَمَ النظر؛ أمعن في النظر: بالغ في الاستقصاء. أَنْعَمَ النظر في الأمر: أطال الفكرة فيه. [نحو إتقان الكتابة باللغة العربية]

(٢) الشرح الثالث ، الشريط الرابع، من ٤٥"٥٥ إلى ٠٠"٠٠"١

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨]. وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

۞ **والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾**: وهذا بالنسبة للإنس، والجن داخلون أيضًا.

۞ **وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾**: الشيء الكامل لا يقبل الزيادة، الدين كامل حيث قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾، "ال" في "اليوم" للحضور، أي: في هذا اليوم الحاضر، يوم الجمعة بعرفة وفي خطبة وادي عُرَنَة؛ قال الله هذا الكلام، قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ ﴾، أي: في هذا اليوم الحاضر في حجة الوداع: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾. هكذا كمّل الله لنا ديننا سبحانه وتعالى، والدين الكامل، الشيء الكامل، لا يقبل الزيادة.

لذلك كل مَن أَحْدث في هذا الدين فحدثه يعتبر بدعة مردودة: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(١)، «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٢)، لأن الدين تم وكَمُل، وعلى المرء الاتباع فقط.

[ومَن يزيد في هذا الدين، يَلزمه أن يَتَّهِمَ رسول الله ﷺ أنه لم يُبَلِّغْ البلاغ الكامل، بل بقيت بعضُ المسائل وبعض الواجبات أو بعض السنن بحاجة إلى الزيادة، هذا ما يقوله لسان حال المبتدع.

لذلك يقول اللإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، كان يقول في هذا المسجد

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح مسلم

بجوار الروضة، عندما كان مِن كبار المدرسين في هذا المسجد، في عهد تابعي التابعين، يحكي ابن الماجشون صاحبه، عن الإمام مالك قولَه: "مَنِ ابتدع في الإسلام بدعةً فرأها حسنةً فقد اتهم محمدًا ﷺ بالكتمان وعدم التبليغ"[1]، فلينتبه لأنفسهم مَن يُرَدِّدون البدعة الحسنة في الإسلام بعد أن قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**كل بدعة ضلالة**»[2]، لا يجوز اعتقاد أن هناك بدعة سيئة وبدعة حسنة بل كل بدعة ضلالة، بل المبتدع لسان حاله يقول: "إن الدين لم يكمل بعد" أو "لما يكمل بعد"، هو وأمثاله هم الذين يحاولون أن يكملوه، بأن يزيد بعض الصيغ، وبعض الصلوات، وبعض الأذكار، وبعض الأعمال، ويَعُدون ذلك من الدين. هذا الموقف أخطر وأسوء من ارتكاب الكبائر، كبائر الذنوب، كشُرب المُسكِر وغير ذلك، لو ارتكبه الإنسان وهو غير مستحلٍ، يرتكبه وضميره يُؤَنِّبُه،وترجى له التوبة طالما هناك تَأْنِيبٌ في ضميره وقلق وخوف، لكن صاحب البدعة يبتدع ظنًا أو زاعمًا بأن هذه قربة، بينما يفعله قربة إلى الله فمتى يتوب؟! مَن يفعل بدعةً معتقدًا بأنها قربة، لا يُتَوَقَّع منه أن يتوب إلا أن يشاء الله، ولذلك رجوع المبتدعة من بدعتهم، سواء كان البدعة في العبادة كالمتصوفة أو البدعة في الاعتقاد كالمعتزلة والأشاعرة، رجوعهم قليل، الذين يَرجعون منهم قليل جدًا، ولكن أصحاب الأهواء والمعاصي كثير ما يتوبون، وهذا شيء مشاهد، لذلك يقال: إن الابتداع في الدين أخطر من ارتكاب المعاصي][3].



---

(١) قَالَ ابْنُ المَاجِشُونِ: سَمِعْتُ مالكًا يقول: "من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة، فقد زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فَلا يَكُونُ اليَوْمَ دِينًا" [الاعتصام للشاطبي].

(٢) قال النبي ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي يرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**». [الصحيحة:٢٧٣٥]

(٣) الشرح الثالث ، الشريط الرابع، من ١٥"٤٣ إلى ٢٧"٤٧.

فصل

۞ [السؤال: بعض مَن يقسم البدع إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة، يستدل بقول عمر ﷺ في صلاة التراويح: "نعمة البدعة".

الجواب على هذا السؤال: أولًا فلنعرف ما هي البدعة المذمومة: البدعة المذمومة إحداث شيء في الدين ليس له أصل، أي: أن تعمل أعمالًا ظاهر هذا العمل عمل صالح، ولكن ليس له أصل في الدين: صيام مبتدع كنصف مِن شعبان ونصف رجب وغير ذلك، صلوات تبتدع، وأذكار وصِيَغ في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام تبتدع. فيزعمون بأن هذه، وإن كانت ليس لها أصل لكن ظاهرها عمل صالح، أنها بدعة حسنة.

وهل عمر فعل ما لا أصل له في الدين ثم سماه بدعة؟ لا! عمر كل ما في الأمر.

إن رسول الله ﷺ صلى لنفسه في المسجد صلاةً، قيام الليل على خلاف عادته، عادته المعروفة يصلي في منزله؛ فخرج ذات مرة إلى المسجد فصلى، فصلى الناس بصلاته واقتدوا به، وهو لم يخرج ليصلي بهم فصلى بهم؛ وفي الليلة الثانية خرج فصلى فزاد العدد؛ وفي الليلة الثالثة عجز المسجد عنهم، لأنهم أعجبوا بصلاته عليه الصلاة والسلام، وجدوا هذه فرصة طالما خرج لهم إلى المسجد، فكثروا حتى ضاق بهم المسجد. في الليلة الرابعة، لم يخرج إليهم، فاجتمعوا فانتظروا فلم يخرج إليهم، فأخبرهم مِن غد أنه لم يخفَ عليه ما فعلوا البارحة، أي: عَلِمَ اجتماعهم ومع ذلك لم يخرج إليهم خشيةً أن يفرض عليهم قيام الليل ولا يستطيعون القيام به، لأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم عليه الصلاة والسلام كما وصفه الرب(١).

فتُرِك من ذلك التاريخ اجتماع المسلمين على إمام واحد في صلاة التراويح في آخر عهده

---

(١) عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ لَيْلَةً مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ وَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلاتِهِ فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَصَلَّى فَصَلَّوْا مَعَهُ فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنْ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَصَلَّى فَصَلَّوْا بِصَلاتِهِ فَلَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ حَتَّى خَرَجَ لِصَلاةِ الصُّبْحِ فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا**» فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ. [صحيح البخاري].

وفي عهد أبي بكر إلى أن جاء عهد عمر. فعمر كثير الاقتراح ﷺ، وينزل القرآن كثيرًا على حسب اقتراحه كآية الحجاب، واتخاذ مقام إبراهيم مصلى، نوجز ولا نطيل. عمر فكر لما خرج إلى هذا المسجد، فوجد الناس جماعة تصلي هنا وجماعة هناك وهناك، منفرد، متفرقون، قال: "لو جمعتُهم على إمام واحد لكان أحسن"؛ وفي الليلة الثانية فعلًا جمعهم على إمام واحد، أبي بن كعب، ولكن هل صلى معهم؟ لا! لم يصلِّ معهم لأن النوافل بصفة عامة، القاعدة: أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة(١). عمر جمعهم ولكن لم يصلِّ معهم، ولكن خرج إليهم وهم يصلون فنظر إليهم فأعجبته تلك الصفوف المرصوصة خلف إمام واحد فقال: "نعمة البدعة! والتي ينامون عنها خير مما يقومون به"(٢)، يعني: كونهم ينامون أول الليل ويحيون آخره، كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام خير، لكن هذه طيبة. ما هي البدعة إذن؟ هل هذا العمل الذي فعله عمر، وجَمْعُه المسلمين على إمام واحد لأول مرة حدث في الإسلام؟ لا أصل له؟ لا! وقد علمنا بأن النبي عليه الصلاة والسلام صلى بهم ثلاث ليالي، إذن لماذا سمى بدعة؟ قالوا: هذه بدعة لغوية، ليست بدعة شرعية. البدعة المذمومة البدعة الشرعية: إحداث شيء في الإسلام؛ البدعة في اللغة: كل متجدد، وهذا شيء تجدد، شيء جديد لأنه تُرك فترة طويلة فأصبح مبتدعًا، أي: عملًا مجددًا يعتبر بدعة لغةً لا شرعًا. وإذا عرفنا أصل معنى البدع يتضح تمامًا، إذا ذكرنا السبب، أن فعل عمر ليس من تلك البدع المذمومة، ولكنها بدعة لغوية، والله أعلم](٣).



---

(١) عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً مِنْ حُصُرٍ فِي رَمَضَانَ فَصَلَّى فِيهَا لَيَالِيَ فصلَّى بِصَلَاتِهِ أُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَلَمَّا عَلِمَ بِهِمْ جَعَلَ يَقْعُدُ قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «**قَدْ عرفتُ الَّذِي رأيتُ مِنْ صَنِيعِكُمْ فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلَاةِ الْمَرْءِ في بيته إلا المكتوبة**». [صحيح أبي داود:١٣٠١].

(٢) عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدٍ الْقَارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ؛ ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لَيْلَةً أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ قَارِئِهِمْ قَالَ عُمَرُ: نِعْمَ الْبِدْعَةُ هَذِهِ وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنْ الَّتِي يَقُومُونَ؛ يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ وَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ. [صحيح البخاري].

(٣) الشرح الثالث، الشريط الرابع، من ٣٣"٢٧"١ إلى ٢٧"٣٣"١

والدَّليلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ؛ قَوْلُهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٠-٣١].

۞ كثيرٌ من الغلاة، الذين يدّعون تعظيم رسول الله ﷺ وتبجيله، إذا قلتَ أن النبي ﷺ ميت يغضب، انظروا الجهل يصل بالمرء إلى أي درجة! يغضب من قولك أن النبي ﷺ مات أو ميت، كيف تقول ميت؟! الله هو الذي قال، لا يدري عما قال الله ولكن يَحْتكِم إلى العاطفة، لا يجوز عنده أن تُطْلِقَ لفظة "ميت" أو "مات" على رسول الله ﷺ، بينما أثبت الله وأقر ذلك دون تردد. أحب الناس إليه أبو بكر الصديق عندما قال له عند وفاته: "طبتَ حيًا وميتًا يا رسول الله ﷺ"(١).

ولا ينبغي للمسلم أن يكون عاطفيًا إلى هذه الدرجة حتى تُرْقِيَه العاطفة في تكذيب خبر الله وخبر رسول الله ﷺ.



---

(١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي بِالعَالِيَةِ، فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَالله مَا مَاتَ رَسُولُ الله ﷺ! قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَالله مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إلا ذَاكَ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ؛ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فَقَبَّلَهُ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُذِيقُكَ اللهُ المَوْتَتَيْنِ أَبَدًا. ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ! فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ فَحَمِدَ اللهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر]. [صحيح البخاري].

والنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ والدَّليلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه:٥٥]؛ وقَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾ [نوح:١٧-١٨]. وبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ ومَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ.

❁ **والناس إذا ماتوا يبعثون:** أي: مِن الأصول التي يجب الإيمان بها البعث بعد الموت.

❁ **والدَّليلُ قَوْلُهُ تعالى:** ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾: أي: مِن الأرض؛ الشاهد: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ هذا هو دليل البعث.

❁ ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾: أي: إنباتًا، "نباتًا" اسم مصدر، والمصدر إنبات، والله أنبتكم من الأرض إنباتًا هذا هو المصدر، ونباتًا اسم مصدر(١)، كتَوَضَّأَ وضوءًا، أي: تَوَضُّؤًا.

❁ ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾، محل الشاهد من الآية ﴿ وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

❁ **وبعد البعث الناس محاسبون ومجزيون بأعمالهم:** بعد البعث هناك وُرود الحَوْض، وهناك الميزان، وهناك الحساب وعرض الأعمال. اختلف أهل العلم في الترتيب بين هذه الأشياء، ولكن بعضهم يميل على أن أول شيء ورود الحوض، لأن المقام يقتضي ذلك. لأن الناس يُبعثون من قبورهم وهم عِطاش، بحاجةٍ إلى الماء، لذلك مَنَّ الله على أمة محمد ﷺ بالحوض المورود، الحوض العظيم الذي يشرب منه أهل الجنة. يَرِدُ المؤمنون هذا الحوض

---

(١) قد يجيءُ "أفعلَ" على "فَعالٍ" بفتح الفاء، وتخفيف العين، نحو: "أنبتَ نَباتًا، وأعطى عَطاءً، وأثنى ثَناءً"، فهذا اسمُ مصدرٍ، لا مصدرٌ، لنُقصانهِ عن أحرف فعلهِ. [جامع الدروس العربية].

العظيم، ورسول الله ﷺ ينتظرهم هناك، وهو فرط[1] أمته إلى الحوض، ومنبره على حوضه. الناس بحاجةٍ ماسةٍ إلى الشرب منه وهم بُعثوا من قبورهم في شدة العطش، ولكن بعض الناس يُرَدّون ويُطْرَدون من الحوض، ورسول الله ﷺ لا يدري عن سبب طردهم، لذلك يقول: «**يا رب أمتي! أمتي!**» أو: «**أصحابي! أصحابي!**»، فيقال له: "لا تدري ما أحدثوا بعدك، إن هؤلاء غيروا وبدلوا بعدك". فيقول النبي ﷺ: «**سحقًا لمن بدّل وغيّر**»[2]. استدل أهل العلم بهذا الحديث بأن رسول الله ﷺ لا يدري عما يَحْدُثُ بعده من التغيير والتبديل والردة والابتداع في هذا الدين، لا يدري عن ذلك، لأن علم الغيب العام لله وحده، والأنبياء لا يعلمون حتى في حياتهم إلا بإعلام الله إياهم بعض الأمور.

يتعارض هذا الحديث مع حديث ورد أن الأعمال تعرض على رسول الله ﷺ، أعمال أمته، ورد في ذلك الحديث إن رأى خيرًا حمِد الله، وإن راى غير ذلك استغفر الله لأمته[3]. قال أهل العلم بالتوفيق بين الحديثين: إن حديث عرض الأعمال غير صحيح، وعلى فرض صحته يعلم بالجملة لا بالتفصيل؛ أما بالتفصيل أن فلان هو الذي غيّر وهو الذي بدّل وهو الذي ارتد ؛ فلا يعلم ذلك، للتوفيق بين هذا الحديث وبين حديث العرض على الحوض، وطرد بعض الناس من الحوض.

وعلى كلٍ، يقال إن أول ما يَحصل بعد البعث ورود الحوض، ثم الميزان، ثم الحساب والعرض. المراد بالحساب المناقشة: «**مَن نوقش الحساب عذب**»[4]، نسأل الله لنا ولكم السلامة، والعرض عرض الأعمال وعرض الكتب، وبعد ذلك الناس مجزيون بأعمالهم.

---

(١) (فرط) الفارِطُ المتقدّم السابقُ، فرَطَ يَفْرُط فُروطًا. [لسان العرب].

(٢) الصحيحة:٣٩٤٤ و٣٩٥٢

(٣) عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الله الْمُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدَّثُ لَكُمْ وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ حَمِدْتُ اللهَ عَلَيْهِ وَمَا كَانَ مِنْ سَيِّءٍ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لَكُمْ**» [الضعيفة:٩٧٥].

(٤) صحيح الجامع:٦٥٧٨

وعند الجزاء، مِن الناس مَن يكون جزاءهم لكثرة أعمالهم الحسنة، ولشدة وإخلاصهم وتحقيقهم التوحيد، مَن يُثابون بعدم دخول النار، بل ليس عليهم حساب ولا عقاب، ويدخلون الجنة مِن أول وَهْلة، أولئك الذين لا يَسْتَرْقُون ولا يَكْتَوُون ولا يَتَطَيَّرون[1].

وبعد ذلك مِن الناس مَن تَتَساوى سيئاتهم وحسناتهم، فيشفعُ فيهم رسول الله ﷺ أو غيره لأن هذه من الشفاعة العامة، فيدخلون الجنة قبل أن يدخلوا النار.

ومِن الناس مَن يُؤْمَرون بدخول النار لكَثرة أعمالهم السيئة وقلة أعمالهم الحسنة، وبعد الأمر بهم إلى النار يشفع فيهم رسول الله ﷺ بإذن ربه، فيُحَوَّلون إلى الجنة.

ومِن الناس مَن لا تُسْعِفُهم الشفاعات قبل دخول النار فيدخلون النار، فيشفع فيهم رسول الله عليه الصلاة والسلام وغيره من الشافعين، وقد يكونون من أصحاب الكبائر، فيخرجون من النار بشفاعة الشافعين، إلى هذا يشير رسول الله ﷺ بقوله: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[2]. وفي النهاية يُنْظَر مَن في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرةٍ مِن إيمان، يخرجون من النار ويُطْرَحون في نهر الحياة ويَنْبُتون كما يَنْبُت البَقْل، أي: بعد التَطْهير والنظافة يدخلون الجنة، لأن الجنة دار الطيبين لا يدخلها إلا الطيبون.

الخلاصة مِن عقيدة أهل السنة والجماعة: اعتقاد أنه لا يُخَلَّدُ في النار مَن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، وفي لفظ: «**مِن خير**»، المراد الإيمان، سواءً كان ذلك بشفاعة الشافعين أو بمَحض رحمة أرحم الراحمين سبحانه. هكذا الناس، والناس مجزيون

---

(١) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ بِالْمَوْسِمِ، فَرَأَيْتُ أُمَّتِي، فَأَعْجَبَتْنِي كَثْرَتُهُمْ وَهَيْئَتُهُمْ، قَدْ مَلَؤُوا السَّهْلَ وَالجَبَلَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرَضِيتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، قَالَ: وَمَعَ هَؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَكْتَوُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، فَقَالَ عُكَّاشَةُ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**»، ثُمَّ قَالَ رَجُلٌ آخَرُ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**». [صحيح ابن حبان].

(٢) صحيح الجامع: ٣٧١٤.

بأعمالهم وقد يُسْعِفُهم الله سبحانه وتعالى كما سبق بشفاعة الشافعين مِن غير عمل، أي: بعد أن عجزت أعمالهم.



والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النجم:٣١].

ومَنْ كَذَّبَ بِالبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن:٧].

۞ ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ ﴾: دون زيادة وهذا مِن فضل الله وكرمه.

۞ ﴿ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾: بل كثيرٌ منهم يجزون بالحسنى وزيادة، الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى... بالنسبة للمؤمنين الذين يؤمنون بصفة الوجه؛ أما الذين ينكرون وجه الله الكريم فهؤلاء جَديرون(١) وقَمِنون(٢) بأن يُحرموا النظر إلى وجه الله تعالى، لأنهم لم يؤمنوا به.

۞ **ومَن كذب بالبعث كَفَرَ**: التكذيب بالبعث كفرٌ بالله، لأنه تكذيب لخبر الله وخبر رسول الله ﷺ. مَن كذب خبر الله؛ سواء كان في البعث أو في بعض صفاته أو في الأحكام والعبادات، في أي خبر، مَن كذب خبر الله وخبر رسوله عليه الصلاة والسلام يرتد، وذلك مِن نواقض الإسلام.

۞ **وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى**: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ ﴾: وَصَفَهم بأنهم كفروا، ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾: الذي أوجدكم مِن

---

(١) (جدر) خيرًا أو شرًا؛ جدر بالشيء يجدر جدارة كان خليقًا به وأهلًا له فهو جدير يقال: هو جدير بكذا أو لكذا؛ ج جديرون وجدراء. [معجم الأفعال المتعدية بحرف].

(٢) (قمن) قَمَنٌ وقَمِنٌ وقَمينٌ : أي: خَليق وجَدير؛ فمن فَتَح الميم لم يُثَنِّ ولم يَجْمَعْ ولم يُؤَنّث لأنه مَصْدر؛ ومن كسر ثَنَّى وجمع وأنَّثَ لأنه وَصْفٌ وكذلك القَمِين. [النهاية في غريب الأثر].

لا شيء لا يَعجز مِن أن يبعثكم بعد الموت، لأن من الناحية النظرية العقلية الابتداء أصعب من الإعادة وليس على الله شيء صعب.



وأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾[النساء:١٦٥].

۞ **وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين:** هذا فيه بيان لوظائف الرسل، وظيفتهم التبشير للمؤمنين والإنذار للعصاة.

۞ **والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾: لئلا يقولوا ما بعثتَ إلينا رسلًا ولا أنزلتَ إلينا كتبًا، أما بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب والبيان من الرسل ومن أتباع الرسل، لا حجة للناس على الله.

هنا لنا وقفة: حجة الله في الأرض كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، (إن لم هناك بيان ، أو حال بين بعض الناس وبين حجة الله ورسوله) إن وجدت شبهة حالت بينهم وبين فهم كتاب الله، أو بعبارة أخرى بينهم وبين فهم ما جاء به رسول الله ﷺ، هل يعذرون أم لا؟ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[النحل:٤٤]، لا بد من البيان؛ إذا بيَّن الرسول ﷺ وقد بيَّن بالفعل بيانًا شافيًا، لكن قد حَصَلَ أحيانًا شُبَهٌ وضلالات حالت بيْن الناس وبيْن فَهْمِ ذلك البيان، كالذي حصل بعد أن نشأ عِلمُ الكلام بيْن المسلمين من عهد العباسيين وإلى يومنا هذا، التبس الأمر على كثير من الناس في باب الأسماء والصفات، ثم دخلت ... التصوُّف ووحدة الوجود بين المسلمين، والتبس الأمر على كثير من الناس في باب العبادة، حصل خلطٌ وعدم التفريق بين حق الله تعالى وحق رسوله عليه الصلاة والسلام وحقوق الصالحين، وانحرف كثيرٌ من الناس في باب العقيدة وفي باب العبادة وفي باب الأحكام عن الجادة بسبب كثرة الشبهات، حتى جهلوا حقيقة ما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ هل هؤلاء يعذرون حتى يتبين لهم الحق أو أنه يكفي مجرد إرسال الرسل وإنزال الكتب وإن حصل ما حصل من الشبه التي حالت بين كثير من الناس وبين فهم ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام؟

الذي يليق بعدل الله تعالى والذي فهمه أهل التحقيق من علماء المسلمين : أن مَن

حصل له شيء من ذلك يُعذر؛ أما مَن تبين له الحق وتبين له الهدى وأبى إلا أن يتبع غير سبيل المؤمنين بعد أن تبين له الحق عنادًا أو تعصبًا لمألوفاته وتقاليده، هؤلاء لا يُعذرون؛ وأما قبل أن يتبين لهم الهدى، ويحسبون أن ما هم عليه هو الهدى، مِن الشرك والضلال ونفي الصفات، هولاء يعذرون.

لمعرفة هذه النقطة المهمة عليكم أن ترجعوا إلى كتب شيخ الإسلام أو إلى كتاب مختصر يدلكم على المراجع من كتب شيخ الإسلام،كَكِتاب "القواعد المثلى" لأخينا الشيخ ابن عثيمين، بعد هذه المسألة ذكر المراجع من كتب شيخ الإسلام، لتتأكَدوا من صحة هذا المذهب وأنه المذهب الحق إن شاء الله، وأن الناس يعذرون في أصول الدين وفروع الدين على حدٍ سواء ما لم يتبين لهم الهدى ويتبعوا بعد ذلك غير سبيل المؤمنين، والله أعلم.

لخصتُ كذلك هذا المعنى في كتاب "الصفات الإلهية"، أظن في الباب الخامس، ممكن الرجوع إلى ذلك لتنقلوا منه إلى المراجع المذكورة هناك[1].



(١) "الصفات الإلهية"- الباب الخامس/ حكم من نفى صفة ثلبتة بالكتاب والسنة.

۞ [إذا أخطأ أفراد من الفضلاء في أثناء القراءة وأثناء البحث، ووقعوا في التأويل، كالحافظ ابن حجر والإمام النووي والشوكاني الذي وقف عند التفويض وسمى ذلك منهج السلف، أمثال هؤلاء ماذا يقال فيهم؟

لشيخ الإسلام ابن تيمية موقف واضح وصريح في هذا، ارجعوا إلى "موافقة العقل والنقل" كتابه الكبير الذي طُبع أخيرًا باسم "درء تعارض العقل والنقل" وكان سابقًا يسمى "موافقة المعقول للمنقول"، في هذا الكتاب صرح الشيخ في عدة مواضع بأن الفضلاء مِن أهل العلم المجتهدون إذا أخطئوا ووقعوا في بعض المسائل العلمية الخفية كمسائل الصفات، إنهم أولى بأن يعذروا. فيقول إذا كان الذي يجهل وجوب الصلاة وتحريم الخمر يعذر لكونه نشأ في أرض جهل، فما بال الفضلاء والعلماء الذين طلبوا العلم وطلبوا الحق واجتهدوا فأخطئوا؟!

فدافع عنهم كثيرًا، ارجعوا إلى هذا الكتاب، وقد نقلتُ جملةً لا بأس بها في كتابي "الصفات الإلهية" والكتاب موجود في هذه المكتبة، مكتبة الحرم، في إمكانكم أن ترجعوا لأن المقام مقام حرج جدًا، لتعرفوا بأن مَن أخطأ في أصول الدين لا فرق بين الخطأ في أصول الدين وفي فروع الدين. طالما هو نيته صالحة، يريد أن يتبع رسول الله عليه صلاة وسلام ولكنه أخطأ فوقع في التأويل، فوقع في إنكار بعض الصفات أو تحريفها، أو تردد في قدرة الله تعالى أحيانًا، إنه يعذر.

فيسوق شيخ الإسلام، استدلالًا على هذه النقطة، قصة الإسرائيلي التي تعرفونها، ذلك الرجل الذي لما حضرتْه الوفاة قال لأبناءه: "إذا أنا مِتُّ فاحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الهواء أو في البحر أو في الأرض" ففعلوا ذلك، ولما بعثه الله وأوقفه بين يديه

وسأله: "ما الذي حملك على هذا؟" كان مسرفًا على نفسه، قال: "خشيتك يا رب!"[1]، فعذره الله وقد جهل شمول قدرة الله وظن أن مَن سحق ورمي في البحر أو في الهواء لا يبعثه الله للحساب، وخاف من المحاسبة فطلب من أولاده أن يفعلوا به ذلك ففعلوا. ولكن الله بقدرته، أمر الأرض أن تجمع تلك الذرات فبعثه، فسأله: "لِمَ فعلتَ؟"، قال: "الذي حملني على هذا خشيتك يا رب!"، إذن الرجل مؤمن، وإن خفي عليه عموم قدرة الله وأن البعث يشمل مثله.

بمثل هذا يستدل الإمام ابن تيمية على أن مَن خفي عليه شيء، ولو في أصول الدين، طالما قلبه عامر بالإيمان والخوف من الله ومحاولة اتباع رسول الله عليه الصلاة والسلام، إنه معذور.

لا نجد أمثلةً واقعيةً لمثل هذا إلا أمثال هؤلاء الأئمة الذين ذكرتهم، كالحافظ ابن حجر والنووي والشوكاني وأمثالهم من الذين وقعوا أحيانًا في التأويل وأحيانًا في التفويض ظنًا منهم أنّ ذلك منهج السلف، لأن ذلك مبلغ علمهم، لم يعلموا أكثر من ذلك وإن كانوا علماء، وإن كانوا فضلاء، وإن كانوا محدثين، لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، فالله سبحانه وتعالى يتجاوز عن الأخطاء، هذا ما نميل إليه وندين الله به، لأن دراستنا لأحوال الناس قديمًا وحديثًا جَعَلَنا نميل إلى رأي شيخ الإسلام وأمثاله، وإن كانت المسألة خلافية؛ كون الإنسان يعذر بالجهل في أصول الدين مسألة خلافية، ولكن الذي عليه الاتفاق كون الإنسان يعذر بالجهل في الفروع، أما مسألة الأصول، فهي خلافية، ولكن الواقع يؤيد ما ذكره شيخ الإسلام، وقد ذكرنا لكم المرجع فارجعوا إلى هناك][2].

---

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ لأَهْلِهِ: إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ، ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ، فَأَمَرَ اللهُ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبِّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ». [صحيح مسلم].

(٢) الشرح الثالث ، الشريط الرابع، من ٤٥"٢٠"١ إلى ٤٢"٢٦"١

۞ [**يقول السائل**: كثير من العلماء المعاصرين قد يحتجون بما يقع من الحافظ ابن حجر والنووي وأمثالهما من التأويل في صفات الله تعالى، فيقولون: هل نحن أفضل وأعلم من الحافظ ابن حجر والنووي؟ إذن لا بأس أن نؤول كما أولوا!؟

الجواب: هذا احتجاج الجاهل، طالب علم لا يحتج بأفعال الناس، طالب علم عليه أن يحتج بالسنة، بما ورد في الكتاب وفي السنة؛ عمل الرجال ليس بحجة، إذا راوي من الرواة، صحابي أو تابعي أو تابعي التابعين، قد يروي حديثًا ويُعْثَرَ(١) له على خلاف ذلك في عمله، فيقال له: "الحجة فيما رواه لا فيما رآه"؛ هؤلاء مع احترامنا لهم إنما نَلتمس لهم الأعذار ولكن لا نتأسى بهم لأن التأويل خطأ، ولو وقع من الحافظ ابن حجر أو من الإمام النووي.

ثم إن مِن كبار فطاحِل علماء الشافعية الأشاعرة، كإمام الحرمين، ووالد إمام الحرمين، والغزالي، والشهرستاني، والرازي، ممن خاضوا في علم الكلام ثم رجعوا فندموا وحذروا الناس ، لماذا لا يتأسون بهؤلاء الذين جربوا فرجعوا فنصحوا الناس؟! فيتركونهم فيحتجون بهؤلاء الذين هَفَوا بعض الهفوات! من الإنصاف أن نُصْغِيَ إلى ما قال إمام الحرمين، ووالد إمام الحرمين، وإلى ما قال الغزالي، والشهرستاني، والرازي، حيث ندموا وحذروا الناس من الخوض في علم الكلام، وبكوا بكاءَ الثَكْلى في آخر حياتهم(٢). كوننا نترك هؤلاء وهم أكبر وأشهر من هؤلاء ولكن نتعلم بما وقع من هؤلاء لأن ذلك خالف هوانا هذا من عدم الإنصاف، فنسأل الله لنا ولكم الإنصاف، والإنصاف من الإيمان، والله أعلم](٣).



---

(١) (عثر) عَثَر يعثِرُ ويَعْثُرُ عَثْرًا وعِثَارًا وتَعَثَّرَ كَبا وأَرى. [لسان العرب]

(٢) انظر في كتاب الشيخ "الصفات الإلهية"- البحث التاسع/ الفصل الثاني.

(٣) الشرح الثالث، الشريط الرابع، من ٢٠"٣٤"١ إلى ٣٨"٣٧"١

وأولهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء:١٦٣].

❁ **وأولهم نوح عليه السلام:** أول الرسل، وهي مسألة خلافية: هل أولهم نوح أو آدم؟ الذي عليه أكثر أهل العلم أن أولهم نوح لأنه إنما وقع الشرك في قومه ولم يقع الشرك قبل ذلك، ولكن يُعَكِّر على هذا بعض الآثار التي تشير إلى أن آدم نبيٌّ رسول[1]. وعلى كلٍ، الآثار التي جاءت في هذه المسألة تحتاج إلى مراجعة وإلى تحقيق فلنمضي الآن في طريقنا على هذا المذهب (الاختيار) وأن أولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ، وهو خاتم النبيين؛ مَن أنكر كونه خاتم النبيين وادعى النبوة بعده، سواءٌ لنفسه أو لغيره، فهو مرتد.

❁ **وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾**: هذه الآية التي استدل بها المؤلف وقبله غير واحدٍ من أهل العلم، يعترض بعضهم على دلالتها على المراد، وأنها ليست نصًا بأن أول الرسل نوح ولكنها ظاهر. الفرق بين النص وبين الظاهر: الظاهر ما يحتمل معنيين، والنص ما لا يحتمل إلا معنىً واحدًا، ومعنى الآية ظاهر وليس بنص في المسألة، والله أعلم.



---

(١) كما ورد في صحيح ابن حبان عن أبي ذر: "يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «**مئة أَلْفٍ وَعِشْرُونَ أَلْفًا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله كم الرسل من ذلك؟ قال: «**ثلاث مئة وَثَلَاثَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَنْ كَانَ أَوَّلهم؟ قَالَ: «**آدَمُ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أنبيٌّ مُرْسَلٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وكلَّمه قِبَلًا**» الحديث. قال الشيخ الألباني: ضعيف جدًا (الضعيفة:١٩١٠ و٦٠٩٠). [التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان].

وحديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «**أول الرسل آدم آخرهم محمد أول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول من خط بالقلم إدريس**». قال الشيخ الألباني: ضعيف جدًا [صحيح وضعيف الجامع:٤٩٣٦].

وكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ عليهم الصلاة والسلام يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

❁ **وكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ عليهم الصلاة والسلام يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ:** أي: يفتتح دعوته بالدعوة إلى عبادة الله، ما من نبيٍ أُرسل إلا وجعل مفتاح دعوته: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف:٥٩]، هذا مفتاح دعوة الرسل جميعًا.

كما تقدم لا إله إلا الله تفسيرها في القرآن، ذكر هناك عدة آيات منها هذه الآية، قول تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾، وإن كان بالنسبة لنظم كلمة التوحيد ليست على ترتيبها ولكن معناها: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ يساوي "إلا الله"، ﴿ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ يساوي "لا إله"، تأتي الآية بعد هذه على ترتيب لا إله إلا الله.

❁ **وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾:** والآية تفسير معنى لا إله إلا الله، لأنه كما تقدم لا إله إلا الله تفسيرها في القرآن ذُكِر في عدة آية منها هذه الآية، وإن كان بالنسبة لنظم كلمة التوحيد ليست على ترتيبها، ولكن ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ يساوي "إلا الله"، ﴿ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ يساوي"لا إله" فتأتي الآية على ترتيب لا إله إلى الله.



وافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ والإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ.

۞ **وافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ والإِيمَانَ بِاللهِ**: الإيمان بالله وحده ما لم يكفر الإنسان بالطواغيت لا ينفعه ولا يُجديه[1]، أي: لا بد من الجمع بين الكفر والإيمان كما جمعت كلمة التوحيد بينهما، كلمة التوحيد جمعت بين الكفر والإيمان وإن شئتَ : بين النفي والإثبات، "لا إله": نفيٌ وكفرٌ بما يُعبد وبمَن يُعبد من دون الله، "إلا الله": إثبات العبادة لله وحده.

۞ **قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ**: الطاغوت مأخوذ من الطغيان، الطغيان مجاوزة الحد؛ طغى الماء، طغى فلان أي: تجاوز حده. الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع؛ حد العبد ما هو؟ عبادة الله وحده لكونه عبدًا يعبد ربه الذي خلقه، فإذا تجاوز هذا الحد وصرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله، تجاوز الحد وصار ذلك طغيانًا.

مَن تجاوز به هذا الحد متبوعٍ اتبعه في المعصية، في التحليل والتحريم، في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله، معبودٍ عَبَده، تَذَلَّلَ له، وخضع له، وأحبه كما يحب الله، هذا هو المعبود؛ لأن العبادة غاية الذل مع غاية الحب؛ مَن أحب غير الله مع الله وخضع له وتذلل له، عبد ذلك الغير وتجاوز به حده. مِن هنا تعلمون بأن العبادة ليست مجرد الصلاة والصيام والزكاة والحج، أي: أركان الإسلام؛ فالعبادات أنواع وحقيقتها غاية الذل مع غاية الحب بما في ذلك الدعاء، لذلك صار الدعاء مخ العبادة لأن فيه تذللًا ورجاءً وطمعًا، هذا المعنى هو العبادة.

---

(١) ما يُجْدي عنك هذا أَي: ما يُغْني [لسان العرب- باب(جدا)]

المتبوع: مَن يقلده ويتبعه ويحلل له ويحرم له، كالذين يتبعون الأحبار والرهبان؛ وكذلك المطاع: هما إما مترادفان أو متقاربان، شخصٌ أطاعه في غير شريعة الله أو مخالفًا بذلك شريعة الله في التحليل والتحريم، يقال له مطاع ويقال له متبوع.

هذا هو الطاغوت، طبّقْ هذا على واقع الناس: تجد كثيرًا وكثيرًا جدًا مِن الذين يُطاعون في نفي صفات الله تعالى، مِن الذين يُطاعون في عبادة غير الله، مِن الذين يطاعون في التحليل والتحريم، وفي الأحكام الدستورية، ما أكثر ذلك! الذين يطيعون ويَتَّبعون مَن سموهم رجال التشريع، والتسمية نفسها جريمة، تسمية بني آدم بأنهم رجال التشريع جريمة، المشرع هو الله وحده، والذي يبلغ شريعة الله محمد ﷺ ومَن قَبْلَه من الرسل، وأتباعه منفذون ومطبقون، الملوك والرؤساء والأمراء والعلماء منفذون ومطبقون وليسوا بمشرعين، التشريع لله، ويطلق على رسول الله ﷺ أنه مشرع، ولكن المشرع الحقيقي هو الله، إنما يطلق على رسول الله ﷺ لأنه له الطاعة المطلقة، قد يأتي بأحكام غير موجودة في القرآن، كتحريمه الحمر الأهلية يوم خيبر، وتحريمه الجمع بين المرأة وعمتها، المرأة وخالتها، زيادةً على ما في القرآن، له الطاعة المطلقة، بهذا الاعتبار يطلق عليه أنه مشرع عليه الصلاة والسلام، أو باعتبار أنه مبلّغ عن الله تشريع الله، وإلا المشرع الحقيقي هو الله.

وإطلاق رجال التشريع على أولئك الدكاترة الذين يتخرجون من كليات الحقوق، المستشار فلان من رجال التشريع، يا ليت شعري! ما يخجل هذا الإنسان عندما يقال له أنتَ من رجال التشريع؟! أنتَ تشرّع؟! مِن أين لك التشريع؟! معنى ذلك تجعل نفسك كأنك الله رب العالمين أو رسول الله ﷺ، ليس لك حق في التشريع، والتسمية نفسها غلط ومن الجاهليات التي ألفها كثيرٌ من الناس، فأصبحت من السهولة بمكان أن يطلقوا رجال التشريع على كثير من المتعلمين الذين يتخرجون من كليات الحقوق.



وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرة ورُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، ومَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، ومَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، ومَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

۞ **وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرة** - وربما اليوم أكثر- **ورُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، ومَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ**: مَن عُبد وإن لم يدعُ الناس إلى عبادة نفسه لكن رأى الناس يعبدونه فرضي واستراح إلى تلك العبادة، منصب كبير، الناس تسجد له، وتركع له، وتذبح له، وتَطيح[١] على أقدامه خضوعًا وتذللًا، استراح، كَبِرَ رأسه، ورأى نفسه شيئًا آخر، رضي بذلك، هذا من الطواغيت.

۞ **ومَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ**: يزين للناس عبادة نفسه فيقول: "أنا من آل فلان، من آل البيت، وأنا كذا وكذا، ونحن لنا الحق في أن يستغاث بنا، وتجعل لنا النذور"؛ هكذا يزينون للناس عبادة أنفسهم، والناس عاطفيون في الغالب الكثير، الرجل الذي من آل البيت وينتسب إلى بيت النبوة، خصوصًا في البلدان الأعجمية بأدنى إشارة يُعبد، إذا أشار إليهم أدنى إشارة إلى عبادة نفسه والتذلل له عبدوه وبالغوا فيه. ولو حاول أن يتخلص بعد ذلك فقال: "لا!" يقولون: "إنما يقول "لا" من باب التواضع، لأنه من المتواضعين!"، ويزدادون في عبادته، هذا هو واقع كثير من الناس للأسف!

۞ **ومَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ**: كالكاهن، والعرّاف، والساحر، والمُنَجِّم، وصاحب الكف، وصاحب الفنجان، وصاحب الرمل والتراب، الذين يكتبون ويخططون في الرمل والتراب، ويخبر الناس علم الغيب من تلك الخطوط، ويقرأ في الفنجان، أنتَ لا ترى في الفنجان شيئًا وهو يزعم أنه يقرأ في هذا الفنجان الذي تشرب فيه القهوة فيخبر منها الغيب. وينظر في الكف فيقرأ في الكف، فيخبر الغيب ويدعي أنه يعرف مكان الضالة، الناقة التي ضلت في المكان الفلاني، والسيارة التي سُرقت في الشِّعب الفلاني وهكذا. هؤلاء كلهم

---

(١) (طوح) طاح يطوح ويطيح: هلك وسقط.[الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية].

كفرة، ومن الطواغيت، ومن رؤساء الطواغيت، لأنهم كلّهم زعموا أنهم يعلمون الغيب.

لذلك قال النبي ﷺ: «**مَن أتى كاهنًا فسأله فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل علي محمد**»(١)، لأن الذي أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام هو القرآن، والقرآن يقول: ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ [النمل:٦٥]. ومَنِ ادعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل، خصوصًا هذه الوسائل الوهمية التي لا حقيقة لها؛ كافر مرتد ورئيس من رؤساء الطواغيت.

ولكثرة انتشار هذه الأمور الجاهلية في صفوف المسلمين، في كثير من الأقطار، يجب على طلاب العلم مكافحة ذلك ودعوة الناس إلى الكفر بهم، مكافحة هؤلاء لا تقِل درجة عن مكافحة المخدرات بل مكافحة هؤلاء أشد وجوبًا من مكافحة المخدرات التي تخدر الأعصاب والأعضاء، هذه تخدر الإيمان وتفسد الإيمان، وتُوقِع الناس في الكفر بالله تعالى، فلتكافح، والله المستعان.

۞ **وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ**: يعني حَكَمَ بغير ما أنزل الله مُعتقدًا أنَّ ذلك الذي حَكَمَ به مثلُ الذي أنزل الله أو أحسن وأليق، وهذا يشمل أولئك الذين يستوردون القوانين الوضعية مِن الخارج ويحكمون بها، ويشمل أولئك البدو الذين يحكمون بالسواليف والتقاليد في التحريم والتحليل، كل ذلك داخل. مَن حكم بغير ما أنزل الله، سواء كان قانونًا مقننًا أو سواليف وعادات وتقاليد موروثة، كل مَن حكم في التحليل والتحريم بغير ما أنزل الله معتقدًا أن ذلك مثل الذي أنزل الله أو أحسن وأليق وأنسب للناس، فهو كافرٌ مرتد مِن رؤساء الطواغيت.

---

(١) عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قَالَ: «**من أَتَى كاهِنًا أو عَرَّافًا فصَدَّقَه لما يقول فقد كَفَرَ بما أُنْزِل على محمد**». [الصحيحة:٣٣٨٧]

وأما مَن حَكَمَ(١) بغير ما أنزل الله معتقدًا أنّ ما أنزل الله أحسن وأحق، وأنه مخطيء عندما يحكم بغير ما أنزل الله، هذا كفره كفرٌ دون كفر لا يخرج من الملة، مثل الذي يعصي الله بمعاصٍ، بارتكاب المحرمات والكبائر وهو غير مستحل، كالذي يسرق والذي يشرب وهو يعتقد أنه عاصٍ ومخالف، لم يستحل السرقة والخمر، كُفر هؤلاء كفرٌ دون كفر.

يذكرون قسمًا ثالثًا وهو مَنِ اجتهد ليحكم بما أنزل الله ولكنه وقع في إصدار الحكم بغير ما أنزل الله، مجتهدًا مخطئاً، هذا له أجر الاجتهاد ويُعفى له عن خطئه، والله أعلم.

هكذا ذكر أهل العلم عند هذه الآية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤]، وأقرب مرجع ترجعون إليه لتحقيق هذه المسألة شرح الطحاوية عند هذه الآية.



(١) هذا يلحق بالسابق لأن الفاسق أو الظالم إنما هو الذي يعطي الحق لغير صاحبه أو يمنعه عن صاحبه أو يريده لنفسه أو ليدفع عن نفسه ضراً. والله أعلم (صالح).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ **[البقرة:٢٥٦]، وهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إلا اللهُ، وفِي الحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».**

۞ ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾: ليس معنى ذلك أن لا تدعُ إلى الدين بل لا تُدخِل الدين على الناس بالإكراه، فأنتَ عليك البيان وعليك الهداية وعليك الإرشاد، وأما القلوب ما يملكها إلا الله، لا تُدخِل الإيمان في قلوب الناس بالإكراه، لك الظاهر، تدعو وتبين، تبين الحق من الباطل، هذه وظيفة الدعاة.

۞ ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾: هذه الآية العظيمة، حتى في وضعها موضوعة على الترتيب لا إله إلا الله تمامًا، لأن قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾ يقابل "لا إله"، وقوله تعالى: ﴿ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ يقابل "إلا الله"، مِن أدق الآيات في تفسير لا إله إلا الله هذه الآية.

۞ «**رأس الأمر الإسلام**»: الذي هو الاستسلام والانقياد كما تقدم.

۞ «**وعموده الصلاة**»: لا يقوم الإسلام إلا بالصلاة، وإلا فهو بناءٌ غير قائم وغير ثابت، في هذا المعنى يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "مَن ترك الصلاة فلا حظ له في الإسلام"[١]، وهو يفسر قوله عليه الصلاة والسلام: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[٢].

---

(١) عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ مِنْ اللَّيْلَةِ الَّتِي طُعِنَ فِيهَا فَأَيْقَظَ عُمَرَ لِصَلاةِ الصُّبْحِ فَقَالَ عُمَرُ: "نَعَمْ وَلا حَظَّ فِي الإِسْلامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ"؛ فَصَلَّى عُمَرُ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا. [إرواء الغليل:٢٠٩].

(٢) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه، عن بريدة.

يَتَهاوَنُ كثيرٌ وكثيرٌ من العوام بالصلاة بالدعوى أن الإيمان في القلب؛ إذا دعوتَهم إلى الصلاة يقولون: "لا! الإيمان في القلب!"؛ ولو صح إيمان القلب لصح إيمان الجوارح وإيمان اللسان، هذا هو الإرجاء المنتشر بين المسلمين؛ الإرجاء معناه تأخير الأعمال عن مسمى الإيمان، وأن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط أو التصديق والنطق معًا، هذا هو الإرجاء المنتشر بين المسلمين كثيرًا وهم لا يشعرون. الإيمان تصديق بالقلب وذلك التصديق يحتاج إلى تصديق، الذي يُصَدق ذلك التصديق النطق باللسان والعمل بالجوارح، يَتَكَوَّنُ الإيمان من كل ذلك.

۞ «**وذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله**»: أعلى مكانًا في الإسلام الجهاد في سبيل الله، لماذا؟ لأن بالجهاد في سبيل الله يَقْوى الإسلام ويظهر الإسلام ويكتسب المؤمنون قوةً ومنعةً، وفي ترك الجهاد ضياع، ضياع للإسلام وضياع وضعف للمسلمين وذلة ومَهانة، هذا ما وقع فيه المسلمون بعد أن تركوا الجهاد. وربما جهل كثيرٌ من الناس معنى الجهاد أخيرًا، فظنوا أن كل قتال جهاد، الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام هو الجهاد لإعلاء كلمة الله، لإظهار دين الله، وللمحافظة على دين الله، والدفاع عن دين الله وعن عقيدة الإسلام وشريعة الإسلام، هذا هو الجهاد في سبيل الله.

وفي الآونة الأخيرة كَثُر القتال تصديقًا لخبر رسول الله ﷺ عندما أخبر عن أمارات الساعة كَثرة الهرج، قيل: "وما الهرج يا رسول الله؟" قال: «**كثرة القِتال**»[1]، «**إذا وُضِع فيهم السيف لن يرفع إلى يوم القيامة**»[2].

---

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيَنْقُصُ الْعَمَلُ وَيُلْقَى الشُّحُّ وَيَكْثُرُ الهَرْجُ**»، قَالُوا: وَمَا الهَرْجُ؟ قَالَ: «**القَتْلُ القَتْلُ**». متفق عليه.

(٢) عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**زويتْ لي الأرض حتى رأيتُ مشارقها ومغاربها، وأعطيت الكنزَين الأصفر والأبيض، يعني الذهب والفضة، وقيل لي: إن ملكَ أمتك إلى حيث زوي لك؛ وإني سألتُ الله عز وجل ثلاثًا: أن لا يسلط على أمتي جوعًا فيهلكهم به عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوًا فيُهلكهم، وأن لا يلبسهم شيعًا ويذيق بعضهم بأس بعض، وإنه قيل لي: إذا**

تسمعون وتقرؤون اندلاع الحروب من مكان إلى مكان، كالنار تتنقل من هنا إلى هنا، بين المسلمين، على أتفه الأمور: يختلفون في شريط صغير في الحدود فيشتبكون، سنوات تُراق الدماء.

وأخيرًا إنّ كثير من المنتسبين إلى الإسلام كفروا بالإسلام وأعلنوا أنهم علمانيون، ولعل صغار طلبة العلم لا يعلمون معنى العلمانية[1]؛ العلمانية عدم الإيمان بأي دين، التَّجَرُّد

قضيتُ قضاءً فلا مرد له وإني لا أسلط على أمتك جوعًا فيهلكهم، ولا أسلط عليهم عدوًا فيهلكهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها حتى يقيم بعضهم بعضًا ويقتل بعضهم بعضًا؛ وإن مما أتخوف على أمتي أئمة مضلين، وإذا وضع فيهم السيف فلن يرفع إلى يوم القيامة، وستعبد قبائل من أمتي الأوثان، وستلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وإن بين يدي الساعة دجالين كذابين قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي ولا نبي بعدي، ولن تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله». [صحيح ابن ماجه].

(١) تعريف العلمانية: العلمانية (secularism) وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدًا عن الدين. وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم (science) وقد ظهرتْ في أوروبا منذ القرن السابع عشر وانتقلتْ إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر وانتقلتْ بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر. أما بقية الدول العربية فقد انتقلتْ إليها في القرن العشرين، وقد اختيرتْ كلمة علمانية لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينية. ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيسًا في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما. [الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة].

قال الشيخ محمد بن سعيد القحطاني في كتابه "الولاء والبراء": إن من أخبث وأخطر ما واجه المسلمين في عصرهم الحاضر انتشار المذاهب اللادينية بينهم، حيث أريد لهذه المذاهب الهدامة أن تمحو شريعة الله من الأرض وتقصيها من واقع حياة المسلمين. وتشتت ولاء المسلمين الواحد إلى ولاءات جاهلية متعددة، فإذا انتزع ولاء المسلم لدينه سهل حينئذ تقبله لأي فكر، ورضي بأي وضع يعيش فيه مهما كان في ذلك من التبعية والانهزام.

من هنا عمل أعداء الإسلام على بث هذه المذاهب مستخدمين لذلك وسيلتين:

عن الدين، كثرت العلمانية وكثيرًا ما ينادون مغالطةً أنهم يجاهدون للإسلام، وهم يقاتلون المسلمين ويُقَتِّلون ويحاوِلون القضاء على الإسلام لو استطاعوا، لكنهم يعملون أسلوب المغالطة: الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن المسلمين، والدفاع عن الحرمين، مغالطة ما أفظعها وما أكذبها! استغلوا السُّذَّجَ[1] من الشباب فصاروا يُصَفِّقون ويؤيدون العلمانيين ضِد المؤمنين.

العلمانيون الذين أعلنوا عن علمانيتهم ويعتزون بعلمانيتهم، هؤلاء أشد كفرًا من اليهود والنصارى، فإذا كان الله جعل مُوالاة اليهود والنصارى ومَن يواليهم ويحبهم ويناصرهم أنه منهم، فما بال الذين يوالون العلمانيين والماركسيين[2] والوثنيين[3]؟! أشد! لأن الله جعل لأهل الكتاب اعتبارات احترامًا لكتابهم الأول وإن

- الهجوم الشرس على العقيدة الإسلامية والشريعة ورميها بأحط ما وضعوا من عبارات مسفة كقولهم: إن الشريعة الإسلامية شريعة بربرية تشوه يد السارق، وترتكب جريمة فظيعة برجم الزاني المحصن ولا تساير روح العصر الذي سيطرتْ عليه المعارف "التكنولوجية" بل ليس في الإسلام مواد قانونية تنظم حياة الناس.. إلى آخر ذلك الهراء.
- إضفاء صبغة البهرجة الكاذبة، والدعاية لتلك المذاهب الهدامة ووصفها بأنها هي علامة التقدم ومسايرة الركب الحضاري العالمي، وهى التي تعطي الناس الحرية في كل شيء. وهي مذاهب لا تقيد إنسان بدين معين، بل يأخذ ما يريد ويدع ما لا يريد مذاهب تخلو من التزمت وضيق الأفق.. إلى آخر ما هنالك مما يقال.

(١) السَّاذَجُ: يقولون فلان ساذج بمعنى قليل الخبرة والتجربة. [العامي الفصيح من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة].

(٢) المنتسبون إلى كارل ماركس (١٨١٨- ١٨٨٣م) وهو مؤسس الشيوعية المعاصرة (أو ما يُسمى بالاشتراكية العلمية). والشيوعية مذهب اقتصادي اجتماعي وضع له أساس اعتقاديٌّ فكري، قائم على إنكار وجود رب خالق لهذا الكون، وأن المادة هي كل الوجود، وأن أحداثها وتغيُّراتها مع أحداث التاريخ الإنساني تخضع لقانون جبريّ مزعوم في المادة ، على أنه صفة من صفاتها الذاتية، أساسه فكرة فلسفية عنوانها "الماديّة الجدلية". [موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة].

(٣) المنتسبين إلى الوثنية التي تطلق على مختلف العقائد التي لا تفرد الله سبحانه وتعالى بالتوحيد، وتنسب إلى

نُسِخ: يجوز للمسلم أن يأكل مِن ذبيحة أهل الكتاب، اليهود والنصارى، ويجوز أن يتزوج نساءهم (المحصنات من نسائهم) وإن كان الأفضل عدم العُدول إلى نسائهم مع وجود المؤمنات، لكنه جائز. أما المرتد وأما المجوسي(١) وأما الوثني والهندوكي(٢) والبوذي(٣)، هؤلاء جميعًا والعلمانيون من المرتدين. العلماني مرتد لأنه كان مسلمًا ثم اعتنق العلمانية، هذه الملة الخبيثة، أخبثُ من اليهودية والنصرانية، مناصرة هؤلاء أشد كفرًا من مناصرة اليهود والنصارى.

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة:٥١]، الموالاة: المحبة المناصرة؛ مَن أحب اليهود والنصارى وناصرهم وأضمر لهم الحُبَّ والوُدَّ كأولياء الله يكفر، لأنه لا تجتمع محبة الله ومحبة أعداء الله.

عبادة الوثن من أحجار وأصنام. [الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة].

(١) المنتسب إلى المجوسية: ديانة وثنية ثنوية تقول بإلهين اثنين، أحدهما إله للخير والآخر إله للشر. [الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة].

(٢) أو الهندوسي المنتسب إلى الهندوسية (ويطلق عليها أيضًا البرهمية): ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر. إنها ديانة تضم القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادىء القانونية والتنظيمية متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله. [الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة].

(٣) المنتسب إلى البوذية: هي فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية، وقد ظهرت في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد. وكانت في البداية تناهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير. وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني، ولقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألَّهوه. وهي تعتبر نظامًا أخلاقيًا ومذهبًا فكريًا مبنيًا على نظريات فلسفية، وتعاليمها ليست وحيًا، وإنما هي آراء وعقائد في إطار ديني. وتختلف البوذية القديمة عن البوذية الجديدة في أن الأولى صبغته أخلاقية، في حين أن البوذية الجديدة هي تعاليم بوذا مختلطة بآراء فلسفية وقياسات عقلية عن الكون والحياة. [الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة].

ولكن قال في الآخرين، في الكفار عام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ ﴾ [النساء:١٤٤]، جميع الكفار.

كما قلتُ هؤلاء العلمانيين أشد كفرًا من اليهود والنصارى، وموالاة الجميع غير جائزة قد تصل إلى حد الكفر، الموالاة: المناصرة، مَن يناصر العلمانيين ويظاهرهم ويؤيدهم ضد المسلمين وضد المؤمنين؛ قد والاهم فصار منهم؛ كل مَن يناصر العلمانيين ويؤازرهم ويظاهرهم ضد المسلمين، يخرب بيوت المسلمين وأوطانهم، ويعتدي على المسلمين قد والى هؤلاء الكفار، فلينتبه لنفسه.

فكثير من المنتسبين إلى الإسلام وللأسف يسمون أنفسهم بالإسلاميين، أصبحوا في هذا الوقت في تناقض شديد، يتعاونون مع القوميين والشيوعيين لمناصرة العلمانيين ضد المؤمنين. كما تسمعون في كثير من الأقطار مظاهرات مِن الذين يسّمون أنفسهم بالإسلاميين متعاونين مع القوميين والشيوعيين لمناصرة العلمانيين ضد المؤمنين، هؤلاء يقعون في وَرْطة في إيمانهم من حيث لا يشعرون، لأن محبتهم، أي: العلمانيين، ومناصرتهم ومؤازرتهم ومعاونتهم على المؤمنين وعلى الاعتداء على المؤمنين و على أراضيهم وأعراضهم؛ كفرٌ بالله.

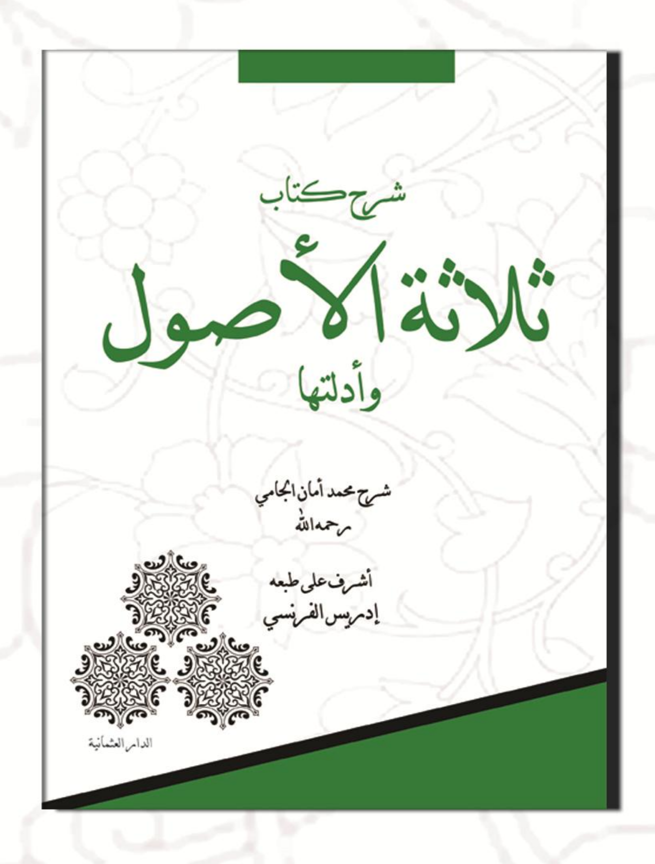
ننصح، كثيرًا من شبابنا في كل مكان، الذين ينخدعون بالخطب الرنانة وبتلك المظاهرات وبأولئك الذين سموا أنفسهم بالإسلاميين، وهم يناصرون العلمانيين، ننصحهم بأن يتوبوا إلى الله ويرجعوا من قريب، وإلا الموقف خطير.

لستم بقادرين على الجهاد كما زعمتم، ولكن تريدون أن تجعلوا الجهاد شعارًا ترفعونه ولستم بعاملين بشيء، ولكن تضرون إيمانكم من حيث لا تشعرون، لذلك نصيحتنا لهؤلاء فليفهموا معنى الجهاد في سبيل الله: الجهاد في سبيل الله أن تخرج بنفسك ومالك إنِ استطعتَ لنُصرة الله، لنصرة دين الله، بعد أن تفهم معنى الدين ومعنى الإسلام. وأما على جهل وأنتَ غير فاهم، تعلّم أولًا، العلم قبل القول والعمل، حتى تَعْلَمَ مَنِ المُجاهد وأين الحق وأين الباطل، وكونك تصرخ مع كل مَن يصرخ وأنتَ لا تدري أين الحق وما هو الباطل وما هو الحق، تشرق وتغرب وراء الناس، تجري ناسيًا دينك وإيمانك وموقفك بين يدي الله يوم

القيامة، لا تهلك أيها الشاب! ارجع وتعلّم، واعرف الحق من الباطل، ثم جاهد في سبيل الله.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.





الدار العثمانية

addar_alothmaniah@yahoo.com

دار العلوم

dar_al3lum@yahoo.com

تلفاكس 00962 65664328 ـ خلوي 00962 79 5886524 ـ عمارة أبو عيشة ـ رقم 187
ص.ب 36146 ـ الرمز البريدي 11120 ـ العبدلي ـ عمان ـ المملكة الأردنية الهاشمية